العقائد الإسلامية

عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادر السنة والشيعة

المجلد الثالث

تأليف
مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد، فهذا هو المجلد الثالث من كتاب العقائد الإسلامية وقد اشتمل على أكثر مسائل الشفاعة، وعددٍ من البحوث النافعة فيها.

ونظراً لأَهمية مسائل الشفاعة، فقد حاولنا استقصاء الآراء فيها، وتعرضنا أحياناً لآراء غير المسلمين.

وسوف ترى أن هذه العقيدة الربانية من أكبر النعم الالهية السابغة على العباد، وتلاحظ ما تعرضت له من تحريفات كبيرة بعد الأَنبياء عليهم السلام خدمةً لأَغراضٍ سياسية وثقافية، بعيدةٍ عن الدين الالَهي! !

وقد ساعد على ذلك أنها من عقائد الغيب والآخرة غير المنظورة، التي يسهل على المحرفين التحريف فيها، ويصعب كشف عملهم.

نسأله تعالى أن يجعلنا من المشمولين بشفاعة سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين، وأن يصلي عليهم أجمعين.

مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

علي الكوراني العاملي

الباب الثالث

في مسائل الشفاعة

الفصل الاَول

تعريف الشفاعة وتاريخها

موقع الشفاعة من الرحمة الإلَهية

الرحمة الإلَهية وسعت كل شيء، ولا يمكن للبشر أن يحصوا أعدادها.. ولا أنواعها.. لكن نشير إلى ستة أنواع كبرى منها، ليتضح موقع الشفاعة من بينها.

النوع الاَول:

التوبة، التي تمحو السيئات.

النوع الثاني:

أن السيئة بواحدة والحسنة بعشرة.

النوع الثالث:

أن نية الحسنة تكتب، ونية السيئة لا تكتب.

النوع الرابع:

أن الحسنات يذهبن السيئات.

النوع الخامس:

أنواع الرحمة الإلَهية الخاصة بالآخرة.

النوع السادس:

الشفاعة، وهي نوع من الوساطة الى الله تعالى من وليٍّ مقربٍ عنده ليغفر لمذنب ويسامحه.

شبهة حول أصل الشفاعة

يدور في ذهن البعض سؤال عن أصل الشفاعة مفاده: أن رحمة الله تعالى ومغفرته وسعت وتسع كل شيَء، وهي تتم بشكل مباشر، فلماذا يجعلها الله تعالى تحتاج إلى واسطة عباده مثل الأَنبياء والأَوصياء عليهم السلام ؟

والجواب:

أن الرحمة الإلَهية المباشرة في الدنيا والآخرة أنواع كثيرة لا تحصى، ولا يمنع أن يكون منها رحمة غير مباشرة جعلها الله تعالى مرتبطة بالدعاء والشفاعة لمصالح يعلمها سبحانه، كأن يريد رحمة عدد كبير من عباده بالشفاعة، ويُظهر كرامة أنبيائه وأوليائه عنده.

فالشفاعة من ناحية عقلية لا مانع منها ولا إشكال فيها، نعم، لا تثبت إلا بدليل، وفي الحدود والدائرة التي يدل عليها الدليل.

مثال لتقريب فهم عقيدة الشفاعة

يمكن تقريب الشفاعة إلى الذهن بأنها (قاعدة الإستفادة من الدرجات الإضافية) كأن يقال للطالب الذي حصل على معدل عال: يمكنك أن تستفيد من النمرات الإضافية على معدل النجاح فتعطيها إلى أصدقائك، الأَقرب فالأَقرب من النجاح..

ولنفرض أن الإنسان يحتاج للنجاة من النار ودخول الجنة إلى ٥١ درجة (من رجحت حسناته على سيئاته) فالذي بلغ عمله ٤٠٠ درجة مثلاً يسمح له أن يوزع ٣٤٩ درجة على أعزائه، ولكن ضمن شروط، مثل أن يكونوا من أقربائه القريبين، وأن يكون عند أحدهم ثلاثين درجة فما فوق، وذلك لتحقيق أفضل استفادة وأوسعها من هذه الدرجات الإضافية.

وقد نصت بعض الاَحاديث عن الاَئمة من أهل البيت عليهم السلام على أن شفاعة المؤمن تكون على قدر عمله، ففي مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٥ عن الإمام الباقرعليه السلام

في قوله تعالى: وترى كل أمة جاثية.. الآية، قال: ذلك النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام يقوم على كوم قد علا الخلايق فيشفع ثم يقول: يا علي إشفع، فيشفع الرجل في القبيلة، ويشفع الرجل لاَهل البيت ويشفع الرجل للرجلين على قدر عمله. فذلك المقام المحمود. انتهى. وورد شبيه به في مصادر السنة أيضاً.

وعلى هذا، فالشفاعة مقننة بقوانين دقيقة حكيمة مثل كل الاَعمال الإلَهية الدقيقة والحكيمة، وليست كما يتصوره البعض من نوع الوساطات والمحسوبيات والمنسوبيات الدنيوية.

وبما أن درجات الملائكة والاَنبياء والاَوصياء صلوات الله عليهم ودرجات المؤمنين متفاوتة، وأعظمهم عملاً وأعلاهم درجةً نبينا صلى الله عليه وآله فليس غريباً أن يكون أعظمهم شفاعة عند الله تعالى.

وبما أن سيئات الناس تتفاوت دركاتها ويصل بعضها إلى تحت الصفر بألوف الدرجات مثلاً.. فإن الذين تشملهم الشفاعة هم الاَقرب إلى النجاح والاَفضل من مجموع المسيئين، وقد وردت في شروطهم عدة أحاديث، منها عن النبي صلى الله عليه وآله (إن أدناكم مني وأوجبكم عليَّ شفاعةً: أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانةً، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس). مستدرك الوسائل ج ١١ ص ١٧١

. قال أبو الصلاح الحلبي في الكافي ص ٤٩٧

إن قيل: فإذا كانت الإثابة والمعاقبة مختصتين به تعالى، فكيف يصح لكم ما تذهبون إليه من الحوض واللواء والوقوف على الاَعراف، وقسمة النار وإدخال بعض إليها وإخراج بعض منها، مع كون ذلك ثواباً وعقاباً ؟

قيل: لا شبهة في اختصاص أمور الآخرة أجمع به تعالى، غير أنه تعالى ردَّها أو ردَّ منها إلى المصطفين من خلقه: رسول الله وأمير المؤمنين والاَئمة من آلهما صلوات الله عليهم، فأوردوها عن أمره وأصدروها. كما يضاف تعذيب أهل النار وتنزيل أهل الجنة حاصلاً بالملائكة المأذون لهم فيه... وليس لاَحد أن يقول: فأي

ميزة لهم بتولي هذه الاَمور على غيرهم في الفضل وهي موقوفة على إذنه تعالى، لاَن الآخرة لما كانت أفضل الدارين بكونها دار الجزاء وغاية المستحقين، وجعل الله سبحانه إلى هؤلاء المصطفين أفضل منازله وأسنى درجاته من اللواء والحوض والشفاعة وقسمة النار، دل على تخصصهم من الفضل بما لا مشارك لهم فيه.

محاولات المستشرقين التشكيك في الشفاعة

وقد حاول بعضهم الاِشكال على قانون الشفاعة في الاِسلام فتصوره أو صوره بأنه من نوع الوساطات الدنيوية المخالفة للعدالة، التي يفعلها الناس عند الحكام الظلمة لمن يحبونه من المجرمين.. وقد مدح جولد تسيهر في كتابه مذاهب التفسير الاِسلامي ص ١٩٢ المعتزلة وزعم أنهم لم يقبلوا الشفاعة لاَنها تنافي العدالة، قال: والمعتزلة.. لا يريدون التسليم بقبول الشفاعة على وجه أساسي حتى لمحمد ذلك بأنه يتعارض مع اقتناعهم بالعدل الاِلَهي المطلق. انتهى.

ولكن لايمكن لعاقلٍ أن يدعي بأن زيادة الرحمة الاِلَهية والمغفرة للمذنبين بأسبابٍ متعددة، أمرٌ يتنافى مع العدالة الاِلَهية! !

ثم إن الذي نفاه المعتزلة هو شمول الشفاعة لاَهل الكبائر، ولم ينفوا الشفاعة لمرتكبي المعاصي الصغائر، كما سيأتي في محله.

على أن تسيهر اليهودي نفسه يعتقد بالشفاعة التي يزعمها اليهود لكل بني إسرائيل دون سواهم من البشر، ولايراها منافية للعدالة الالَهية، فلا معنى لمدحه المعتزلة بأنهم يرفضون الشفاعة لاَنهم طلاب مساواة!

تهافت منطق الوهابيين في الشفاعة والاِستشفاع

والاَعجب من المستشرقين الوهابيون.. حيث يتوسعون في الشفاعة فيجعلونها تشمل اليهود والنصارى وجميع الخلق، على حد تعبير ابن تيمية، قال في مجموعة رسائله ج ١ ص ١٠: أجمع المسلمون على أن النبي (ص) يشفع للخلق يوم القيامة

بعد أن يسأله الناس ذلك وبعد أن يأذن الله في الشفاعة. ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة... أنه يشفع لاَهل الكبائر، ويشفع أيضاً لعموم الخلق. انتهى.

ولكنهم في نفس الوقت يحرّمون الإِستشفاع والتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله ويعتبرونه شركاً، مع أن هو الإِستشفاع طلب شفاعة النبي صلى الله عليه وآله إلى الله تعالى في الآخرة، أو في أمر من أمور الدنيا!

إن التناسب بين الإِعتقاد بسعة الشفاعة في الآخرة يقتضي تجويز الإِستشفاع بأهلها في الدنيا!

وبتعبير آخر: إن تحريم الإِستشفاع والتوسل في الدنيا، يناسبه إنكار الشفاعة في الآخرة، لا القول بسعتها لجميع الخلق!

وقد التفت إلى ضرورة هذا التناسب بعض المتأثرين بالفكر الوهابي في تحريم التوسل والإِستشفاع، فأنكر شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله بمعناها المعروف، وفسرها بتفسير شاذٍّ جعل منها أمراً شكلياً بعيداً عن أفعال الله تعالى.

قال فيما قال: إن الشفاعة هي كرامة من الله لبعض عباده فيما يريد أن يظهره من فضلهم في الآخرة فيشفعهم في من يريد المغفرة له ورفع درجته عنده، لتكون المسألة في الشكل واسطة في النتائج التي يتمثل فيها العفو الإِلَهي الرباني، تماماً كما لو كان النبي السبب أو الولي هو الواسطة.

إلى أن قال: وفي ضوء ذلك لا معنى للتقرب للاَنبياء والاَولياء ليحصل الناس على شفاعتهم، لاَنهم لا يملكون من أمرها شيئاً بالمعنى الذاتي المستقل. بل الله هو المالك لذلك كله على جميع المستويات، فهو الذي يأذن لهم بذلك في مواقع محددة ليس لهم أن يتجاوزوها. الاَمر الذي يفرض التقرب إلى الله في أن يجعلنا ممن يأذن لهم بالشفاعة له. انتهى.

ولم يصرح صاحب هذا القول بحرمة طلب الشفاعة من الاَنبياء والاَولياء عليهم السلام،

ولكن محمد ابن عبد الوهاب صرح بذلك، واعتبر طلب الشفاعة منهم عليهم السلام شركاً ! قال (فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه، وقل: اللهم لا تحرمني شفاعته اللهم شفعه فيَّ. وأمثال هذا.

فإن قال: النبي (ص) أعطي الشفاعة، وأنا أطلب مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، وقال: فلا تدعوا مع الله أحداً.. .. الخ.(.

وقد قسم ابن عبد الوهاب الشفاعة الى شفاعة منفية، وهي التي (تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله) وشفاعة مثبتة، وهي (التي تطلب من الله الشافع المكرم بالشفاعة... الخ.) انتهى.

والجواب الكلي على هذه المقولة أنها دعوى بدون دليل، نشأت من سوء الفهم لمعنى الشفاعة، ومعنى طلبها من الشافع، ومعنى الإستشفاع والتوسل الى الله تعالى بالنبي وآله صلى الله عليه وآله وأوليائه المقربين ! فافترضت فيها معانٍ لا توجد فيها!!

والجواب عنها بشيء من التفصيل، أنها تتضمن شبهتين ينبغي التفكيك بينهما:

فالشبهة الاَولى حول الشفاعة، ومفادها أن آيات الشفاعة وأحاديثها، يجب أن تحمل على المجاز، لاَن الشفاعة فيها أمرٌ شكلي لا حقيقي!

ولم يذكر صاحب هذه الشبهة دليلاً على لزوم ترك المعنى الحقيقي وحمل نصوص الشفاعة على المجاز، بل لم نجد أحداً من الوهابيين ذكر ذلك.. نعم ذكر محمد رشيد رضا إشكال بعضهم على ذلك وأجاب عنه بما قد يفهم منه أن الشفاعة أمرٌ شكلي!

. قال في تفسير المنار ج ٨ ص ١٣:

فإن قيل: أليس الشفعاء يوَثرون في إرادته تعالى، فيحملونه على العفو عن المشفوع لهم والمغفرة لهم ؟

قلنا: كلا إن المخلوق لا يقدر على التأثير في صفات الخالق الاَزلية الكاملة....

فيكون ذلك إظهار كرامةٍ وجاهٍ لهم عنده، لا إحداث تأثير الحادث في صفات القديم وسلطانٍ له عليها، تعالى الله عن ذلك. انتهى.

ومفاد هذه الشبهة أن القول بالشفاعة الحقيقية يستلزم أن تكون إرادة الخالق متأثرة بإرادة المخلوق، وهو محال، فلا بد من القول بأن الشفاعة شكلية!!

وكذلك القول بتعليق بعض أفعاله تعالى على طلب أنبيائه وأوليائه منه، مثل الرزق، والشفاء، والمغفرة، والنجاة من النار وإدخال الجنة.. لابد أن يكون شكلياً، لاَن الحقيقي منه محال.

والجواب عنها: أن أصحاب هذه الشبهة أخطأوا في تخيلهم أن تعليق الله تعالى لمغفرته أو عطائه على طلب مخلوقٍ، معناه تأثير المخلوق في إرادته سبحانه وتعالى !

فإن تعليق الإرادة على شيء ممكنٌ بالوجدان، ولا محذور فيه، لأنه بذاته فعلٌ إرادي وتأكيدٌ للإرادة لا سلبها، أو جعلها متأثرة بفعل آخر، أو شيء آخر.. لقد تصور هؤلاء أن الشفاعة من الله، إذا أعطيت لأحدٍ تصير شفاعةً من دون الله تعالى، فوقعوا في هذه الشبهة!

أما إذا قالوا إن ذلك ممكنٌ ولكن الله تعالى لا يفعله لأنه لا يجوز له، فلا دليل لهم عليه من عقلٍ، ولا قول الله تعالى ولا قول رسوله صلى الله عليه وآله.

وإن كانوا يمنعونه من عند أنفسهم، فهو تعدٍّ على الله تعالى، وتحديدٌ لصلاحيات من لايسأل عما يفعل، وهم يسألون!

ثم إن اللغة تأبى عليهم ما قالوه، فآيات الشفاعة وأحاديثها ظاهرة في الشفاعة الحقيقية لا الشكلية، ولا يمكنهم صرفها عن ظاهرها!

والشبهة الثانية حول الإستشفاع بالنبي وآله صلى الله عليه وآله، وهي الشبهة التي يكررها ابن تيمية والوهابيون، وهي غير شبهة الشفاعة وإن كانت مرتبطة بها.

ومفادها أن طلب الشفاعة حتى ممن ثبت أن الله تعالى أعطاهم إياها حرامٌ، لأنه شركٌ بالله، وادعاءٌ لهؤلاء المخلوقين بأنهم يملكون الشفاعة من دون الله تعالى!!

وقد استدل ابن عبد الوهاب على ذلك بآيات النهي عن اتخاذ شريك مع الله كقوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحداً(

والجواب عنها: أنه ثبت من القرآن والسنة أن كثيراً من الأفعال الإلهية تتم بواسطة الملائكة، وليس في ذلك أي شركٍ لهم مع الله تعالى، لا في ملكه، ولا في أمره، بل هم عبادٌ مكرمون مطيعون. ولا مانع من العقل أو النقل أن يجعل الله تعالى أنواعاً من أفعاله وعطائه بواسطة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام أو يجعلها معلقةً على طلبهم منه!

ولا يصح التفريق بين الأمرين والقول بأن ذلك إن كان بواسطة الملائكة فهو إيمان لأنهم لايصيرون شركاء، أما إن كان بواسطة غيرهم فيصيرون شركاء لله تعالى!

أو القول بأن تعليق العطاء الإلهي على طلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام شراكةٌ لله تعالى وشركٌ به، لكن شراكة الملائكة لله تعالى والشرك بهم لا بأس به!!

نقول لأصحاب هذه الشبهة: إقرؤوا قول الله تعالى: ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيما. الفتح . ٤

وقوله تعالى: ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيما. الفتح . ٧

وقوله تعالى: وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر. المدثر . ٣١

ثم نقول لهم: نحن وأنتم لايحق لنا أن نقسم رحمة الله تعالى أو نحصرها، أو نحصر طرقها، أو نضع له لائحة فتاوى لما يجوز له أن يفعله وما لا يجوز!

ومعرفتنا ومعرفتكم بما يمكن له تعالى أن يفعله وما لا يمكن، إنما جاءت مما دلنا عليه العقل دلالةً قطعية، أو دلنا عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله.

والعقل لا يرى مانعاً في أن يربط الله تعالى أفعاله بطلب ملائكته أو أوليائه، فيجعلهم أدوات رحمته، ووسائط فيضه، ووسائل عطائه.. وذلك لا يعني تشريكهم في ألوهيته، بل هم عباده المكرمون المطيعون، ووسائله وأدواته التي يرحم بها عباده.

هذا من ناحية نظرية.. وأما من ناحية الوقوع والثبوت، فقد دل الدليل على أن أنظمة الفعل الإلَهي وقوانينه واسعةٌ ومعقدةٌ، ودل على أنه تعالى جعل كثيراً من

عطائه . إن لم يكن كله . عن طريق خِيَرةِ عباده من الملائكة والأَنبياء والأَوصياء عليهم السلام ودل الدليل على جواز الإستشفاع والتوسل بنبينا وآله صلى الله عليه وآله والطلب من الله تعالى بحقهم وحرمتهم وواسطتهم، سواءً في ذلك أمور الدنيا والآخرة..

ودل الدليل على أن موتهم عليهم السلام ليس كموت غيرهم، وأن حرمتهم أمواتاً كحرمتهم أحياء صلوات الله عليهم.

وقد قال تعالى في آخر سورة أنزلها من كتابه: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون. المائدة . ٣٥ ولا فرق في أصحاب الوسيلة إلى الله تعالى بين الملائكة وغيرهم، بل التوسل بنبينا صلى الله عليه وآله أفضل وأرجى من التوسل بالملائكة، لأَنه أفضل مقاماً عند الله منهم.

وسيأتي ذلك في بحث التوسل والإستشفاع، إن شاء الله تعالى. ويأتي أنه يجوز لنا أن نطلب العطاء الإلَهي المعلق على شفاعة الأَنبياء والأَولياء، أو غير المعلق، منهم أنفسهم عليهم السلام ولا يعتبر ذلك شركاً، بل هو طلبٌ من الله تعالى.

وأن حكم التوسل بالأَنبياء والأَولياء والإستشفاع بهم إلى الله تعالى، لا يختلف بين الأَموات منهم والأَحياء عليهم السلام.. الى آخر المسائل التي خالف فيها الوهابيون عامة المسلمين.

. وقد أجاب السيد جعفر مرتضى في كتابه خلفيات مأساة الزهراء عليها السلام ص ٢١٩ على الشبهتين المذكورتين، ومما قاله:

1. إن الكل يعلم: أن لا أحد يدعو محمداً صلى الله عليه وآله أو علياً عليه السلام أو أي نبي أو ولي كوجودات منفصلة عن الله تعالى ومستقلة عنه بالتأثير، ولم تحدث في كل هذا التاريخ الطويل أن تكونت ذهنية شرك عند الشيعة نتيجة لذلك فضلاً عن غيرهم.

2. إننا نوضح معنى الشفاعة في ضمن النقاط التالية:

أ . إن الإنسان المذنب قد لا يجد في نفسه الاَهلية أو الشجاعة لمخاطبة ذلك الذي أحسن إليه وأجرم هو في حقه، أو هكذا ينبغي أن يكون شعوره في مواقع

كهذه، فيوسط له من يحل مشكلته معه ممن لا يرد هذا المحسن طلبهم ولا يخيب مسألتهم..

ب . إن الله إنما يريد المغفرة للعبد المذنب بعد شفاعة الشفيع له.. ولم تكن تلك الإرادة لتتعلق بالمغفرة لولا تحقق الشفاعة ..فلو أن الشفيع لم يبادر إلى الشفاعة لكان العذاب قد نال ذلك العبد المذنب.

وهذا كما لو صدر من أحد أولادك ذنب فتبادر إلى عقوبته، فإذا وقف في وجهك من يعز عليك وتشفع به فإنك تعفو عنه إكراماً له، وإن لم يفعل ذلك كما لو لم يكن حاضراً مثلاً فإنك ستمضي عقوبتك في ذلك الولد المذنب لا محالة.. فالشفاعة على هذا سبب في العفو أو جزء سببه له.

إذن فليس صحيحاً ما يقوله البعض من أن الله تعالى له قد تعلقت إرادته بالمغفرة للعبد قبل الشفاعة بحيث تكون المغفرة له حاصلة على كل حال، ثم يكرم الله نبيه ويقول له: هذا العبد أريد أن أغفر له فتعال وتشفع إلي فيه..

ج . إذا كان الشخص المذنب قد أقام علاقة طيبة مع ذلك الشافع وتودد إليه ورأى منه سلوكاً حسناً واستقامة وانقياداً، فإن الشافع يرى أن من اللائق المبادرة إلى مساعدته في حل مشكلته أما إذا كان قد أغضبه وأساء إليه أو تعامل معه بصورة لا توحي بالثقة ولا تشير إلى الإستقامة، فإنه لا يبادر إلى مساعدته ولا يلتفت إليه.. فسلوك المشفوع له أثر كبير في مبادرة الشافع إلى الشفاعة.

د . وحين يكون الشفيع لا يريد شيئاً لنفسه من ذلك الشخص ولا من غيره ويكون ما يرضيه هو ما يرضي الله سبحانه فإن تقديم الصدقات والقربات للفقراء والإهتمام بما يرضى الشافع، هو في الواقع إثباتات عملية على أن ذلك المذنب راغبٌ في تصحيح خطئه وتدارك مافاته، وهو براهين وإثباتات على أنه قد التزم جادة الإستقامة وندم على ما

فرط منه، فإذا قدم مالاً للفقراء أو أطعم أو ذبح شاة وفرقها على المحتاجين، فإن ذلك لا يكون رشوةً للنبي أو الولي.. وهو يعلم أن النبي

والولي لا يأخذ ذلك لنفسه بل يعود نفعه إلى الفقراء والمحتاجين أو يستثمر في سبيل الله وفي نشر الدين والباذل إنما يبذل ذلك رغبة في الحصول على رضا الشافع الذي رضاه رضا الله.

هـ . أما إذا أدار ذلك المذنب ظهره للنبي والوصي ولم يلمس الشافع منه أنه يتحرق لتحصيل العفو والرضا عنه، ويقرع كل باب ويتوسل بكل ما من شأنه أن يحل هذا الاشكال، ويبادر إلى العمل بكل مايعلم أنه يرضي سيده عنه، فإنه لا يشفع له ولا كرامة..

و . ومن الواضح: أن من يكون جرمه هائلاً وعظيماً فإن إمكانية وفرص الإِقدام على الشفاعة له تتضاءل وتضعف..فلا يضع النبي والوصي نفسه في مواضع كهذه ولا يرضى الله سبحانه له ذلك. كما أن من يدير ظهره لأَولياء الله ولا يهتم لرضاهم ولا يزعجه سخطهم فإنه لا يستحق شفاعتهم قطعاً، لأَن الإِهتمام بهم وبرضاهم جزء من عبادته تعالى ومن المقربات إليه وموجبات رضاه.. فالتوسل إليهم والفوز بمحبتهم وبرضاهم سبيل نجاةٍ وطريق هدى وسلامةٍ وسعادة.

ز . إن من الواضح أن المجرم لا يمكن أن يتشفع في مجرم مثله، وأن المقصر لا يتشفع بنظيره، لأَن الشفاعة مقامٌ عظيمٌ وكرامةٌ إلَهية فلا يقبل الله سبحانه شفاعة كل أحد، بل الذين يشفعون هم أناسٌ مخصصون بكرامة الله سبحانه لأَنهم يستحقونها..

ح . قد ظهر مما تقدم: أن إرادة الله لم تكن قد تعلقت بالمغفرة للمذنب قبل الشفاعة لتكون شفاعة النبي أو الوصي بعدها . بالشكل . ومن دون أن يكون لها تسبيب حقيقي.. بل هناك تسبيب حقيقي للشفاعة، فإنها هي سبب المغفرة وهي سبب إرادة الله بأن يغفر لذلك المذنب ولو لم يقم الشافع بها لم يغفر الله لذلك المذنب.

ولولا ذلك فإنه لا يبقى معنى للشفاعة.. ولا يكون العفو إكراماً للشافع واستجابة له. انتهى.

تعريف الشفاعة في اللغة

. قال الخليل في كتاب العين ج ١ ص ٢٦٠

الشافع: الطالب لغيره، وتقول استشفعت بفلان فتشفع لي إليه فشفعه فيَّ. والإِسم: الشفاعة. واسم الطالب: الشفيع. قال:

زعمت معاشر أنني مستشفع * لما خرجت أزوره أقلامها

أي: زعموا أني أستشفع (بأقلامهم) أي بكتبهم إلى الممدوح، لا بل إني أستغني عن كتب المعاشر بنفسي عند الملك. والشفعة في الدار ونحوها معروفة يقضى لصاحبها. والشافع: المعين، يقال فلان يشفع لي بالعداوة، أي يعين علي ويضادني قال النابغة:أتاك امرؤ مستعلن شنآنه له من عدوٍّ مثل ذلك شافعأي: معين. وقال الاَحوص:بأنَّ من لامَنِي لاَصْرمها كانوا علينا بلومهم شفعواأي: أعانوا.

. وقال الراغب في المفردات ص ٢٦٣

الشفع: ضم الشيَء إلى مثله ويقال للمشفوع شفع. والشفع والوتر: قيل الشفع المخلوقات من حيث إنها مركبات كما قال: ومن كل شيء خلقنا زوجين. والوتر هو الله من حيث إن له الوحدة من كل وجه.

وقيل: الشفع يوم النحر من حيث إن له نظيراً يليه، والوتر يوم عرفة. وقيل الشفع ولد آدم والوتر آدم لاَنه لا عن والد.

والشفاعة: الإِنضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة في القيامة قال (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا. لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن. لا تغني شفاعتهم شيئاً. ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. فما تنفعهم شفاعة الشافعين، أي لا يشفع لهم. ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة. من حميم ولا شفيع. من يشفع شفاعة حسنة. ومن يشفع شفاعة سيئة، أي من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعاً له أو شفعياً في فعل الخير والشر فعاونه وقواه وشاركه في نفعه وضره.

وقيل الشفاعة هاهنا أن يشرع الإِنسان للآخر طريق خير أو طريق شر فيقتدي به، فصار كأنه شفع له وذلك كما قال عليه السلام: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، أي إثمها وإثم من عمل بها وقوله: ما من شفيع إلا من بعد إذنه، أي يدبر الاَمر وحده لا ثاني له في فصل الاَمر

إلا أن يأذن للمدبرات والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه. واستشفعت بفلان على فلان فتشفع لي، وشفعه أجاب شفاعته، ومنه قوله عليه السلام: القرآن شافع مشفع.

والشفعة: هو طلب مبيع في شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه، وهو من الشفع وقال عليه السلام: إذا وقعت الحدود فلا شفعة.

. وقال في المفردات ص ٤٣٦

وأما قوله: من يشفع شفاعة حسنة إلى قوله: يكن له كِفْلٌ منها، فإن الكفل ههنا ليس بمعنى الأَول بل هو مستعار من الكفل وهو الشيَء الردي.

. وقال الزبيدي في تاج العروس ج ٥ ص ٢٦٠

وشفعته فيه تشفيعاً حين شفع كمنع شفاعة، أي قبلت شفاعته، كما في العباب قال حاتم يخاطب النعمان:

فَكَكْتَ عديّاً كلها من إسارها * فأفضلْ وشفعني بقيسِ بن جُحْدرِ

وفي حديث الحدود: إذا بلغ الحد السلطان فلعن الله الشافع والمشفع.

وفي حديث أبي مسعود رضي الله عنه: القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، أي من اتبعه وعمل بما فيه فهو شافع له مقبول الشفاعة من العفو عن فرطاته، ومن ترك العمل به ندم على إساءته وصدق عليه فيما يرفع من مساويه، فالمشفع الذي يقبل الشفاعة.

والمشفع الذي تقبل شفاعته، ومنه حديث الشفاعة: إشفع تشفع، واستشفعه إلينا، وعبارة الصحاح واستشفعه إلى فلان أي سأله أن يشفع له إليه، وأنشد الصاغاني للأَعشى:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً * يا رب جنِّب أبي الأَوصاب والوجعا

واستشفعت من سراة الحي ذا شرف * فقد عصاها أبوها والذي شفعا

يريد والذي أعان وطلب الشفاعة فيها. وأنشد أبو ليلى:

زعمت معاشر أنني مستشفعٌ * لما خرجت أزوره أقلامها

قال زعموا أني أستشفع بأقلامهم في الممدوح أي بكتبهم.

ومما يستدرك عليه الشفيع من الأَعداد ما كان زوجاً، والشفع ما شفع به سمى بالمصدر، وجمعه شفاع، قال كثير:

وأخو الإِباءة إذ رأى خلانه * تلي شفاعاً حوله كالإِذخر

شبههم بالإِذخر لأَنه لا يكاد ينبت إلا زوجاً زوجاً. وشاة شفوع كشافع ويقال هذه شاة الشافع كقولهم صلاة الأَولى ومسجد الجامع.

وهكذا روى في الحديث الذي تقدم عن سعر بن ديسم رضي الله عنه، وشاة مشفع كمكرم ترضع كل بهيمة، عن ابن الأَعرابي. وتشفع إليه في فلان: طلب الشفاعة، نقله الجوهري. وتشفعه أيضاً مطاوع استشفع به كما في المفردات. وتشفع صار شافعي المذهب وهذه مولدة.

والشفاعة ذكرها المصنف ولم يفسرها وهي كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره. وشفع اليه في معنى طلب إليه. وقال الراغب: الشفع ضم الشيَ الى مثله، والشفاعة الإِنضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة. وقال غيره: الشفاعة التجاوز عن الذنوب والجرائم. وقال ابن القطاع: الشفاعة المطالبة بوسيلة أو ذمام.

تعريف الشفاعة عند المتكلمين

. قال الشريف المرتضى في رسائله ج ١ ص ١٥٠

وحقيقة الشفاعة وفائدتها: طلب إسقاط العقاب عن مستحقه، وإنما تستعمل في طلب إيصال المنافع مجازاً وتوسعاً، ولا خلاف في أن طلب إسقاط الضرر والعقاب يكون شفاعة على الحقيقة.

. وقال في ج ٣ ص ١٧

وشفاعة النبي صلى الله عليه وآله إنما هي في إسقاط عقاب العاصي لا في زيادة المنافع، لأَن حقيقة الشفاعة تختص بذلك، من جهة أنها لو اشتركت لكنا شافعين في النبي صلى الله عليه وآله إذا سألنا في زيادة درجاته ومنازله. انتهى.

. وقال في ج ٢ ص ٢٧٣

الشفاعة: طلب رفع المضار عن الغير ممن هو أعلى رتبة منه، لأَجل طلبه.

. وقال أبو الصلاح الحلبي في الكافي ص ٤٦٩

وقلنا: إن الشفاعة وجهٌ عندنا لِإجماع الاَمة على ثبوتها له صلى الله عليه وآله ومضى إلى زمان حدوث المعتزلة على الفتوى بتخصيصها بإسقاط العقاب، فيجب الحكم بكونها حقيقة في ذلك، لانعقاد الإِجماع في الاَزمان السابقة لحدوث هذه الفرقة.

. تفسير التبيان ج ٥ ص ٣٣٤

قوله تعالى: إن ربكم الله الذي خلق السموات والاَرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الاَمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه، ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون...

وقوله: وما من شفيع إلا من بعد إذنه، فالشفيع هو السائل في غيره لِإسقاط الضرر عنه. وعند قوم أنه متى سأله في زيادة منفعة توصل إليه كان شفيعاً. والذي اقتضى ذكره هاهنا صفات التعظيم مع اليأس من الإِتكال في دفع الحق على الشفيع.

والمعنى هاهنا أن تدبيره للاَشياء وصنعته لها، ليس يكون منه بشفاعة شفيع، ولا تدبير مدبر لها سواه، وأنه لا يجسر أحدٌ أن يشفع اليه إلا بعد أن يأذن له فيه، من حيث كان تعالى أعلم بموضع الحكمة والصواب من خلقه بمصالحهم...

وإنما ذكر الشفيع في الآية ولم يجر له ذكر، لاَن المخاطبين بذلك كانوا يقولون الاَصنام شفعاؤهم عند الله، وذكر بعدها: ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا

ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وإذا كانت الاَصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة ! مع أنه لا يشفع عنده إلا من ارتضاه الله.

. كنز الدقائق ج ١ ص ٢٣٨

واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون. واستدلت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاَهل الكبائر.

قال البيضاوي: وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والاَحاديث الواردة في الشفاعة، قال: ويؤيده أن الخطاب معهم، والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم.

أقول: الآية يحتمل أن تكون مخصصة للآيات والاَحاديث الواردة في الشفاعة الدالة على عمومها، كما أن كون الخطاب معهم يحتمل أن يكون مؤيداً للتخصيص بالكفار، فلا يتم الإِستدلال من الجانبين، فتأمل.

. مجمع البحرين ج ٢ ص ٥٢٢

قال تعالى: ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، قيل معناه من يصلح بين اثنين يكن له جزء منها. ومن يشفع شفاعة سيئة، أي يمشي بالنميمة مثلاً، يكن له كفل منها أي إثم منها.

وقيل المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين، وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم.

قوله: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، دينه، وهو مروي عن الرضا عليه السلام وعن بعض المفسرين ولا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة. قال الصدوق: المؤمن من تسره حسنته وتسوءه سيئته لقول النبي صلى الله عليه وآله: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، ومتى ساءته سيئته ندم عليها والندم توبة، والتائب مستحق الشفاعة والغفران. ومن لم تسوؤه سيئته فليس بمؤمنٍ ومن لم يكن مؤمناً لم يستحق الشفاعة، لاَن الله تعالى غير مرتضٍ دينه.

قوله: فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل في معناه لا شافع ولا شفاعة، فالنفي راجع إلى الموصوف والصفة، كقوله لا يسألون الناس إلحافاً.

وفي الحديث تكرر ذكر الشفاعة فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: أعطيت الشفاعة.

قال الشيخ أبو علي: واختلفت الاَمة في كيفية شفاعة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة فقالت المعتزلة ومن تابعهم: يشفع لاَهل الجنة ليزيد في درجاتهم. وقال غيرهم من فرق الاَمة: بل يشفع لمذنبي أمته ممن ارتضى الله دينهم، ليسقط عقابهم بشفاعته.

وفي حديث الصلاة على الميت: وإن كان المستضعف بسبيل منك فاستغفر له على وجه الولاية. وفي الخبر: إشفع تشفع، أي تقبل شفاعتك، وفيه: أنت أول شافع وأول مشفع، هو بفتح الفاء، أي أنت أول من يشفع وأول من تقبل شفاعته. وفي الحديث: لا تشفع في حق امرئَ مسلم إلا بإذنه. وفيه: يشفعون الملائكة لإجابة دعاء من يسعى في المسعى كأنهم يقولون: اللهم استجب دعاء هذا العبد.

. تفسير الرازي ج ٢ جزء ٣ ص ٥٥

أجمعت الاَمة على أن لمحمد (ص) شفاعة في الآخرة، وحمل على ذلك قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، وقوله تعالى: ولسوف يعطيك ربك فترضى... ثم اختلفوا بعد هذا في أن شفاعته عليه السلام لمن تكون ؟ أتكون للمؤمنين المستحقين

للثواب، أم تكون لأَهل الكبائر المستحقين للعقاب ؟ فذهب المعتزلة إلى أنها للمستحقين للثواب... وقال أصحابنا تأثيرها في إسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب.

* *

الفصل الثاني

تحريف اليهود والنصارى للشفاعة

أولاً: مقولاتهم في الشفاعة من مصادرهم

عراقة عقيدة الشفاعة

. قاموس الكتاب المقدس ص ٥١٣

شفع . شفيع . شفاعة: وهي التوسط بين شخص وآخر. وهي دليل محبة الإنسان لإخيه الإنسان. كما أنها مؤسسة على أن معاملة الله للبشر معاملة ليست فردية فحسب بل جماعية أيضاً.

والصلاة الشفاعية قديمة قدم نوح (تك ٨: ٢٠ و ٢٢) وإبراهيم (تك ١٧: ١٨ و٢٣ . ٣٣) وموسى (خر ١٥: ٢٥.)

وخليفة موسى الذي رفع صلواته كقاضي وكاهن ونبي هو صموئيل (١ صم ٧:٥

و ٨) وحياة المسيح كانت مليئة بالصلوات الشفاعية. بل إن الصلاة الربانية تحمل روح الشفاعة في طلب الملكوت ومغفرة ذنوب الآخرين.

والصلاة الشفاعية يرفعها الإنسان لأَجل صديق أو لأَجل عدو (مت ٥: ٤٤) أما الروح القدس فهو يشفع فينا (رو ٨: ٢٦) أما المسيح في حياته الشخصية وموته على الصليب فهو شفيعنا الذي ساقته شفاعته للموت على الصليب كفارة لخطايا البشرية. أنظر (وسيط.(

. قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٣

وكان موسى وسيطاً بين الله وشعب بني إسرائيل وهكذا المسيح هو وسيط بين الله والناس.

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٠٧

18. لأَنه إن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضاً من موعد. ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعد.

19. فلماذا الناموس. قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد له مرتباً بملائكة في يد وسيط.

20. وأما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد.

شفاعة ابراهيم للمؤمنين ولِإسماعيل ولوط

. قاموس الكتاب المقدس ص ١١

ثم أعلن الرب لإبراهيم خراب سدوم وعمورة بسبب شرهما فتشفع إبراهيم لأَجل الأَبرار هناك فأنقذ الرب لوطاً بيد ملاكين (تك ص ١٨ و ١٩)... وحيثما سكن إبراهيم كان يقيم مذبحاً للرب ويدعو باسمه (تك ١٢: ٧ و ٨) وقد قدم صلوات تشفعية لأجل الآخرين ففي تك ١٧:٢٠ صلى لأَجل إسماعيل وفي تك ١٨: ٢٣ . ٣٢ تشفع لأَجل لوط.

شفاعة زكريا لبني إسرائيل

. قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤١

كما ظهر لزكريا بروح النبوة واقفاً على هذا الجبل شافعاً في شعبه (زك ١٤: ٤(

البشارة بالشفيع الذي سيأتي (البراقليطس(

. قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢٧

معز: (يو ١٤: ١٦ و ١٥: ٢٦ و ١٦: ٧) وهو الروح القدس. ولم ترد إلا في إنجيل يوحنا. والكلمة الأَصلية اليونانية (پرا كليتيس) وتعني (معز ومعين وشفيع ومحام) وتشير إلى عمل الروح القدس لأَجلنا.

توسيع بولس للشفاعة وحصرها بالمسيح

. قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٤

ومع أن بني الإنسان قد فقدوا الصورة الإلَهية التي خلقوا عليها، ومع أنهم وقعوا تحت طائلة العقاب الإلَهي الرهيب، إلا أنهم بسبب عمل الفداء أهل لأَن ينالوا غفران خطاياهم غفراناً تاماً كاملاً إذا آمنوا بالرب يسوع المسيح (الشفيع الوحيد بين الله والناس) وندموا على خطاياهم ندامة صحيحة حقيقية، وأصبحوا أهلاً للتحرر من عبودية الخطيئة ورقها والإنتقال إلى حرية أبناء الله بالنعمة المجانية.

. قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٥

وقد وصف يسوع بأنه رئيس كهنة المؤمنين العظيم الذي نضح قدس الأَقداس السماوي بدمه، والذي جلس عن يمين الآب هناك حيث هو الآن يشفع فيهم (عب ٤: ١٤ و٧: ٢٥ و ٩: ١٢) الخ.

. قاموس الكتاب المقدس ص ٨٦٩

وأعلن لهم أن يهوذا الذي كان واحداً منهم سيسلمه (مر ١٤: ١٨ . ٢١ ويو ١٣ ٢١ . ٣٠) ورسم لهم فريضة العشاء الرباني (مت ٢٦: ٢٦ . ٢٩ وما يليه) ثم قدم صلاته

الشفاعية العظمى من أجل أتباعه (يو ١٧: ١ . ٢٦. من ثم قدم نفسه نهائياً للأَب وسلم إرادته تسليماً كلياً له في بستان جثسيماني (مت ٢٦: ٣٩ . ٤٦ غيره.(

. قاموس الكتاب المقدس ص ٨٨٩

وسيط ١ تي ٢: ٥ وسيط العهد الجديد عب ١٢: ٢٤

. قاموس الكتاب المقدس ص ٩٠٤

وكذلك يذكر فيلو (ملكي صادق) كرمز ومجاز للعقل الصائب الخير، بينما يذكره كاتب الرسالة إلى العبرانيين رمزاً للمسيح الفادي والوسيط الأَعظم.

. العهد القديم والجديد ج ٢ ص ٥٧

لأَن معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينالأَن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها.

13. تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلَهنا. تكلمنا بالظلم والمعصية، حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب.

14. وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً. لأَن الصدق سقط في الشارع والإستقامة لا تستطيع الدخول.

15. وصار الصدق معدوماً والحائد عن الشر يسلب، فرأى الرب وساء.

16. فرأى أنه ليس إنسان وتحير من أنه ليس شفيع...

34. من هو الذي يدين. المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا.

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٣٩

5. لأَنه يوجد إلَه واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح.

6. الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع، الشهادة في أوقاتها الخاصة.

7. التي جعلت أنا لها كارزاً ورسولاً. الحق أقول في المسيح ولا أكذب. معلماً للأمم في الإيمان والحق.

8. فأريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٢٥٦

26. وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاءنا، لأَننا لسنا نعلم ما نصلي لأَجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها.

27. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأَنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين.

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٥٨

25. فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم.

26. لأَنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات.

27. الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه.

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٦١

11. وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأَعظم والأَكمل غير المصنوع بيد أي الذين ليس من هذه الخليقة.

12. وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأَقداس، فوجد فداء أبدياً.

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٦٢

ولأَجل هذا هو وسيط عهد جديد، لكي يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأَول، ينالون وعد الميراث الأَبدي.

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٦٧

22. بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية ،وإلى ربوات هم محفل ملائكة.

23. وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين.

24. وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل.

25. انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم. لأَنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأَرض، فبالأَولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذي من السماء.

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٨٦

1. يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار.

2. وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً.

3. وبهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه.

* *

نفهم من هذه النصوص ملامح حقائق عديدة أهمها:

أولاً:

أن أصل شفاعة الأَنبياء والأَوصياء وخيار المؤمنين للخاطئين، هي عندهم كما عندنا، أمرٌ ثابتٌ في الرسالات الإِلَهية من عهد إبراهيم، بل من عهد نوح عليهما السلام.

ثانياً:

أنها أخذت في اليهود شكل شفاعة رؤساء الكهنة ومسؤولي القرابين في المعابد، ثم وصلت إلى ادعاء اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار، وأنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة.. فلا يحتاجون إلى شفاعة!

ثالثاً:

أن (عقيدة الفداء المسيحية) التي تدعي أن المسيح عليه السلام قد شفع في خطايا كل البشر بتحمله الصلب والقتل.. هي توسيع لعقيدة الشفاعة اليهودية، وقد اخترعها بولس الذي نصَّرَ النصارى، وعممها لغير القومية اليهودية.

. قال الدكتور أحمد شلبي في كتابه مقارنة بين الأَديان ج ٢ ص ٢٤٥ تحت عنوان: الله في التفكير المسيحي:

ومن أجل هذا كان نقل المسيحية من الوحدانية إلى التثليث ونقل عيسى من رسول إلى إلَه، والقول بأ ن المسيحية رسالة عامة، والقول بأ ن عيسى ابن الله نزل ليضحي بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر، وأنه عاد مرة أخرى إلى السماء ليجلس على يمين أبيه، كان هذا كله عملاً جديداً على المسيحية التي جاء بها عيسى.

كيف انتقلت المسيحية من حال إلى حال ومن الذي قام بذلك ومتى ؟.

هذا ما سنحاول إبرازه فيما يلي:

ترتبط هذه الأَمور بشخصية مهمة في المسيحية هي شخصية شاؤول (بولس) ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه العناصر الجديدة من صنع هذا الرجل!...

وبولس كما يقول عن نفسه (يهودي فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأَموات . أعمال الرسل ٢٣: ٦) وكان عدواً للمسيحيين وهو في ذلك يقول (سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي (غلاطية ١: ١٣ . ١٤.(

ويبدو أنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحطم معتقداتها واتجاهاتها المقدسة، ووضع لذلك طريقة تكفل له الوقوف في وجه معارضيه عندما يظهر بأفكاره الجديدة، فادعى شاؤول أن السيد المسيح ـ بعد نهايته على الأَرض ـ ظهر له وصاح فيه وهو فى طريقه إلى دمشق: لماذا تضطهدني، فخاف شاؤول وصرخ: من أنت يا سيد ؟ قال: أنا يسوع الذي تضطهده ! قال شاؤول: ماذا تريد أن أفعل ؟ قال يسوع: قم وكرز بالمسيحية!!

ويقول لوقا في ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ هي:

وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أنه ابن الله(أعمال ٩: ٣ ـ ٣٠) انتهى.

رابعاً:

أن الإِتجاه العام عند محرفي الأَديان بعد أنبيائهم هو تسهيل أمر المغفرة الإِلَهية ودخول الجنة لأَتباعهم، والإِفراط في ذلك الى حد إلغاء قانون العقوبة الإِلَهية، وفي المقابل التشدد مع خصومهم ومخالفيهم من التابعين لنفس الدين، والحكم عليهم بأنهم من أهل النار!

خامساً:

بما أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله بأحاديث صحيحة عند الجميع، أن الأَمة الإِسلامية سوف تتبع سنن اليهود والنصارى في انحرافها عن الإِسلام وتحريفها له، وفي صراعاتها الداخلية.. فإن على الباحث أن يكون حذراً متثبتاً في أحاديث الصحابة في الشفاعة، لكي يميز بين الثابت منها بنصوص متفق عليها عند جميع المسلمين، وبين الذي يتبناه صحابي نافذ، أو فئة حاكمة، وفي نفس الوقت يوجد في الصحابة من ينفيه أو يكذبه!

ثانياً: مقولاتهم في الشفاعة من مصادرنا

قال الله تعالى:

وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم، بل أنتم بشر ممن خلق، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأَرض وما بينهما وإليه المصير. يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما

جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيَ قدير. المائدة ١٨ .
١٩

. تفسير التبيان ج ٣ ص ٤٧٧

وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه... روي عن ابن عباس أن جماعة من اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وآله حين حذرهم بنقمات الله وعقوباته فقالوا: لا تخوفنا فإنا أبناء الله وأحباؤه.

وقال السدي: إن اليهود تزعم أن الله عز وجل أوحى إلى بني اسرائيل أن ولدك بكر من الولد. وقال الحسن: إنما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد.

وأما قول النصارى فقيل فيه: إنهم تأولوا ما في الإنجيل من قول عيسى أذهب إلى أبي وأبيكم. وقال قوم: لما قالوا المسيح ابن الله أجرى ذلك على جميعهم كما يقولون: هذيل شعراء، أي منهم شعراء...

وقوله: وأحباؤه، جمع حبيب فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: قل لهؤلاء المفترين على ربهم: فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ فلأَي شيء يعذبكم بذنوبكم إن كان الاَمر على ما زعمتم، فإن الاَب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه.

واليهود تقرُّ أنهم يعذبون أربعين يوماً، وهي عدد الاَيام التي عبدوا فيها العجل!

وقوله: بل أنتم بشر، معناه قل لهم ليس الاَمر على ما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه، بل أنتم بشر ممن خلق من بني آدم، إن أحسنتم جوزيتم على إحسانكم مثلهم، وإن أسأتم جوزيتم على إساءتكم، كما يجازى غيركم، وليس لكم عند الله إلا ما لغيركم من خلقه.

. تفسير التبيان ج ١ ص ٤٨٦

أتحاجوننا في الله...وكانت محاجتهم له صلى الله عليه وآله أنهم زعموا أنهم أولى بالحق لاَنهم راسخون في العلم وفي الدين، لتقدم النبوة فيهم والكتاب، فهم أولى بأن يكون الرسول منهم.

وقال قوم: بل قالوا نحن أحق بالإيمان، لاَنا لسنا من العرب الذين عبدوا الاَوثان. وقال الحسن: كانت محاجتهم أن قالوا نحن أولى بالله منكم، وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا.

وغرضهم بذلك الإحتجاج بأن الدين ينبغي أن يلتمس من جهتهم، وأن النبوة أولى أن تكون فيهم. وليس الاَمر على ما ظنوا، لاَن الله أعلم حيث يجعل رسالته، ومن الذي يقوم

بأعبائها ويتحملها على وجه يكون أصلح للخلق وأولى بتدبيرهم. وقوله: لنا أعمالنا، معناه الإنكار لاحتجاجهم بأعمالهم، لأنهم مشركون ونحن له مخلصون. وقيل معناه الإنكار للإحتجاج بعبادة العرب للأوثان، فقيل: لا حجة في ذلك، إذ لكل أحد عمله لا يؤخذ بجرم غيره.

. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٠٣

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء، وبحرى بن عمرو، وشاس بن عدي، فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد ؟ ! نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى فأنزل الله تعالى فيهم: وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم... الخ. ورواه فيالدر المنثور ج ٢ ص ٢٦٩ عن ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل، عن ابن عباس.

. الدر المنثور ج ٢ ص ١٤

عن قتادة: وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون، حين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد: وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون، قال: غرهم قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة.

. الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٠

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم، قال: هم اليهود والنصارى، قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى.

وأخرج ابن جرير عن السدي في قوله: ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم، قال: نزلت في اليهود قالوا: إنا نعلم أبناءنا التوراة صغاراً فلا يكون لهم ذنوب، وذنوبنا مثل ذنوب أبنائنا، ما عملنا بالنهار كُفِّرَ عنا بالليل.

. الدر المنثور ج ٣ ص ٣٧

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: وخرقوا له بنين وبنات، قال كذبوا له، أما اليهود والنصارى فقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وأما مشركوا العرب فكانوا

يعبدون اللات والعزى، فيقولون: العزى بنات الله، سبحانه وتعالى عما يصفون، أي عما يكذبون..

وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأَزرق قال له: أخبرني عن قوله: وخرقوا له بنين وبنات، قال: وصفوا لله بنين وبنات افتراء عليه، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

اخترق القول بها لاهياً * مستقبلاً أشعث عذب الكلام

. الدر المنثور ج ١ ص ٨٩

أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، فأنزل الله: قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، فلم يفعلوا.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس في هذه الآية قال: قل لهم يا محمد إن كانت لكم الدار الآخرة، يعني الجنة كما زعمتم خالصة من دون الناس، يعني المؤمنين فتمنوا الموت إن كنتم صادقين أنها لكم خالصة من دون المؤمنين. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كنتم في مقالتكم صادقين قولوا: اللهم أمتنا، فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه، فأبوا أن يفعلوا وكرهوا ما قال لهم، فنزل: ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم، يعني عملته أيديهم والله عليم بالظالمين.

وأخرج ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: فتمنوا الموت، أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب، فأبوا ذلك، ولو تمنوه يوم قال ذلك ما بقي على وجه الأَرض يهودي إلا مات.

وأخرج ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة، يعني اليهود، ومن الذين أشركوا، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخزي بما ضيع ما عنده من العلم.

وقال الله تعالى:

وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده، أم تقولون على الله ما لا تعلمون. بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. البقرة ٨٠ . ٨٢

. تفسير التبيان ج ١ ص ٣٢٣

قالوا لن تمسنا النار ولن ندخلها إلا أياماً معدودة، وإنما لم يبين عددها في التنزيل لاَنه تعالى أخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الاَيام التي يوقتونها في النار، فلذلك نزل تسمية عدد الاَيام وسماها معدودة لما وصفنا. وقال أبو العالية وعكرمة والسدي وقتادة: هي أربعون يوماً. ورواه الضحاك عن ابن عباس. ومنهم قال: إنها عدد الاَيام التي عبدوا فيها العجل.

وقال ابن عباس: إن اليهود تزعم أنهم وجدوا في التوراة مكتوباً إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم واحد، فإذا انقطع المسير انقطع العذاب، وهلكت النار.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس: إنها سبعة أيام، لاَن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنهم يعذبون بعدد كل ألف سنة يوماً واحداً من أيام الآخرة، وهو كألف سنة من أيام الدنيا.

ولما قالت اليهود ما قالت من قولها: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة على ما بيناه، قال الله تعالى لنبيه: قل أتخذتم عند الله عهداً بما تقولون من ذلك أو ميثاقاً، فالله لا ينقض عهده، أم تقولون على الله ما لا تعلمون من الباطل جهلاً وجرأة عليه...

قوله تعالى: بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون... قوله بلى جواب لقوله لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، فرد الله عليهم بأن قال: بلى من أحاطت به خطيئته...

. كنز الدقائق ج ٢ ص ٤٧

بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة: بسبب تسهيلهم أمر العذاب. وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون، من قولهم السابق، أو أن آبائهم الاَنبياء يشفعون لهم، أو أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم، وتكرير الكذب والاِفتراء يصيره في صورة الصدق عند قائله ومفتريه.

. تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٩٣

في تفسير علي بن ابراهيم قوله: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، قال: قال بنو اسرائيل: لن تمسنا النار ولن نعذب إلا الأيام المعدودات التي عبدنا فيها العجل، فرد الله عليهم قل: يا محمد لهم أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده، أم تقولون على الله ما لا تعلمون.

. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٨٠

وقالوا: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون.

قال ابن إسحاق: وحدثني مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك من قولهم: وقالوا لن تمسنا النار إلا أيام معدودة، قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون. بلى كسب سيئة وأحاطت به خطيئته، أي من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عند الله من حسنة، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، أي خلداً أبداً. والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. أي من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن

الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ولا انقطاع له.

قال ابن إسحاق: ثم قال الله عز وجل يؤنبهم: وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل، أي ميثاقكم، لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، ثم توليتم إلا قليلاً منكم، وأنتم معرضون. أي تركتم ذلك كله...

. الدر المنثور ج ١ ص ٨٤

قوله تعالى: وقالوا لن تمسنا النار الآية. أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والواحدي عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة...الخ.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال: اجتمعت يهود يوماً فخاصموا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات، وسموا أربعين يوماً ثم يخلفنا فيها ناس وأشاروا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد يده على رؤسهم: كذبتم بل أنتم خالدون مخلدون فيها لا نخلفكم فيها إن شاء الله تعالى أبداً، ففيهم أنزلت هذه الآية: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، يعنون أربعين ليلة.

وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لليهود: أنشدكم بالله وبالتوراة التي أنزل الله على موسى يوم طور سيناء: من أهل النار الذين أنزلهم الله في التوراة قالوا: إن ربهم غضب عليهم غضبة فنمكث في النار أربعين ليلة ثم نخرج فتخلفوننا فيها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبتم والله لا نخلفكم فيها أبداً، فنزل القرآن تصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيباً لهم: وقالوا لن تمسنا النار إلى قوله هم فيها خالدون.

. مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣١٤

قوله تعالى: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة عن ابن عباس أن يهوداً كانوا

يقولون هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب لكل سنة يوماً في النار وإنما سبعة أيام معدودات، فأ نزل الله عز وجل: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، إلى قوله: فيها خالدون.

* *

وقال الله تعالى:

وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون. البقرة ١١١ . ١١٢

. يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين. واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون. البقرة ٤٧ . ٤٨

. قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم. آل عمران . ٣١

. إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيما. ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً. أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبينا. ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا. النساء ٤٨ . ٥١

. تفسير التبيان ج ٣ ص ٢٢٠

وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم. قال الزجاج: اليهود جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله بأولادهم الأَطفال فقالوا: يا محمد أعلى هؤلاء ذنوب ؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا، فقالوا: كذلك نحن ما نعمل بالليل يغفر بالنهار، وما نعمل بالنهار يغفر بالليل، فقال الله تعالى: بل الله يزكي من يشاء.

وقال: مجاهد وأبو مالك: كانوا يقدمونهم في الصلاة ويقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: كانوا يقولون: أطفالنا يشفعون لنا عند الله.

. كنز الدقائق ج ٢ ص ٥٨

قال الله تعالى:

إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم...

قال البيضاوي: روي أنها نزلت لما قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقيل: نزلت في وفد نجران لما قالوا: إنا نعبد المسيح حباً لله.. انتهى.

. حقائق التأويل ص ١٢٦

وقال بعضهم إنهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فالخلائق غيرنا عبيد لنا ومنخفضون عن علونا، فليس علينا جناح في أكل أموال عبيدنا ومن هم في الرتبة دوننا. قال صاحب هذا القول: واليهود يتدينون باستحلال أموال كل من خالفهم باستعمال الغش في معاملاتهم، ويدعون أن ذلك فرض عليهم في دينهم، وليس تأولهم لذلك على حد ما يتأوله المسلمون في أهل الحرب.

وذهب أبو علي إلى أن قولهم: ليس علينا في الأَميين سبيل، إنما يعنون به ليس علينا لهم سلطان ولا قدرة، فلا يجب علينا اتباعهم ولا النزول تحت حكمهم، يريدون بذلك النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، فلذلك استحلوا أموالهم. انتهى.

. تفسير التبيان ج ١ ص ٢١٣

وقوله: ولا يقبل منها شفاعة، مخصوص عندنا بالكفار، لاَن حقيقة الشفاعة عندنا أن يكون في إسقاط المضار دون زيادة المنافع. والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي صلى الله عليه وآله فيشفعه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحقين من أهل الصلاة، لما روي من قوله صلى الله عليه وآله: ادخرت شفاعتي لاَهل الكبائر من أمتي...

والشفاعة ثبتت عندنا للنبي صلى الله عليه وآله وكثير من أصحابه، ولجميع الاَئمة المعصومين،

وكثير من المؤمنين الصالحين.

وقيل إن نفي الشفاعة في هذه الآية يختص باليهود من بني إسرائيل، لاَنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه، وأن آباءهم يشفعون إليه، فآيسهم الله من ذلك فأخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص.

. تفسير التبيان ج ٣ ص ٢١

قوله تعالى:

ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء، ولا يظلمون فتيلا... قال الحسن والضحاك وقتادة وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام: إنهم اليهود والنصارى في قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم.

قال الزجاج: اليهود جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله بأولادهم الاَطفال فقالوا: يا محمد أعلى هؤلاء ذنوب ؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا، فقالوا: كذلك نحن ما نعمل بالليل يغفر بالنهار وما نعمل بالنهار يغفر بالليل، فقال الله تعالى: بل الله يزكي من يشاء. وقال: مجاهد وأبو مالك: كانوا يقدمونهم في الصلاة ويقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: كانوا يقولون: أطفالنا يشفعون لنا عند الله.

. تفسير التبيان ج ٣ ص ٢٢٢

وافتراؤهم الكذب على الله هاهنا المراد به تزكيتهم لاَنفسهم بأنا أبناء الله وأحباؤه، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، ذكره ابن جريج. وقوله: وكفى به إثماً مبيناً، معناه تعظيم إثمه، وإنما يقال كفى به في العظم على جهة المدح أو الذم كقولك كفى بحال المؤمن نبلاً، وكفى بحال الكافر إثماً.

. تفسير التبيان ج ٣ ص ٧٦

وقوله: ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا... قال البلخي: إنهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وأهل الصوم والصلاة. وليسوا بأولياء الله ولا أحباؤه ولا أهل الصلاة

والصيام، ولكنهم أهل شرك ونفاق. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام...

. تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٨٩

في نهج البلاغة من كلام له عليه السلام يصف فيه المتقين: لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير، فهم لاَنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زُكي أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون. انتهى.

* *

هذا، والآيات والاَحاديث في تحريفات اليهود للشفاعة ومقولاتهم فيها كثيرة، وسوف نرى أن بعض الصحابة قد أخذوا أفكار اليهود وتحريفاتهم للشفاعة حرفاً بحرف، حَذْوَ القُذَّةِ بالقذة، والنعل بالنعل.. كما أخبر به الصادق الاَمين صلى الله عليه وآله!

* *

الفصل الثالث

الشفاعة عند عرب الجاهلية

تدل آيات القرآن الكريم على أن عبادة العرب للاَصنام كانت على أساس أنها رموز لمخلوقات مقربة عند الله تعالى تشفع لهم عنده. قال الله عز وجل:

. ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون، ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين. الروم ١٢ . ١٣

. أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون. إني إذا لفي ضلال مبين. يس ٢٣ . ٢٤

. أم اتخذوا من دون الله شفعاء، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون. قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والاَرض ثم إليه ترجعون. وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون. الزمر ٤٣ . ٤٥

. لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ، لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء، سبحانه هو الله الواحد القهار. الزمر ٣ . ٤

. رسائل الشريف المرتضى ج ٣ ص ٢٢٣

حكى أبو عيسى الوراق في كتابه كتاب المقالات أن العرب صنوف شتى: صنف أقر بالخالق وبالإبتداء والإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الاَصنام، زعموا لتقربهم إلى الله زلفى ومعبراً إليها، ونحروا لها الهدايا ونسكوا لها النسائك، وأحلوا لها وحرموا.

ومنهم صنف أقروا بالخالق وبابتداء الخلق وأنكروا الإعادة والبعث والنشور.

ومنهم صنف أنكروا الخالق والبعث والإعادة، ومالوا إلى التعطيل والقول بالدهر، وهم الذين أخبر القرآن عن قولهم: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر.

ومنهم صنف مالوا إلى اليهودية، وآخر إلى النصرانية.

. رسائل الشريف المرتضى ج ٣ ص ٢٢٨

وقد عبد الاَصنام قوم من الاَمم الماضية من أهل الهند والسند وغيرها، وقد أخبر الله تعالى عن قوم نوح أنهم عبدوها أيضاً فقال: لا تذرن آلهتكم وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً... وكان (سواع) لهذيل وكان برهاط وكان بدومة الجندل، وكان (يغوث) لمذحج ولقبائل اليمن، وكان (نسر) لذي الكلاع بأرض حمير، وكان (يعوق) لهمدان، وكانت (اللات) لثقيف وكانت بالطائف، وكانت (العزى) لقريش وجميع بني كنانة وسدنتها من بني سليم، وكانت (مناة) للاَوس والخزرج وغسان وكانت بالمسلك، وكان (الهبل) أعظم أصنامهم عند أنفسهم وكان على الكعبة. وكان (أساف ونائلة) على الصفا والمروة، ووضعهما عمرو بن يحيى فكان يذبح عليهما تجاه الكعبة.

. مجمع الزوائد ج ٧ ص ١١٥

عن ابن عباس أن العزى كانت ببطن نخلة، وأن اللات كانت بالطائف، وأن مناة كانت بقديد، قال علي بن الجعد: بطن نخلة هو بستان بني عامر.

. تفسير القمي ج ٢ ص ٢٥٠

قوله: أم اتخذوا من دون الله شفعاء، يعني الأَصنام ليشفعوا لهم يوم القيامة، وقالوا إن فلاناً وفلاناً يشفعون لنا عند الله يوم القيامة. وقوله: قل لله الشفاعة جميعاً، قال: لا يشفع أحد إلا بإذن الله تعالى.

. تفسير القمي ج ٢ ص ٢٨٩

وقال علي بن ابراهيم: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة، قال: هم الذين قد عبدوا في الدنيا، لا يملكون الشفاعة لمن عبدهم.

. تفسير التبيان ج ٤ ص ٢٠٧

وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء... يقول تعالى لهؤلاء الكفار: ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة. وقال عكرمة: إن الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة حيث قال: سوف يشفع فيَّ اللات والعزى، فنزلت الآية.

وقوله: لقد تقطع بينكم، أي وصلكم. وضل عنكم ما كنتم تزعمون، أي جار عن طريقكم ما كنتم تزعمون من آلهتكم أنه شريك لله تعالى، وأنه يشفع لكم عند ربكم، فلا شفيع لكم اليوم.

. تفسير التبيان ج ٩ ص ٣٣

ثم أخبر عن هؤلاء الكفار فقال (أم اتخذوا) معناه بل اتخذ هؤلاء الكفار (من دون الله شفعاء) بزعمهم من الأَصنام والأَوثان فقال (قل) لهم يا محمد: أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون، تنبيهاً لهم على أنهم يتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يقدرون على شيَ من الشفاعة، ولا غيرهما ولا يعقلون شيئاً. والألَف في (أ ولو(

ألف الإستفهام يراد به التنبيه.

ثم قال (قل) لهم يا محمد (لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأَرض) أي الشفاعة لمن له التدبير والتصرف في السموات والأَرض، ليس لأَحد الإعتراض عليه في ذلك.

ثم إليه ترجعون، معاشر الخلق أي إلى حيث لا يملك أحد التصرف والأَمر والنهي سواه، وهو يوم القيامة فيجازي كل إنسان على عمله على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب.

. الدر المنثور ج ٣ ص ٣٠٢

فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً... أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال قال النضر: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى، فأنزل الله تعالى: فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون. ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. ومثله في ج ٣ ص ٨

. الدر المنثور ج ٥ ص ٣٢٩

قوله تعالى: أم اتخذوا من دون الله شفعاء.. أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله: أم اتخذوا من دون الله شفعاء قال: الآلهة.

. الدر المنثور ج ٣ ص ١٤٩

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس في قوله: وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال: اشتقوا العزى من العزيز، واشتقوا اللات من الله.

مكانة اللات والعزى عند مشركي العرب

كان لصنمي اللات والعزى مكانة عظيمة عند قريش خاصة، وعند بعض قبائل العرب، ويليهما صنم مناة، أما هبل فهو وإن كان الإِلَه الأَكبر عندهم ولكن ارتباطهم المباشر وقَسَمَهُم الرسمي ومراسم عبادتهم الأَساسية إنما كانت للات والعزى، وليس لهبل..

. قال المحدث البحراني في حلية الأَبرار ج ١ ص ١٢٧

الشيخ في أماليه بإسناده عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قتلى بدر فقال: جزاكم الله من عصابة شراً ! لقد كذَّبتموني صادقاً، وخوَّنتموني

أميناً. ثم التفت إلى أبي جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون ! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وَحَّدَ الله، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى !! راجع أمالي الطوسي ج ١ . ٣١٦ . والبحار ج ١٩ . ٢٧٢ ح ١١ ومثله في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٩١(

. وقال في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢١

وعن رجل من بني مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: يا أيها الناس قولوا لا إلَه إلا الله تفلحوا، قال وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول: لا يغوينكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى، وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قلت: إنعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: بين بردين أحمرين، مربوع، كثير اللحم، حسن الوجه، شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٨

وأخرج أبونعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: ما كان أبو لهب إلا من كفار قريش، ما هو حتى خرج من الشعب حين تمالاَت قريش حتى حصرونا في الشعب وظاهرهم، فلما خرج أبو لهب من الشعب لقي هنداً بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه فقال: يا ابنة عتبة هل نصرتُ اللات والعزى ؟ قالت: نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة ! قال: إن محمداً يعدنا أشياء لا نراها كائنة، يزعم أنها كائنة بعد الموت فما ذاك! وصنع في يدي ثم نفخ في يديه، ثم قال: تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ! فنزلت: تبت يدا أبي لهب. قال ابن عباس: فحصرونا في الشعب ثلاث سنين وقطعوا عنا الميرة، حتى أن الرجل ليخرج منا بالنفقة فما يبايع حتى يرجع، حتى هلك فينا من هلك!!

اليمين الرسمي المقدس عند قريش باللات والعزى

. روى الحاكم في المستدرك ج ١ ص ١٦٣

عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي تبكي فقال: يابنية ما يبكيك قالت: يا أبت مالي لا أبكي وهؤلاء الملأ من قريش في الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الاَخرى لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك ! فقال يا بنية إئتني بوضوء فتوضأ رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا: ها هوذا، فطأطأوا رؤوسهم وسقطت أذقانهم بين يديهم، فلم يرفعوا أبصارهم ! فتناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها وقال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصاته إلا قتل يوم بدر كافراً. هذا حديث صحيح، قد احتجا جميعاً بيحيى بن سليم. واحتج مسلم بعبد الله بن عثمان بن خثيم ولم يخرجاه. انتهى. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٢٨ وقال: رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

. وروى العياشي في تفسيره ج ٢ ص ٢٥٩

عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت، قال: ما يقولون فيها ؟ قلت: يزعمون أن المشركين كانوا يحلفون لرسول الله أن الله لا يبعث الموتى. قال: تباً لمن قال هذا، ويلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزى ؟ قلت: جعلت فداك فأوجدنيه أعرفه. قال: لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا قَبَايِعُ سيوفهم على عواتقهم، فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان وفلان من قبورهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من أعدائنا فيقولون: يا معشر الشيعة ما أكذبكم ! هذه دولتكم وأنتم تكذبون فيها، لا والله ما عاشوا ولا تعيشوا إلى يوم القيامة، فحكى الله قولهم فقال: وأقسموا بالله جهد أيمانهم. انتهى.

وتدل مصادر الفقه على أن عادة القسم باللات والعزى بقيت في أذهان القرشيين وعلى ألسنتهم حتى بعد إسلامهم ! فقد روى البخاري في صحيحه ج ٦ ص ٥١: عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إلَه إلا الله. ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق.انتهى.

ورواه في أربعة مواضع أخرى في ج٧ص٩٧ وص١٤٤وص٢٢٢و٢٢٣، ورواه مسلم في ج ٥ ص٨١ وص ٨٢، ورواه ابن ماجة في ج ١ ص ٦٧٨، وروى بعده عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص ! قال: حلفت باللات والعزى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل: لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له، ثم انفث عن يسارك ثلاثاً، وتعوَّذ ولا تعد. ورواه أبوداود في ج٢ ص ٩٠، والترمذي في ج ٣ ص ٤٦ وص ٥١، والنسائي في ج ٧ ص ٧، وأحمد في ج ١ ص ١٨٣ و١٨٦ وج ٢ ص ٣٠٩، والبيهقي في سننه ج ١ ص ١٤٩ وج ١٠ ص ٣٠، ومالك في المدونة ج ٢ ص ١٠٨

. وأفتى به ابن حزم في المحلى ج ٨ ص ٥١، وابن قدامة في المغني ج ١ ص ١٦٩ وج ١١ ص ١٦٢، وعلله في ج ١١ ص ١٦٣ بقوله:

لأَن الحلف بغير الله سيئة والحسنة تمحو السيئة، وقد قال الله تعالى: إن الحسنات يذهبن السيئات، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها. ولأَن من حلف بغير الله فقد عظم غير الله تعظيماً يشبه تعظيم الرب تبارك وتعالى، ولهذا سمي شركاً لكونه أشرك غير الله مع الله تعالى في تعظيمه بالقسم به، فيقول لا إلَه إلا الله توحيداً لله تعالى وبراءة من الشرك.

اعتقاد قريش بنفع اللات والعزى وضرهما

. مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٠٢ عن امرأة يقال لها زهرة قال:

أسلمت فأصيب بصرها، فقالوا لها أصابك اللات والعزى، فرد صلى الله عليه وآله عليها بصرها فقالت قريش: لو كان ما جاء محمد خيراً ما سبقتنا إليه زهرة ! فنزل: وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه.

. مسند أحمد ج ١ ص ٢٦٤

عن عبدالله بن عباس قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غريرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن عبد المطلب. قال محمد ؟ قال نعم فقال: يا ابن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ في المسألة فلا تجدن في نفسك. قال: لا أجد في نفسي فسل عما بدا لك. قال: أنشدك الله إلَهك وإلَه من كان قبلك وإلَه من هو كائن بعدك، آلله بعثك إلينا رسولاً ؟ فقال: اللهم نعم. قال: فأنشدك الله إلَهك وإلَه من كان قبلك وإلَه من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لانشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأَنداد التي كانت آباؤنا يعبدونها معه ؟ قال: اللهم نعم. قال: فأنشدك الله إلَهك وإلَه من كان قبلك وإلَه من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال: اللهم نعم. قال ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في

التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إلَه إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص.

قال ثم انصرف راجعاً إلى بعيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولى: إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة. قال فأتى إلى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى ! قالوا مه يا ضمام، إتق البرص والجذام، إتق الجنون. قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه. قال فوالله ما أمسى من

ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً!

قال يقول ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

مصادرنا تروي بغض النبي صلى الله عليه وآله لاَصنام قريش

. كمال الدين وتمام النعمة ص ١٨٤

قال بحيرى: ياغلام أسألك عن ثلاث خصال بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنيها. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذكر اللات والعزى وقال: لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما، وإنما هما صنمان من حجارة لقومي ! فقال بحيرى: هذه واحدة، ثم قال: فبالله إلا ما أخبرتني، فقال: سل عما بدا لك فإنك قد سألتني بإلَهي وإلَهك الذي ليس كمثله شيَ، فقال: أسألك عن نومك ويقظتك، فأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شأنه، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته التي عنده، فانكب عليه بحيرى فقبل رجليه وقال: يا بني ما أطيبك وأطيب ريحك، يا أكثر النبيين أتباعاً...

. الخرائج والجرائح ج ١ ص ٧١

في خبر الراهب بحيرى مع النبي صلى الله عليه وآله: قال: يا غلام أتخبرني عن أشياء أسألك عنها قال: سل. قال: أنشدك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما أراد أن يعرف لاَنه سمعهم يحلفون بهما فذكروا أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: لا تسألني باللات والعزى فإني والله لم أبغض بغضهما شيئاً قط. قال: فبالله إلا

أخبرتني عما أسألك عنه قال: فجعل يسأله عن حاله في نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره فكان يجدها موافقة لما عنده... فأخذه الإِفكل وهو الرعدة واهتز الديراني فقال: من أبو هذا الغلام ؟ قال أبو طالب: هو ابني. قال: لا والله لا يكون أبوه حياً. قال أبو طالب: إنه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه قال: مات وهو ابن شهرين. قال صدقت ! ... وروى في ج ٣ ص ١٠٨٩ تتمة قول الراهب: كأني بك قد قدت الأَجناب والخيل وقد تبعك العرب والعجم طوعاً وكرها، وكأني باللات والعزى قد كسرتهما وقد صار

البيت العتيق تضع مفاتيحه حيث تريد... معك الذبح الأَكبر وهلاك الأَصنام. أنت الذي لا تقوم الساعة حتى تدخل المملوك كلها في دينك صاغِرَةً قَمِئَة.

وتمسك سدنة اللات والعزى بهما إلى آخر نفس

. شرح الأَخبار ج ٢ ص ١٦٣

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله الطائف سأله أهلها أن يدع لهم اللات . وكانوا يعبدونها . لمدة ذكروها وقالوا: إنا نخشى في هدمها سفهاءنا، فأبى عليهم.

. مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٥٢

ابن عباس في قوله: وإن كادوا ليفتنونك بالذي أوحينا، قال وفد ثقيف: نبايعك على ثلاث: لا ننحني، ولا نكسر إلَهاً بأيدينا، وتمتعنا باللات سنة. فقال صلى الله عليه وآله: لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود، فأما كسر أصنامكم بأيديكم فذاك لكم، وأما الطاغية اللات فإني غير ممتعكم بها.

وحطم النبي صلى الله عليه وآله كل الأَصنام

. مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٩٩

وحدثني أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، عن اسماعيل بن أحمد الواعظ، عن أبي بكر البيهقي بإسناده عن أبي مريم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إحملني لنطرح الأَصنام عن الكعبة، فلم أطق حمله ! فحملني فلو شئت أتناول السماء فعلت ! وفي خبر والله لو شئت أن أنال السماء بيدي لنلتها.

وروى القاضي أبو عمرو عثمان بن أحمد، عن شيوخ بإسناده عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: قم بنا إلى الصنم في أعلى الكعبة لنكسره، فقاما جميعاً فلما أتياه قال له النبي: قم على عاتقي حتى أرفعك عليه، فأعطاه علي ثوبه فوضعه رسول الله على عاتقه ثم رفعه حتى وضعه على البيت، فأخذ علي الصنم وهو من نحاس فرمى به من فوق الكعبة...

. حلية الأبرار ج ٢ ص ١٢٥

عن علي عليه السلام: أنا الذي قال فيَّ الأمين جبرئيل عليه السلام: لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا علي، أنا صاحب فتح مكة، أنا كاسر اللات والعزى، أنا هادم الهبل الأعلى، ومناة الثالثة الأخرى، أنا علوت على كتف النبي صلى الله عليه وآله وكسرت الأصنام، أنا الذي كسرت يغوث ويعوق ونسراً.

واخترعت قريش قصة الغرانيق انتصاراً للات والعزى

قال الله عز وجل: ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى. أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذاً قسمة ضيزى. إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى. أم للإنسان ما تمنى. فلله الآخرة والأولى. وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى. إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى. وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً. فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا. ذلك مبلغهم من العلم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى. ولله ما في السماوات وما في الأرض، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. النجم ٨ . ٣١

نزلت هذه الآيات في مكة بعد مرحلة (أنذر عشيرتك الأقربين) وبعد مرحلة (فاصدع بما تؤمر) وإعلان النبي صلى الله عليه وآله دعوته لجميع الناس ودخول عدد من المستضعفين في الإسلام وتضييق قريش عليهم وتعذيبهم، وهجرة بعضهم إلى

الحبشة.. ومن الواضح أن الصراع في تلك المرحلة كان يتفاقم بين الإِسلام والمشركين، وكان أهم ما يتسلح به المشركون ويطرحونه سبباً لمقاومتهم الإِسلام هو (أن محمداً قد سبَّ آلهتنا وسفَّه أحلامنا.(

وقد كان موقف النبي صلى الله عليه وآله من آلهتهم موقفاً صريحاً قوياً لامساومة فيه ولامهادنة.. وقد اتضح ذلك من السور الأولى للقرآن، وآياتها القاطعة في مسألة الاَصنام..ولم تكن سورة النجم إلا استمراراً لذلك الخط الرباني الصريح القوي، بل هي الحسم الإِلَهي النهائي في المسألة، ووضع النقاط على الحروف بتسمية أصنام قريش المفضلة (اللات والعزى ومناة) بأسمائها، وإسقاطها إلى الاَبد!

ومن الطبيعي أن تكون هذه الآيات شديدة جداً على قريش، وأن تثير كبرياءها وعواطفها لاَصنامها، وأن تقوم بردة فعل بأشكال متعددة. وقصة الغرانيق ما هي إلا واحدة من ردات الفعل القرشية! ..

لكن متى اختُرِعَتْ ومن اخترعها ؟!

يغلب على الظن ماذكره الشريف المرتضى من أن المشركين عبدة هذه الاَصنام الثلاثة لما سمعوا ذمها في آيات السورة حرَّفَ بعضهم الآيات، ووضع بعد أسماء الاَصنام الثلاثة عبارة (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجى) فأعجب ذلك القرشيين، وتمنوا لو يضاف هذا المديح لآلهتهم في السورة!

ولكن كيف يمكن ذلك ؟ وكيف ينسجم مع السياق، والسياق كله حملة شديدة على فكر الاَصنام وأهلها ؟! !

هكذا ولدت قصة الغرانيق على ألسنة القرشيين، ولكنها كانت هذياناً ولغواً في القرآن من قريش المشركة لا أكثر!

ولكن الجريمة الكبرى عندما حولت قريش المنافقة هذا اللغو في القرآن الى آيات الغرانيق واتهمت بها النبي بعد وفاته صلى الله عليه وآله لِإثبات أنه لم يكن معصوماً عصمة مطلقة لتكون كل تصرفاته وأقواله حجة، بل كان يخطئَ حتى في تبليغ الوحي ! وفي

ذلك فوائد عديدة لقريش للاِلتفاف على أوامر النبي صلى الله عليه وآله وتبرير أخطاء حكامها ومخالفاتهم لسنته!!

وهكذا سجلت مصادر السنيين قصة الغرانيق التي تزعم أن النبي صلى الله عليه وآله قد ارتكب خيانة والعياذ بالله في نص القرآن، وشهد بالشفاعة لاَصنام اللات والعزى ومناة، وسجد لها لكي ترضى عنه قريش!

وقد طار منافقو قريش بهذه القصة فرحاً، ثم طار بها فرحاً ورثتهم الغربيون!!

وقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٢ بعض روايات الغرانيق، وروى السيوطي عدداً وافراً منها في الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ وص ٣٦٦ وبعضها صحيح السند، خلافاً لمن برّأ منها الرواة المعتمدين عند حكام قريش ! قال السيوطي في ص ٣٦٦:

وأخرج البزار والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ! ففرح المشركون بذلك وقالوا قد ذكر آلهتنا ! فجاء جبريل فقال: إقرأ عليَّ ما جئتك به، فقرأ: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاَخرى تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ! فقال ما أتيتك بهذا، هذا من الشيطان !! فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى..إلى آخر الآية. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن سعيد بن جبير...الخ. !! انتهى.

وقد ورد في بعض رواياتهم الاِفتراء على النبي صلى الله عليه وآله بأنه سجد للاَصنام ! (فقال: وإنهن لهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى، فكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وذلقت بها ألسنتهم وتباشروا بها، وقالوا إن محمداً قد رجع إلى دينه الاَول ودين قومه. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد كل من حضر من مسلم

ومشرك، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلك.(...

وفي بعضها (ألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى فلما فرغ من السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص فإنه أخذ كفاً من تراب فسجد عليه وقال: قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير، فبلغ ذلك

المسلمين الذين كانوا بالحبشة أن قريشاً قد أسلمت، فأرادوا أن يُقْبِلوا واشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه ما ألقى الشيطان على لسانه فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي..الآية) انتهى.

وقد تجرأ بعض العلماء السنيين وردُّوا روايات الغرانيق ولكنهم ضعفوا سندها رغم صحته عندهم، من أجل أن لا يطعنوا في مؤلفي صحاحهم والموثقين من رواتهم!

. قال المجلسي في بحار الأَنوار ج ١٧ ص ٥٦:

قوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك... قال الرازي: ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن الرسول لما رأى إعراض قومه عنه شق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى في نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على إيمانهم فجلس ذات يوم في ناد من أندية قريش كثير أهله وأحب يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء ينفروا عنه وتمنى ذلك ! فأنزل تعالى سورة والنجم إذا هوى، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأَخرى ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ! فلما سمعت قريش فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته وقرأ السورة كلها، فسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، سوى الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص، فإنهما أخذا حفنةً من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها، لأَنهما كانا

شيخين كبيرين لم يستطيعا السجود، وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، فلما أمسى رسول الله أتاه جبرئيل فقال: ماذا صنعت ! تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، وقلت ما لم أقل لك ! فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً عظيماً حتى نزل قوله: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي..الآية.

هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين، وأما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلةٌ موضوعةٌ واحتجوا بالقرآن، والسنة، والمعقول، أما القرآن فوجوه:

أحدها:

قوله تعالى: ولو تقول علينا بعض الأَقاويل لأَخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين.

وثانيها:

قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي.

وثالثها:

قوله: وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى.

فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرانيق العلى لكان قد أظهر كذب الله تعالى في الحال، وذلك لا يقول به مسلم.

ورابعها:

قوله تعالى: وإن كادوا ليفتنونك، وكاد معناه قرب أن يكون لاَمر كذلك مع أنه لم يحصل.

وخامسها:

قوله: ولولا أن ثبتناك، وكلمة (لولا) تفيد انتفاء الشيَ لانتفاء غيره، فدل على أن الركون القليل لم يحصل.

وسادسها:

قوله: كذلك لنثبت به فؤادك.

وسابعها:

قوله: سنقرئك فلا تنسى.

وأما السنة فهي أنه روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف فيه كتاباً.

وقال الإمام أبوبكر البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعونون، وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وآله قرأ

سورة (والنجم) وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق، وروي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق.

وأما المعقول فمن وجوه: أحدها: أن من جوز على الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيم الاَوثان فقد كفر، لاَن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه صلى الله عليه وسلم كان في نفي الاَوثان.

وثانيها:

أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يمكنه في أول الاَمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً لاَذى المشركين له، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه، وإنما كان يصلي إذا لم يحضروها ليلاً أو في أوقات خلوة، وذلك يبطل قولهم.

وثالثها:

أن معاداتهم للرسول صلى الله عليه وآله كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الاَمر، فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً، مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

ورابعها:

قوله: فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته، وذلك أن أحكام الآيات بإزالة تلقية الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تنتفي الشبهة معها، فإذا أراد الله تعالى إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً، أولى.

وخامسها:

وهو أقوى الوجوه: أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الاَمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الاَحكام والشرائع أن يكون كذلك، ويبطل قوله تعالى: بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس، فإنه لا فرق بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه!

فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة، أكثر ما في الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها لكنهم ما بلغوا حد التواتر. وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة...انتهى.

ولم يلتفت هذا المفسر الكبير الى أن الآية التي ادعوا أنها نزلت على أثر القصة مدنية، نزلت بعد النجم بنحو عشر سنوات ! كما لم يلتفت الى أن رواية البخاري وغيره التي ذكرها هي قصة الغرانيق بعينها!

البخاري ومسلم رويا فرية الغرانيق

وينبغي أن نحسن الظن بالرازي وأمثاله الذين دافعوا عن البخاري والصحاح فقالوا إنهم لم يرووا قصة الغرانيق، حيث لم يقرؤوا الصحاح جيداً، وإلا لوجدوا فيها قصة الغرانيق

بأكثر من رواية ! غاية الاَمر أن أصحابها حذفوا منها أن النبي صلى الله عليه وآله زاد في السورة مدح أصنام المشركين، ولكنهم ذكروا دليلاً عليه وهو سجود المسلمين والمشركين وحتى سجود أبي أحيحة أو أمية بن خلف أو غيرهما على كف من تراب أو حصى !! فإن سجود المشركين بعد سماع القرآن لم ينقله أي مصدر على الاِطلاق في أي رواية على الاِطلاق، إلا في رواية الغرانيق ! ومضافاً الى رواية البخاري الفظيعة التي ذكرها الرازي فقد روى البخاري أيضاً في ج ٥ ص ٧: عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ والنجم فسجد بها وسجد من معه، غير أن شيخاً أخذ كفاً من تراب فرفعه إلى جبهته فقال يكفيني هذا ! قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قتل كافراً. انتهى. ورواه مسلم في ج ٢ ص ٨٨

. وروى البخاري أيضاً في ج ٦ ص ٥٢

عن الاَسود بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف.

. وقال الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٢١

عن أبي إسحاق عن الاَسود عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس الحج، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه

فرأيته قتل كافراً. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالاِسنادين جميعاً ولم يخرجاه، إنما اتفقا على حديث شعبة عن أبي اسحاق عن الاَسود عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ والنجم فذكره بنحوه، وليس يعلل أحد الحديثين الآخرين فإني لا أعلم أحداً تابع شعبة على ذكره النجم غير قيس بن الربيع. والذي يؤدي اليه الاِجتهاد صحة الحديثين، والله اعلم.

ومعنى كلام الحاكم: أنه كان الأولى بالبخاري ومسلم أن يرويا رواية السجود في سورة الحج لاَنها أصح، ولكنهما تركاها ورويا رواية سورة النجم!!

. وقال البيهقي في سننه ج ٢ ص ٣١٤

عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها، يعني والنجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإِنس. رواه البخاري في الصحيح عن أبي معمر وغيره، عن عبد الوارث.

. ورواها في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١١٥ أيضاً وصححها، قال:

قوله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى) عن ابن عباس فيما يحسب سعيد بن جبير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة فقرأ سورة والنجم حتى انتهى إلى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) فجرى على لسانه: تلك الغرانيق العلى الشفاعة منهم ترتجى، قال فسمع بذلك مشركو أهل مكة فسروا بذلك، فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى (ومأأرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) رواه البزار والطبراني وزاد إلى قوله (عذاب يوم عقيم) يوم بدر. ورجالهما رجال الصحيح إلا أن الطبراني قال لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم حديث مرسل في سورة الحج أطول من هذا، ولكنه ضعيف الإِسناد. انتهى.

ويقصد بالرواية الطويلة الضعيفة ما رواه في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٧٠ وقد ورد فيها:

حين أنزل الله السورة التى يذكر فيها (والنجم إذا هوى) فقال المشركون لو كان

هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، فإنه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر به آلهتنا من الشتم والشر، فلما أنزل الله السورة التي يذكر فيها والنجم وقرأ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاَخرى) ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت فقال: وإنهم من الغرانيق العلى، وإن شفاعتهم لترتجى، وذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك وذلقت بها ألسنتهم واستبشروا بها وقالوا إن محمداً قد رجع إلى دينه الاَول ودين قومه، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر السورة التي فيها النجم سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم ومشرك غير أن الوليد بن المعيرة كان كبيراً فرفع ملء كفه تراب فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان على ألسنة المشركين، وأما المشركون فاطمأنت أنفسهم إلى

النبي صلى الله عليه وسلم، وحدثهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأها في السجدة، فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة! فلما سمع عثمان بن مظعون وعبدالله بن مسعود ومن كان معهم من أهل مكة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، أقبلوا سراعاً ! فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فشكا إليه فأمره فقرأ له، فلما بلغها تبرأ منها جبريل وقال: معاذ الله من هاتين ما أنزلهما ربي ولا أمرني بهما ربك !! فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليه وقال: أطعت الشيطان وتكلمت بكلامه وشركني في أمر الله !! فنسخ الله ما يلقي الشيطان وأنزل عليه (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم، ليجعل ما يلقي فتنة للذين في قلوبهم مرض

والقاسية قلوبهم، وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) فلما برأه الله عز وجل من سجع الشيطان وفتنته، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم، فذكر الحديث، وقد تقدم في الهجرة إلى الحبشة. رواه الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة. انتهى.

فتبين من مجموع ذلك أن سند القصة في مصادر السنيين صحيح، ولا يصح القول بأن الواقدي تفرد بها، أو أن الصحاح لم تروها!!

نماذج من ردود علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام على فرية الغرانيق

ـ قال الشريف المرتضى في تنزيه الأَنبياء ص ١٥١

مسألة: فإن قال فما معنى قوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليمٌ حكيم.

أو ليس قد روي في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى تولي قومه عنه شق عليه ما هم عليه من المباعدة والمنافرة وتمنى في نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبينهم وتمكن حب ذلك في قلبه، فلما أنزل الله تعالى عليه: والنجم إذا هوى، وتلاها عليهم، ألقى الشيطان على لسانه لما كان تمكن في نفسه من محبة مقاربتهم: تلك

الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما سمعت قريش ذلك سرت به وأعجبهم ما زكى به آلهتهم، حتى انتهى إلى السجدة فسجد المؤمنون وسجد أيضاً المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجبهم، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد، إلا الوليد بن المغيرة فإنه كان شيخاً كبيراً لا يستطيع السجود فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها، ثم تفرق الناس من المسجد وقريش مسرورة بما سمعت. وأتى جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله معاتباً على ذلك فحزن له حزناً شديداً. فأنزل الله تعالى عليه معزياً له ومسلياً: وما أرسلنا من قبلك..الآية.

قلنا: أما الآية فلا دلالة في ظاهرها على هذه الخرافة التي قَصُّوها، وليس يقتضي

الظاهر إلا أحد أمرين: إما أن يريد بالتمني التلاوة كما قال حسان بن ثابت:

تمنى كتاب الله أول ليله * وآخره لاقى حمام المقادر

أو أريد بالتمني تمني القلب.

فإن أراد التلاوة، كان المراد من أرسلنا قبلك من الرسل، كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا، كما فعلت اليهود في الكذب على نبيهم فأضاف ذلك إلى الشيطان، لاَنه يقع بوسوسته وغروره. ثم بين أن الله تعالى يزيل ذلك ويدحضه بظهور حجته وينسخه، ويحسم مادة الشبهة به.

وإنما خرجت الآية على هذا الوجه مخرج التسلية له صلى الله عليه وآله لما كذب المشركون عليه وأضافوا إلى تلاوته مدح آلهتهم ما لم يكن فيها.

وإن كان المراد تمني القلب، فالوجه في الآية أن الشيطان متى تمنى النبي صلى الله عليه وآله بقلبه بعض مايتمناه من الاَمور يوسوس إليه بالباطل ويحدثه بالمعاصي ويغريه بها ويدعوه اليها، وأن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان وعصيانه وترك استماع غروره.

وأما الاَحاديث المروية في هذا الباب، فلا يلتفت إليها من حيث تضمنت ما قد نزهت العقول الرسل عليهم السلام عنه. هذا لو لم يكن في أنفسها مطعونة ضعيفة عند أصحاب الحديث بما يستغني عن ذكره.

وكيف يجيز ذلك على النبي صلى الله عليه وآله من يسمع الله تعالى يقول: كذلك لنثبت به فؤادك يعني القرآن، وقوله تعالى: ولو تقول علينا بعض الاَقاويل لاَخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين، وقوله تعالى: سنقرئك فلا تنسى!

على أن من يجيز السهو على الأَنبياء عليهم السلام يجب أن لا يجيز ما تضمنته هذه الرواية المنكرة لما فيها من غاية التنفير عن النبي صلى الله عليه وآله لأَن الله تعالى قد جنب نبيه من الأَمور الخارجة عن باب المعاصي كالغلظة والفظاظة وقول الشعر، وغير ذلك مما هو دون مدح الأَصنام المعبودة دون الله تعالى.

على أنه لا يخلو صلى الله عليه وآله . وحوشي مما قذف به . من أن يكون تعمد ما حكوه وفعله قاصداً أو فعله ساهياً. ولا حاجة بنا إلى إبطال القصد في هذا الباب والعمد لظهوره، وإن كان فعله ساهياً فالساهي لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الأَلفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام، لأَنا نعلم ضرورةً أن من كان ساهياً لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها وفي معنى البيت الذي تقدمه، وعلى الوجه الذي يقتضيه فائدته، وهو مع ذلك يظن أنه من القصيدة التي ينشدها. وهذا ظاهر في بطلان هذه الدعوى على النبي صلى الله عليه وآله على أن الموحى إليه من الله النازل بالوحي وتلاوة القرآن جبرائيل عليه السلام وكيف يجوز السهو عليه ؟!

على أن بعض أهل العلم قد قال: يمكن أن يكون وجه التباس الأَمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما تلا هذه السورة في ناد غاصٍّ بأهله وكان أكثر الحاضرين من قريش المشركين فانتهى إلى قوله تعالى: أفرأيتم اللات والعزى، وعلم في قرب مكانه منه من قريش أنه سيورد بعدها ما يسوؤهم به فيهن قال كالمعارض له والراد عليه:

تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فظن كثير ممن حضر أن ذلك من قوله صلى الله عليه وآله واشتبه علهيم الأَمر، لأَنهم كانوا يلغطون عند قراءته صلى الله عليه وآله ويكثر كلامهم وضجاجهم طلباً لتغليطه وإخفاء قراءته.

ويمكن أن يكون هذا أيضاً في الصلاة لأَنهم كانوا يقربون منه في حال صلاته عند الكعبة ويسمعون قراءته ويلغون فيها.

وقيل أيضاً إنه صلى الله عليه وآله كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات وأتى بكلام على سبيل الحجاج لهم، فلما تلا: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأَخرى قال: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ؟ ! على سبيل الإِنكار عليهم وأن الأَمر بخلاف ما ظنوه من ذلك. وليس يمتنع أن يكون هذا في الصلاة لأَن الكلام في الصلاة حينئذ كان مباحاً وإنما نسخ من بعد.

وقيل إن المراد بالغرانيق الملائكة، وقد جاء مثل ذلك في بعض الحديث فتوهم

المشركون أنه يريد آلهتهم.

وقيل إن ذلك كان قرآناً منزلاً في وصف الملائكة فتلاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما ظن المشركون أن المراد به آلهتهم نسخت تلاوته.

وكل هذا يطابق ما ذكرناه من تأويل قوله: إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، لأَن بغرور الشيطان ووسوسته أضيف إلى تلاوته صلى الله عليه وآله مالم يرده بها. وكل هذا واضح بحمد الله تعالى.

. نهج الحق للعلامة الحلي ص ١٣٩

ذهبت الإِمامية كافة إلى أن الأَنبياء عليهم السلام معصومون عن الصغائر والكبائر ومنزهون عن المعاصي قبل النبوة وبعدها، على سبيل العمد والنسيان، وعن كل رذيلة ومنقصة، وما يدل على الخسة والضعة.

وخالفت الأَشاعرة في ذلك وجوزوا عليهم المعاصي. وبعضهم جوزوا الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها، وجوزوا عليهم السهو والغلط، ونسبوا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السهو في القرآن بما يوجب الكفر فقالوا: إنه صلى يوماً وقرأ في سورة النجم عند قوله تعالى: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأَخرى: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى. وهذا اعتراف منه بأن تلك الأَصنام ترتجى الشفاعة منها!

نعوذ بالله من هذه المقالة التي نسب النبي إليها، وهي توجب الشرك، فما عذرهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

. مجمع البحرين للطريحي ج ٤ ص ٢٣٩

رووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في الصلاة فقرأ سورة النجم في المسجد الحرام وقريش يستمعون لقراءته، فلما انتهى إلى هذه الآية: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأَخرى، أجرى إبليس على لسانه: فإنها الغرانيق العلى وشفاعتهن لترتجى !

ففرحت قريش وسجدوا وكان في ذلك القوم الوليد بن المغيرة المخزومي وهو شيخ كبير فأخذ كفاً من حصى فسجد عليه وهو قاعد، وقالت قريش: قد أقر محمد بشفاعة اللات والعزى. قال فنزل جبرئيل فقال له: قرأت ما لم أنزل به عليك ! انتهى.

وقد طار أعداء الإِسلام بهذه القصة كما أشرنا وشنعوا بها على الإِسلام ورسوله، محتجين بأنها وردت في مصادر المسلمين ! وكان آخر من استغلها المرتد سلمان رشدي والدول التي وراءه ! وقد أخذها من المستشرقين بروكلمان ومونتغمري وأمثالهما، وأخذها هؤلاء من مصادر السنيين!!

وقد نقد الباحث السوداني الدكتور عبدالله النعيم في كتابه (الإِستشراق في السيرة النبوية) . المعهد العالمي للفكر الإِسلامي ١٤١٧، استغلال المستشرقين لحديث الغرانيق ونقل في ص ٥١، افتراء بروكلمان حيث قال عن النبي صلى الله عليه وآله (ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونهن بنات الله، وقد أشار اليهن في إحدى الآيات الموحاة اليه بقوله: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجى... ثم مالبث أن أنكر ذلك وتبرأ منه في اليوم التالي!! (

ونقل الدكتور النعيم في ص ٩٦ زعم مونتغمري وات (تلا محمد الآيات الشيطانية باعتبارها جزءاً من القرآن إذ ليس من المتصور أن تكون القصة من تأليف المسلمين أو غير المسلمين، وأن انزعاج محمد حينما علم بأن الآيات الشيطانية ليست جزء من القرآن يدل على أنه تلاها، وأن عبادة محمد بمكة لاتختلف عن عبادة العرب في نخلة والطائف..ولقد كان توحيد محمد غامضاً (!) ولا شك أنه يعد اللات والعزى ومناة كائنات سماوية أقل من الله) انتهى.

أما نحن فإننا تبعاً لاَهل البيت عليهم السلام نرفض رواية الغرانيق من أصلها، ونعتقد أنها واحدة من افتراءات قريش الكثيرة على النبي صلى الله عليه وآله في حياته وبعد وفاته..ونستدل بوجودها على أن مطلب قريش كان الإِعتراف بآلهتها وشفاعتهن، وأن منافقي قريش وضعوا هذه الروايات طعناً في عصمة النبي صلى الله عليه وآله فخدموا بذلك هدف قريش المشركة، وهدف أعداء الإِسلام في كل العصور!

ومع أن المستشرقين لا يحتاجون إلى الروايات الموضوعة ليتمسكوا بها، فهم يكذبون على نبينا صلى الله عليه وآله وعلى مصادرنا جهاراً نهاراً، ولكنا نأسف لاَن مصادر إخواننا السنيين روت عدة افتراءات على النبي صلى الله عليه وآله على أنها حقائق، منها قصة الغرانيق،

ومنها قصة ورقة بن نوفل في بدء الوحي، وغيرها من الروايات المخالفة للعقل والتهذيب والإِحترام الذي ينبغي لمقام النبي صلى الله عليه وآله..ثم لم يرووا ما ورد في مصادرنا من بغض النبي لاَصنام قريش منذ طفولته، ولم يرووا تكذيب أهل البيت عليهم

السلام لرواية ورقة بن نوفل، وتأكيدهم على الآفق المبين الذي نص عليه القرآن وبدأ فيه الوحي.

وقد ذكر الدكتور النعيم في هامش كتابه المذكور المصادر التي روت حديث الغرانيق وهي طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠٥ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٢٦ وتاريخ ابن الآثير ج ٢ ص ٧٧ وسيرة ابن سيد الناس ج ١ ص ١٥٧..وقال في ص ٩٧ (يعتبر الواقدي أول من روج لهذه الفرية ثم أخذها عنه ابن سعد والطبري وغيرهم) وقال في ص ٩٨ (ولم يرو ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً، ومهما يكن من أمر فالواقدي هو أصلها. إن ما يدعو للتساؤل هو كيف أمكن تمرير هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل !) انتهى.

ولكن عرفت أن أصحاب الصحاح رووها، فعلى الذي يرد سندها أن يرد جميع أسانيدها، لا سند الواقدي وحده!

ثم نقل الدكتور النعيم نقد القاضي عياض في كتابه (الشفا) لحديث الغرانيق سنداً ومتناً، وكذلك نقد القرضاوي في كتابه (كيف نتعامل مع السنة النبوية) ونقل عنه قوله في ص ٩٣ (ومعنى هذا أن تفهم السنة في ضوء القرآن ولهذا كان حديث الغرانيق مردوداً بلا ريب، لأنه مناف للقرآن) انتهى.

وليت بقية الباحثين من إخواننا السنيين يتمسكون بدليل مخالفة القرآن ويردون به المكذوبات التي وضعها المنافقون، وروجتها الخلافة القرشية ورواتها، وما زالت الى عصرنا صحيحة أو موثقة!!

تنبؤ عميق للنبي صلى الله عليه وآله حول اللات والعزى

روت مصادر السنيين بأسانيد صحيحة عندهم أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر أن العرب سوف يعبدون اللات والعزى مرة أخرى!

. فقد روى مسلم في صحيحه ج ٨ ص ١٨٢

عن أبي سلمة عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ! فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أن ذلك تاماً. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله انتهى.

ورواه الحاكم في مستدركه ج ٤ ص ٤٤٦ وص ٥٤٩ وقال في الموردين (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ورواه البيهقي في سنه ج ٩ ص ١٨١ ورواه الهندي في كنز العمال ج ١٤ ص٢١١ وقال عنه السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٦١: وأخرج مسلم والحاكم وصححه.. وقال عن الحديث الأَول في ج ٣ ص ٢٣١ أخرج أحمد ومسلم والحاكم وابن مردويه عن عائشة. انتهى.

وإذا صحت هذه الأَحاديث فتفسيرها أن بعض العرب سوف يكفرون في المستقبل، ويرجعون إلى عبادة اللات والعزى!

ولكن الأَقرب أن يكون مقصوده صلى الله عليه وآله أن الأَمة سوف تنحرف من بعده وتطيع شخصين من دون الله تعالى، ويكون لهما تأثير اللات والعزى.. لأَن من أطاع شخصاً في معصية الله تعالى أو من دون أمره، فقد عبده من دون الله تعالى!!

والنتيجة التي نخلص بها من هذا البحث، أن الشفاعة كانت معروفة عند مشركي العرب، وكان يهمهم أن يثبتوا هذه المنزلة لأَصنامهم.. وهي نقطة تنفعنا في فهم السبب لوضع بعض الأَحاديث التي تدعي توسيع شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله لتشمل كل قريش وكل المنافقين وغيرهم، وتحل محل شفاعة اللات والعزى، وتضاهي شفاعة اليهود المزعومة لقوميتهم!!

* *

الفصل الرابع

كليات الشفاعة في القرآن

آيات الشفاعة وعناوينها

الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة في الدنيا

. من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها، وكان الله على كل شيء مقيتا. النساء . ٨٥

الشفعاء يوم القيامة يشفعون بعهد من الله تعالى

. لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا. مريم . ٨٧

. يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا. طه . ١٠٩

الأَولياء المكرمون ينفعون مواليهم بشفاعتهم

. إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين. يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون. إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم. الدخان . ٤٠ . ٤٢

عباد الله المكرمون كلهم شفعاء

. وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون. الأَنبياء ٢٦ . ٢٨

الشهداء بالحق شفعاء

. ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون. الزخرف . ٨٦

الملائكة يشفعون للناس بإذن الله تعالى

. وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى. النجم . ٢٦

الشفيع الأَكبر صلى الله عليه وآله

. عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا. الإسراء . ٧٩

. ولسوف يعطيك ربك فترضى. الضحى . ٥

لا شفاعة من دون الله تعالى

. وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون. الأَنعام . ٥١

. الله الذي خلق السماوات والأَرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش، ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع، أفلا تتذكرون. السجدة . ٤

لا شفاعة إلا بإذنه ومن بعد إذنه

. الله لا إلَه إلا هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في

الأَرض، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيَ من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السماوات والأَرض ولا يؤده حفظهما، وهو العلي العظيم. البقرة . ٢٥٥

. إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأَرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، يدبر الأَمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه، ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون. يونس . ٣

. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم، قالوا الحق وهو العلي الكبير. سبأ . ٢٣

. وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى. النجم . ٢٦

الشفعاء المزعومون لا شفاعة لهم

. ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ! قل أتنبئون الله بما لايعلم في السماوات ولا في الأَرض، سبحانه وتعالى عما يشركون. يونس . ١٨

. ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، لقد تقطع بينكم، وضل عنكم ما كنتم تزعمون. الأَنعام . ٩٤

. ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين. الروم . ١٣

. أأتخذ من دونه آلهة، إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون. يس . ٢٣

. أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون. قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والاَرض، ثم إليه ترجعون. الزمر ٤٣ . ٤٤

لا شفاعة في يوم القيامة كشفاعة الدنيا

. واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل، ولا هم ينصرون. البقرة . ٤٨

. واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل منها عدل، ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون. البقرة . ١٢٣

. يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه، ولا خلة، ولا شفاعة، والكافرون هم الظالمون. البقرة . ٢٥٤

. وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع، وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها، أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا، لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون. الاَنعام . ٧٠

ـ فمالنا من شافعين، ولا صديق حميم. الشعراء ١٠٠ . ١٠١

. فما تنفعهم شفاعة الشافعين. المدثر . ٤٨

الكفار يبحثون بحثاً حثيثاً عن الشفعاء

. هل ينظرون إلا تأويله، يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا، أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل، قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون. الاَعراف . ٥٣

. يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون، إلا من أذن له الرحمن، وقال صواباً. النبأ ٣٨ .

لا شفاعة للظالمين

. وأنذرهم يوم الاَزفة إذ القلوب لدى الحناجر، كاظمين ما للظالمين من حميم، ولا شفيع يطاع. غافر . ١٨

. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين. المدثر . ٤٦ . ٤٨

* *

الفصل الخامس

شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله

تفسير (المقام المحمود) لنبينا صلى الله عليه وآله

قال الله تعالى: أقم الصلاة لدلوك الشمس، إلى غسق الليل، وقرآن الفجر، إن قرآن الفجر كان مشهودا. ومن الليل فتهجد به نافلة لك، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا.الإسراء . ٧٩

مصادرنا تصف المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وآله في المحشر

لعل أقوى نص في متنه يبين أهمية المقام المحمود الذي وعد الله رسوله صلى الله عليه وآله بأن يكرمه به يوم القيامة، ما رواه الصدوق عن علي عليه السلام، فقد بين فيه أن ليوم القيامة مراحل ومراسم قبل الحساب، وأن المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وآله يبدأ في أوائل مراحل ذلك اليوم العظيم بتلك الخطبة (الفريدة) التي يفتتح بها نبينا المحشر ويلهمه الله تعالى فيها أنواع المحامد لربه تعالى نيابة عن الخلائق، ويعطى على أثرها لواء الحمد الذي هو رئاسة المحشر، وذلك قبل الحساب والشفاعة وحوض الكوثر..

. قال الصدوق في التوحيد في حديث طويل ص ٢٥٥ . ٢٦٢

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا أحمد بن يحيى عن بكر بن عبدالله بن حبيب قال: حدثني أحمد بن يعقوب بن مطر قال: حدثنا محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الأَحدب الجند بنيسابور قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثنا طلحة بن يزيد عن عبيد الله بن عبيد عن أبي معمر السعداني أن رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

يا أمير المؤمنين إني قد شككت في كتاب الله المنزل.

قال له عليه السلام: ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل!

قال: لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه.

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل.

قال له الرجل: إني وجدت الله يقول: فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا، وقال أيضاً: نسوا الله فنسيهم، وقال: وما كان ربك نسياً. فمرة يخبر أنه ينسى ومرة يخبر أنه لا ينسى، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين!

قال: هات ما شككت فيه أيضاً....

فقال علي عليه السلام: قُدُّوسٌ ربنا قدوس، تبارك وتعالى علواً كبيراً، نشهد أنه هو الدائم الذي لا يزول، ولا نشك فيه، وليس كمثله شيَ وهو السميع البصير، وأن الكتاب حق، والرسل حق، وأن الثواب والعقاب حق، فإن رزقت زيادة إيمان أو حرمته فإن ذلك بيد الله إن شاء رزقك وإن شاء حرمك ذلك، ولكن سأعلمك ما شككت فيه ولا قوة إلا بالله، فإن أراد الله بك خيراً أعلمك بعلمه وثبتك، وإن يكن شراً ضللت وهلكت.

أما قوله: نسوا الله فنسيهم إنما يعني نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه شيئاً، فصاروا منسسيين من الخير

وكذلك تفسير قوله عز وجل: فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا، يعني بالنسيان أنه لم يثبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسله وخافوه بالغيب. وأما قوله: وما كان ربك نسياً، فإن ربناتبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذي ينسى ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم، وقد يقول العرب في باب النسيان: قد نَسِيَنَا فلان فلا يذكرنا أي أنه لا يأمر لنا بخير ولا يذكرنا به، فهل فهمت ما ذكر الله عز وجل ؟ قال: نعم، فرجت عني فرج الله عنك، وحللت عني عقدة فعظم الله أجرك.

فقال عليه السلام: وأما قوله: يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، وقوله: والله ربنا ما كنا مشركين، وقوله: يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً، وقوله: إن ذلك لَحَقٌّ تخاصم أهل النار، وقوله: لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد، وقوله: اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون، فإن ذلك في موطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان

مقداره خمسين ألف سنة ! يجمع الله عز وجل الخلائق يومئذ في مواطن يتفرقون ويكلم بعضهم بعضاً، ويستغفر بعضهم لبعض، أولئك الذين كان منهم الطاعة في دار الدنيا. ويلعن أهل المعاصي الذين بدت منهم البغضاء وتعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا، الرؤساء والاَتباع من المستكبرين والمستضعفين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً. والكفر في هذه الآية: البراءة يقول يبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان: إني كفرت بما أشركتمون من قبل، وقول إبراهيم خليل الرحمن: كفرنا بكم، يعني تبرأنا منكم.

ثم يجتمعون في موطن آخر يبكون فيه، فلو أن تلك الاَصوات بدت لاَهل الدنيا لاَذهلت جميع الخلق عن معائشهم، ولتصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله، فلا يزالون يبكون الدم.

ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم ويستنطق الاَيدي والاَرجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: لم شهدتم علينا، قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيَ.

ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون، فيفر بعضهم من بعض، فذلك قوله عز وجل: يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، فيستنطقون فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فيقوم الرسل صلى الله عليهم فيشهدون في هذا الموطن، فذلك قوله: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً.

ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمد صلى الله عليه وآله وهو المقام المحمود فيثني على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحد قبله، ثم يثني على الملائكة كلهم فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمد صلى الله عليه وآله، ثم يثني على الرسل: بما لم يثن عليهم أحد قبله، ثم يثني على كل مؤمن ومؤمنة، يبدأ بالصديقين والشهداء ثم بالصالحين، فيحمده أهل السماوات والاَرض، فذلك قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، فطوبى لمن كان له في ذلك المقام حظ، وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظ ولا نصيب.

ثم يجتمعون في موطن آخر ويدال بعضهم من بعض، وهذا كله قبل الحساب، فإذا أخذ في الحساب شغل كل إنسان بما لديه. نسأل الله بركة ذلك اليوم.

قال: فرجت عني فرج الله عنك يا أمير المؤمنين، وحللت عني عقدةً، فعظم الله أجرك. انتهى. ورواه في بحار الأَنوار ج ٧ ص ١١٩

. الصحيفة السجادية ج ١ ص ٣٧

اللهم واجعله خطيب وفد المؤمنين إليك، والمكسو حلل الأَمان إذا وقف بين يديك، والناطق إذا خرست الأَلسن في الثناء عليك.

اللهم وابسط لسانه في الشفاعة لأَمته، وأَرِ أهل الموقف من النبيين وأتباعهم تمكن منزلته، وأوهل أبصار أهل المعروف العلى بشعاع نور درجته، وقفه في المقام المحمود الذي وعدته، واغفر ما أحدث المحدثون بعده في أمته، مما كان اجتهادهم فيه تحرياً لمرضاتك ومرضاته، وما لم يكن تأليباً على دينك ونقضاً لشريعته، واحفظ من قبل بالتسليم والرضا دعوته، واجعلنا ممن تكثر به وارديه، ولا يذاد عن حوضه إذا ورده، واسقنا منه كأساً روياً لا نظمأ بعده.

. وروى في بحار الأَنوار ج ٧ ص ٣٣٥ عن تفسير فرات الكوفي:

عن الإِمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة وعدني المقام المحمود، وهو وافٍ لي به. إذا كان يوم القيامة نصب لي منبر له ألف درجة فأصعد حتى أعلو فوقه فيأتيني جبرئيل عليه السلام بلواء الحمد فيضعه في يدي ويقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، فأقول لعلي: إصعد فيكون أسفل مني بدرجة، فأضع لواء الحمد في يده، ثم يأتي رضوان بمفاتيح الجنة فيقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، فيضعها في يدي فأضعها في حجر علي بن أبي طالب، ثم يأتي مالك خازن النار فيقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى هذه مفاتيح النار أدخل عدوك وعدو أمتك النار، فآخذها وأضعها في حجر علي بن أبي طالب، فالنار والجنة يومئذ أسمع لي ولعلي من العروس لزوجها، فهي قول الله تعالى: ألقيا في جهنم كل كفار عنيد. انتهى.

ويؤيد هذا الحديث أنك لا تجد تفسيراً مقنعاً لتثنية الخطاب في هذه الآية، إلا هذا الحديث!

. تفسير القمي ج ٢ ص ٢٥

وأما قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، فإنه حدثني أبي عن الحسن بن محبوب، عن زرعة، عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة ؟ فقال: يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون: إنطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربنا فيأتون آدم فيقولون: يا آدم إشفع لنا عند ربك، فيقول: إن لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه، ويردهم كل نبي إلى من يليه، حتى ينتهوا إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمد رسول الله، فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: إنطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنة ويستقبل باب الرحمة ويخر ساجداً فيمكث ما شاء الله، فيقول الله: إرفع رأسك واشفع تشفع، واسأل تعط، وذلك هو قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً. انتهى. ورواه في تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٢٠٦

. تفسير العياشي ج ٢ ص ٣١٤

عن عبيد بن زرارة قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن المؤمن هل له شفاعة ؟ قال: نعم فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد يومئذ ؟ قال: نعم إن للمؤمنين خطايا وذنوباً، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد يومئذ. قال وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم ولا فخر ؟ قال: نعم يأخذ حلقة باب الجنة فيفتحها فيخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع، أطلب تعط، فيرفع رأسه ثم يخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك، إشفع تشفع واطلب تعط، ثم يرفع رأسه فيشفع، فيشفع ويطلب فيعطى.

. روضة الواعظين ص ٥٠٠

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: المقام الذي أشفع فيه لاَمتي.

وفي ص ٢٧٣ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أمتي فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفعت فيمن آذى ذريتي

ورواه في تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٤

. تفسير التبيان ج ٦ ص ٥١٢

وقوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، معناه متى فعلت ما ندبناك إليه من التهجد يبعثك الله مقاماً محموداً، وهي الشفاعة في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وقال قوم: المقام المحمود: إعطاؤه لواء الحمد. وعسى من الله واجبة.

. وقال أبو الصلاح الحلبي في الكافي ص ٤٩١

ولرسول الله صلى الله عليه وآله محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، صلوات الله عليه وآله في ذلك اليوم المقام الأَشرف والمحل الأَعظم، له اللواء المعقود لواء الحمد، والحوض المورود، والمقام المحمود، والشفاعة المقبولة والمنزلة العلية، والدرجة المنيعة على جميع النبيين وأتباعهم. وكل شيَ خص به من التفضيل ورشح له من التأهيل فأخوه وصنوه ووارث علمه ووصيه في أمته وخليفته على رعيته أميرالمؤمنين وسيد المسلمين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام شريك فيه، وهو صاحب الأَعراف، وقسيم الجنة والنار، بنصه الصريح وقوله الفصيح.

وأعلام الأَزمنة وتراجمة الملة بعدهما صلوات الله عليهم أعوانٌ عليه ومساهمون فيه، حسب ما أخبر به وأشار بذكره.

ولشيعتهم من ذلك الحظ الأَوفر والقسط الأَكبر، لتحققهم بالإِسلام ممن عداهم وتخصصهم بالإِيمان دون من سواهم.

. ونختم ما اخترناه من مصادرنا بحديث طريف ورد عن أهل البيت عليهم السلام في مواعظ الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام وشاهدنا منه الفقرةالأَخيرة المتعلقة ببشارته بنبينا صلى الله عليه وآله وشفاعته، لكن نورده كاملاً لكثرة فوائده.

. فقد روى الكليني في الكافي ج ٨ ص ١٣١

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عنهم عليهم السلام فيما وعظ الله عز وجل به عيسى عليه السلام:

يا عيسى، أنا ربك ورب آبائك إسمي واحد، وأنا الأَحد المتفرد بخلق كل شيء، وكل شيء من صنعي، وكل إليَّ راجع.

يا عيسى، أنت المسيح بأمري، وأنت تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني، وأنت تحيي الموتى بكلامي، فكن إليَّ راغباً ومني راهباً، ولن تجد مني ملجأً إلا إليَّ.

يا عيسى، أوصيك وصية المتحنن عليك بالرحمة حتى حقت لك مني الولاية بتحرِّيك مني المسرة، فبوركت كبيراً وبوركت صغيراً حيث ما كنت، إشهد أنك عبدي ابن أمتي،

أنزلني من نفسك كهمك واجعل ذكري لمعادك، وتقرب إلي بالنوافل، وتوكل عليَّ أكفك، ولا توكل على غيري فآخذ لك.

يا عيسى، إصبر على البلاء وارض بالقضاء، وكن كمسرتي فيك، فإن مسرتي أن أطاع فلا أعصى.

يا عيسى، أحي ذكري بلسانك، وليكن ودي في قلبك.

يا عيسى، تيقظ في ساعات الغفلة، واحكم لي لطيف الحكمة.

يا عيسى، كن راغباً راهباً، وأمت قلبك بالخشية.

يا عيسى، راع الليل لتحري مسرتي، واظمأ نهارك ليوم حاجتك عندي.

يا عيسى، نافس في الخير جهدك، تعرف بالخير حيثما توجهت.

يا عيسى، أحكم في عبادي بنصحي، وقم فيهم بعدلي، فقد أنزلت عليك شفاء لما في الصدور من مرض الشيطان.

يا عيسى، لا تكن جليساً لكل مفتون.

يا عيسى، حقاً أقول: ما آمنت بي خليقة إلا خشعت لي، ولا خشعت لي إلا رجوت ثوابي، فاشهد أنها آمنة من عقابي ما لم تبدل أو تغير سنتي.

يا عيسى ابن البكر البتول، إبك على نفسك بكاء من ودع الأَهل وقلى الدنيا وتركها لأَهلها، وصارت رغبته فيما عند إلَهه.

يا عيسى، كن مع ذلك لين الكلام وتفشي السلام، يقظان إذا نامت عيون الأَبرار، حذراً للمعاد والزلازل الشداد، وأهوال يوم القيامة، حيث لا ينفع أهل ولا ولد ولا مال.

يا عيسى، أكحل عينك بميل الحزن إذا ضحك البطالون.

يا عيسى، كن خاشعاً صابراً، فطوبى لك إن نالك ما وعد الصابرون.

يا عيسى، رح من الدنيا يوماً فيوماً، وذق لما قد ذهب طعمه، فحقاً أقول: ما أنت إلا بساعتك ويومك، فرح من الدنيا ببلغة، وليكفك الخشن الجشب، فقد رأيت إلى ما تصير، ومكتوب ما أخذت وكيف أتلفت.

يا عيسى، إنك مسؤول فارحم الضعيف كرحمتي إياك، ولا تقهر اليتيم.

يا عيسى، إبك على نفسك في الخلوات، وانقل قدميك إلى مواقيت الصلوات واسمعني لذاذة نطقك بذكري، فإن صنيعي إليك حسن.

يا عيسى، كم من أمة قد أهلكتها بسالف ذنوب قد عصمتك منها.

يا عيسى، إرفق بالضعيف، وارفع طرفك الكليل إلى السماء وادعني، فإني منك قريب، ولا تدعني إلا متضرعاً إليَّ، وهمك هماً واحداً، فإنك متى تدعني كذلك أجبك.

يا عيسى، إني لم أرض بالدنيا ثواباً لمن كان قبلك، ولا عقاباً لمن انتقمت منه.

يا عيسى، إنك تفنى وأنا أبقى، ومني رزقك، وعندي ميقات أجلك، وإليَّ إيابك، وعليَّ حسابك، فسلني ولا تسأل غيري فيحسن منك الدعاء ومني الإِجابة.

يا عيسى، ما أكثر البشر وأقل عدد من صبر، الأَشجار كثيرة وطيبها قليل، فلا يغرنك حسن شجرة حتى تذوق ثمرها.

يا عيسى، لا يغرنك المتمرد عليَّ بالعصيان، يأكل رزقي ويعبد غيري، ثم

يدعوني عند الكرب فأجيبه، ثم يرجع إلى ما كان عليه، فعليَّ يتمرد ؟ أم بسخطي يتعرض ! فبي حلفت لآخذنه أخذةً ليسله منها منجاً ولا دوني ملجأ، أين يهرب من سمائي وأرضي ؟!

يا عيسى، قل لظلمة بني إسرائيل: لا تدعوني والسحت تحت أحضانكم، والأَصنام في بيوتكم، فإني آليت أن أجيب من دعاني، وأن أجعل إجابتي إياهم لعناً عليهم حتى يتفرقوا.

يا عيسى، كم أطيل النظر، وأحسن الطلب والقوم في غفلة لا يرجعون، تخرج الكلمة من أفواههم لا تعيها قلوبهم، يتعرضون لمقتي ويتحببون بقربي إلى المؤمنين يا عيسى، لتكن في السر والعلانية واحداً، وكذلك فليكن قلبك وبصرك، واطو قلبك ولسانك عن المحارم، وكف بصرك عما لا خير فيه، فكم من ناظر نظرة قد زرعت في قلبه شهوة، ووردت به موارد حياض الهلكة.

يا عيسى، كن رحيماً مترحماً، وكن كما تشاء أن يكون العباد لك، وأكثر ذكر الموت ومفارقة الأَهلين، ولا تَلْهُ فإن اللهو يفسد صاحبه، ولا تغفل فإن الغافل مني بعيد، واذكرني بالصالحات حتى أذكرك.

يا عيسى، تب إليَّ بعد الذنب، وذكر بي الأَوابين، وآمن بي وتقرب بي إلى المؤمنين، ومرهم يدعوني معك، وإياك ودعوة المظلوم، فإني آليت على نفسي أن أفتح لها باباً من السماء بالقبول، وأن أجيبه ولو بعد حين.

يا عيسى، إعلم أن صاحب السوء يُعدي، وقرين السوء يردي، واعلم من تقارن واختر لنفسك إخواناً من المؤمنين.

يا عيسى، تب إلي، فإني لا يتعاظمني ذنب أن أغفره، وأنا أرحم الراحمين. إعمل لنفسك في مهلة من أجلك قبل أن لا يعمل لها غيرك، واعبدني ليوم كألف سنة مما

تعدون، فيه أجزي بالحسنة أضعافها، وإن السيئة توبق صاحبها، فامهد لنفسك في مهلة، ونافس في العمل الصالح، فكم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النار.

يا عيسى، إزهد في الفاني المنقطع، وطأ رسوم منازل من كان قبلك، فادعهم وناجهم، هل تحس منهم من أحد، وخذ موعظتك منهم، واعلم أنك ستلحقهم في اللاحقين.

يا عيسى، قل لمن تمرد علي بالعصيان وعمل بالإدهان: ليتوقع عقوبتي وينتظر إهلاكي إياه، سيصطلم مع الهالكين.

طوبى لك يا ابن مريم ثم طوبى لك إن أخذت بأدب إلَهك الذي يتحنن عليك ترحماً، وبدأ النعم منه تكرماً، وكان لك في الشدائد. لا تعصه يا عيسى فإنه لا يحلك عصيانه. قد عهدت إليك ما عهدت إلى من كان قبلك وأنا على ذلك من الشاهدين.

يا عيسى، ما أكرمت خليقة بمثل ديني، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي.

يا عيسى، إغسل بالماء منك ما ظهر وداو بالحسنات منك ما بطن، فإنك إليَّ راجع.

يا عيسى، أعطيتك ما أنعمت به عليك فيضاً من غير تكدير، وطلبت منك قرضاً لنفسك فبخلت به عليها، لتكون من الهالكين.

يا عيسى، تزين بالدين وحب المساكين، وامش على الأَرض هوناً، وصل على البقاع، فكلها طاهر.

يا عيسى، شمر فكل ما هو آت قريب، واقرأ كتابي وأنت طاهر، وأسمعني منك صوتاً حزيناً.

يا عيسى، لا خير في لذاذة لا تدوم، وعيش من صاحبه يزول.

يا ابن مريم، لو رأت عينك ما أعددت لأَوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً إليه، فليس كدار الآخرة دار، تجاور فيها الطيبون، ويدخل عليهم فيها الملائكة المقربون، وهم مما يأتي يوم القيامة من أهوالهما آمنون، دارٌ لا يتغير فيها النعيم، ولا يزول عن أهلها.

يا ابن مريم، نافس فيها مع المتنافسين، فإنها أمنية المتمنين، حسنة المنظر، طوبى لك يا ابن مريم إن كنت لها من العاملين، مع آبائك آدم وإبراهيم في جنات ونعيم، لا تبغي لها بدلاً ولا تحويلاً، كذلك أفعل بالمتقين.

يا عيسى، أهرب إلي مع من يهرب من نار ذات لهب، ونار ذات أغلال وأنكال، لا يدخلها روح، ولا يخرج منها غم أبداً، قطع كقطع الليل المظلم، من ينج منها يفز، ولن ينجو منها من كان من الهالكين، هي دار الجبارين والعتاة الظالمين، وكل فظ غليظ، وكل مختار فخور.

يا عيسى، بئست الدار لمن ركن إليها، وبئس القرار دار الظالمين، إني أحذرك نفسك فكن بي خبيراً.

يا عيسى، كن حيث ما كنت مراقباً لي، واشهد على أني خلقتك وأنت عبدي.

يا عيسى، لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا قلبان في صدر واحد، وكذلك الأَذهان.

يا عيسى، لا تستيقظن عاصياً، ولا تستنبهن لاهياً، وافطم نفسك عن الشهوات الموبقات، وكل شهوة تباعدك مني فاهجرها، واعلم أنك مني بمكان الرسول الأَمين، فكن مني على حذو العم. إن دنياك مؤديتك إليَّ وإني آخذك بعلمي، فكن ذليل النفس عند ذكري، خاشع القلب حين تذكرني، يقظاناً عند نوم الغافلين.

يا عيسى، هذه نصيحتي إياك وموعظتي لك، فخذها مني، وإني رب العالمين.

يا عيسى، إذا صبر عبدي في جنبي كان ثواب عمله علي، وكنت عنده حين يدعوني، وكفى بي منتقماً ممن عصاني، أين يهرب مني الظالمون ؟

يا عيسى، أطب الكلام، وكن حيثما كنت عالماً متعلماً.

يا عيسى، أفض بالحسنات إليَّ، حتى يكون لك ذكرها عندي، وتمسك بوصيتي فإن فيها شفاء للقلوب.

يا عيسى، لا تأمن إذا مكرت مكري، ولا تنس عند خلوات الدنيا ذكري.

يا عيسى، حاسب نفسك بالرجوع إلي، حتى تتنجز ثواب ما عمله العاملون، أولئك يؤتون أجرهم وأنا خير المؤتين.

يا عيسى، كنت خلقاً بكلامي، ولدتك مريم بأمري المرسل إليها روحي جبرئيل، الأَمين من ملائكتي، حتى قمت على الأَرض حياً تمشي كل ذلك في سابق علمي.

يا عيسى، زكريا بمنزلة أبيك وكفيل أمك، إذ يدخل عليها المحراب فيجد عندها رزقاً، ونظيرك يحيى من خلقي، وهبته لأَمه بعد الكبر من غير قوة بها، أردت بذلك أن يظهر لها سلطاني وتظهر قدرتي. أحبكم إلي أطوعكم لي، وأشدكم خوفاً مني.

يا عيسى، تيقظ ولا تيأس من روحي، وسبحني مع من يسبحني، وبطيب الكلام فقدّسني.

يا عيسى، كيف يكفر العباد بي ونواصيهم في قبضتي، وتقلبهم في أرضي، يجهلون نعمتي ويتولون عدوي، وكذلك يهلك الكافرون.

يا عيسى، إن الدنيا سجن منتن الريح، وحسن فيها ما قد ترى مما قد تذابح عليه الجبارون، وإياك والدنيا فكل نعيمها يزول، وما نعيمها إلا قليل.

يا عيسى، إبغني عند وسادك تجدني، وادعني وأنت لي محب، فإني أسمع السامعين، أستجيب للداعين إذا دعوني.

يا عيسى، خفني وخوف بي عبادي، لعل المذنبين أن يمسكوا عما هم عاملون به، فلا يهلكوا إلا وهم يعلمون.

يا عيسى، إرهبني رهبتك من السبع والموت الذي أنت لاقيه، فكل هذا أنا خلقته، فإياي فارهبون.

يا عيسى، إن الملك لي وبيدي، وأنا الملك فإن تطعني أدخلتك جنتي في جوار الصالحين.

يا عيسى، إني إذا غضبت عليك لم ينفعك رضى من رضي عنك، وإن رضيت عنك لم يضرك غضب المغضبين.

يا عيسى، أذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، واذكرني في ملاَك أذكرك في ملاَ خير من ملأالآدميين.

يا عيسى، أدعني دعاء الغريق الحزين، الذي ليس له مغيث.

يا عيسى، لا تحلف بي كاذباً فيهتز عرشي غضباً. الدنيا قصيرة العمر طويلة الاَمل وعندي دار خير مما تجمعون.

يا عيسى، كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحق وأنتم تشهدون بسرائر قد كتمتموها وأعمال كنتم بها عاملين.

يا عيسى، قل لظلمة بني إسرائيل: غسلتم وجوهكم ودنستم قلوبكم، أبي تغترون أم علي تجترئون ؟ ! تطيبون بالطيب لاَهل الدنيا وأجوافكم عندي بمنزله الجيف المنتنة، كأنكم أقوام ميتون!

يا عيسى، قل لهم: قلموا أظفاركم من كسب الحرام، وأصموا أسماعكم عن ذكر الخنا، وأقبلوا علي بقلوبكم، فإني لست أريد صوركم.

يا عيسى، إفرح بالحسنة فإنها لي رضى، وابك على السيئة فإنها شين، وما لا تحب أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك، وإن لطم خدك الأَيمن فأعطه الأَيسر، وتقرب إليَّ بالمودة جهدك، وأعرض عن الجاهلين.

يا عيسى، ذُلَّ لأَهل الحسنة وشاركهم فيها، وكن عليهم شهيداً. وقل لظلمة بني إسرائيل: يا أخدان السوء والجلساء عليه، إن لم تنتهوا أمسخكم قردة وخنازير.

يا عيسى، قل لظلمة بني إسرائيل: الحكمة تبكي فرقاً مني، وأنتم بالضحك تهجرون، أتتكم براءتي، أم لديكم أمان من عذابي، أم تعرضون لعقوبتي ؟ ! فبي حلفت لأتركنكم مثلاً للغابرين.

ثم أوصيك يابن مريم البكر البتول، بسيد المرسلين وحبيبي، فهو أحمد صاحب الجمل الأَحمر، والوجه الأَقمر، المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحيي المتكرم، فإنه رحمة للعالمين، وسيد ولد آدم يوم يلقاني، أكرم السابقين عليَّ

وأقرب المرسلين مني، العربي الأَمين، الديان بديني، الصابر في ذاتي، المجاهد المشركين بيده عن ديني، أن تخبر به بني إسرائيل، وتأمرهم أن يصدقوا به وأن يؤمنوا به وأن يتبعوه، وأن ينصروه.

قال عيسى: إلَهي من هو حتى أرضيه، فلك الرضا ؟ قال: هو محمد رسول الله إلى الناس كافة، أقربهم مني منزلة، وأحضرهم شفاعة، طوبى له من نبي، وطوبى لأَمته إن هم لقوني على سبيله، يحمده أهل الأَرض ويستغفر له أهل السماء، أمين ميمون، طيب مطيب، خير الباقين عندي، يكون في آخر الزمان، إذا خرج أرخت السماء عزاليها، وأخرجت الأَرض زهرتها، حتى يروا البركة، وأبارك لهم فيما وضع يده عليه، كثير الأَزواج، قليل الأَولاد، يسكن بكة، موضع أساس إبراهيم.

يا عيسى، دينه الحنيفية، وقبلته يمانية، وهو من حزبي وأنا معه، فطوبى له ثم طوبى له، له الكوثر والمقام الأَكبر في جنات عدن، يعيش أكرم من عاش ويقبض شهيداً، له حوض أكبر من بكة إلى مطلع الشمس، من رحيق مختوم، فيه آنية مثل نجوم السماء، وأكواب مثل مدر الأَرض، عذب فيه من كل شراب، وطعم كل ثمار في الجنة، من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً، وذلك من قسمي له وتفضيلي إياه. على فترة بينك وبينه، يوافق سره علانيته، وقوله فعله، لايأمر الناس إلا بما يبدأهم به، دينه الجهاد في عسر ويسر، تنقاد له البلاد ويخضع له صاحب الروم. على دين إبراهيم، يسمي عند الطعام، ويفشي السلام، ويصلي والناس نيام، له كل يوم خمس صلوات متواليات، ينادي إلى الصلاة

كنداء الجيش بالشعار، ويفتتح بالتكبير ويختتم بالتسليم، ويصف قدميه في الصلاة كما تصف الملائكة أقدامها، ويخشع لي قلبه ورأسه، النور في صدره والحق على لسانه، وهو على الحق حيثما كان أصله. يتيمٌ ضال برهة من زمانه عما يراد به، تنام عيناه ولاينام قلبه، له الشفاعة، وعلى أمته تقوم الساعة، ويدي فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى

بما عاهد عليه أوفيت له بالجنة، فمر ظلمة بني إسرائيل ألا يدرسوا كتبه، ولا يحرفوا سنته، وأن يقرؤوه السلام، فإن له في المقام شأناً من الشأن. انتهى.

وقد يكون حدث في هذا النص تغيير ما من الرواة، ولكن فيه أفكاراً وأموراً مهمة يحسن مقارنتها وأمثالها مما ورد في مصادرنا عن عيسى عليه السلام بالنصوص التي تشابهها من الإنجيل والتوراة، لمعرفة التفاوت والتغيير فيها.

* *

تفسير إخواننا السنيين القريب من تفسيرنا

. مسند أحمد ج ٢ ص ٤٤١

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال: هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه.

. الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٧

أخرج سعيد بن منصور والبخاري وابن جرير وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء، كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان إشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، وسئل عنه قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي.

وأخرج ابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المقام المحمود الشفاعة.

وأخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال مقام الشفاعة.

وأخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال: هو الشفاعة.

. الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨

وأخرج ابن أبي شيبة عن سلمان رضي الله عنه قال: يقال له: سل تعطه، يعني النبي صلى الله عليه وسلم، واشفع تشفع، وادع تجب، فيرفع رأسه فيقول: أمتي مرتين أو ثلاثاً فقال سلمان رضي الله عنه: يشفع في كل من في قلبه مثقال حبة حنطة من إيمان، أو مثقال شعيرة من إيمان، أو مثقال حبة خردل من إيمان. قال سلمان رضي الله عنه: فذلكم المقام المحمود.

. الدر المنثور ج ٥ ص ٩٨

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: بأبي أنت وأمي أين كنت وآدم في الجنة ؟ فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال: إني كنت في صلبه، وهبط إلى الاَرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذفت في النار في صلب أبي ابراهيم، لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الاَصلاب الطيبة إلى الاَرحام الطاهرة، مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإِسلام هداني وبين في التوراة والإِنجيل ذكري، وبين كل شيَ من صفتي في شرق الاَرض وغربها، وعلمني كتابه، ورقي بي في سمائه، وشق لي من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدني أن يحبوني بالحوض وأعطاني الكوثر، وأنا أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجني في خير قرون أمتي، وأمتي الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. انتهى.

. ورواه في كنز العمال ج ١٢ ص ٤٢٧ وأضاف فيه: قال ابن عباس: فقال حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم:

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودعٍ حيث يخصف الورقُ

ثم سكنت البلاد لا بشرٌ * أنت ولا نطفة ولا علق

مطهر تركب السفين وقد * ألجم أهل الضلالة الغرق
تنقل من صلبٍ إلى رحم * إذا مضى عالم بدا طبق

. تفسير الطبري ج ١٥ ص ٩٦

وقوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، عن ابن عباس قال: المقام المحمود مقام الشفاعه..

. ومثله في طبقات المحدثين بأ صبهان ج ١ ص ٢٠١ عن جابر وأبي سعيد مرفوعاً وفي مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ١ جزء ٢ ص ١٦٥ عن ابن عباس.

. الشفا للقاضي عياض ص ٢١٦

فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود، قال الله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً... عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى، كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان إشفع لنا يا فلان إشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

. تفسير الرازي ج ١١ جزء ٢١ ص ٣١

قال الواحدي: أجمع المفسرون على أنه (المقام المحمود) مقام الشفاعه... إن احتياج الإنسان إلى دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع الزائده التي لا حاجة به إلى تحصيلها. وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، هو الشفاعة في إسقاط العقاب. انتهى. وراجع التفسير الوسيط للنيسابوري ج ٣ ص ١٢٢

. وقال في ج ١٦ جزء ٣٢ ص ١٢٧ قوله تعالى: إنا أعطيناك الكوثر، الكوثر هو المقام المحمود الذي هو الشفاعة... شفاعتي لأَهل الكبائر من أمتي .

تفسيرهم الذي فيه تجسيم

. صحيح البخاري ج ٨ ص ١٨٣

فأستأذن على ربي في داره ! فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول: إرفع يا محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط. قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعته أيضاً يقول: فأ خرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فاستأذن على ربي في داره ! فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: إرفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال ثم أشفع، فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن إلى ربي في داره ! فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ماشاء الله أن يدعني، ثم يقول إرفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وقد سمعته يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود.قال: ثم تلا الآية: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم.

ونحوه في صحيح مسلم ج ١ ص ١٢٣ ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٤٤ وشبيهه في مسند أحمد ج ١ ص ٣٩٨ وسنن الترمذي ج ٤ ص ٣٧٠ ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٩٦ والدر المنثور ج ٣ ص٨٧ عن الطبري.

. وفي الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٧ في قصة الدجال

عن ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذكر عنده الدجال فقال... إلى آخر

الرواية. وستأتي بتمامها في بحث الخلود في الجنة والنار وفي بعض نصوصها تجسيم صريح وفي بعضها رائحة التجسيم.

وكذلك ما رواه البخاري في تسعة مواضع من صحيحه ج ٢ جزء ٤ ص ١٠٥ وج ٣ جزء ٥ ص ١٤٦ وص ٢٢٥ وص ٢٢٨ وج ٧ ص ٢٠٣ وج ٨ ص ١٧٢ وص ١٨٣ وص ٢٠٠ وص ٢٠٣ من حديث الشدة التي تكون على الناس في المحشر حتى يلجؤون

(كذا) الى آدم وغيره من الأنبياء فيحولونهم على نبينا صلى الله عليه وآله فيشفع إلى الله تعالى فيشفعه. وروى ذلك في كنز العمال ج ٢ ص ٢٦ وغيره.

. سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٢٥

عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل له: ما المقام المحمود ؟ قال: ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه يئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به، وهو كسعة ما بين السماء والأرض، ويجاء بكم حفاة عراة غرلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم، يقول الله تعالى إكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة، ثم أكسى على أثره، ثم أقوم عن يمين الله مقاماً يغبطني الأولون والآخرون. انتهى.

. ورواه أحمد في مسنده عن عمر ج ٤ ص ١٣٧ ورواه الحاكم في ج ٢ ص ٣٦٤ والبغوي في مصابيحه ج ٣ ص ٥٥٢ والهندي في كنز العمال ج ١٤ ص ٤١٢ والسيوطي في الدر المنثور ج ٣ ص ٨٤ وروى نحوه في الدر المنثور ج ١ ص ٣٤ وص ٣٢٨ وص ٣٢٤ قال: وأخرج ابن المنذر وأبوالشيخ عن ابن مسعود قال قال رجل: يا رسول الله ما المقام المحمود ؟ قال...

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال كان الحسن يقول: الكرسي هو العرش.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم... وسع كرسيه السموات والأرض، فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد !!. انتهى. ورواه في كنز العمال ج ١٤ ص ٦٣٦

. وفي فردوس الأخبار ج ٣ ص ٨٥

عن ابن عمر: عسى الله أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، يجلسني معه على السرير.

. وفي ج ٤ ص ٢٩٨ عن أنس بن مالك: من كرامتي على ربي عز وجل قعودي على العرش.

. مجمع الزوائد ج ٧ ص ٥١:

وعن ابن عباس أنه قال في قول الله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، يجلسه بينه وبين جبريل ويشفع لأمته، فذلك المقام المحمود. ورواه السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨

. وروى البيهقي في دلائل النبوة ج ٥ ص ٤٨١

يأتي رسول الله (ص) يوم القيامة إلى الله وهو جالس على كرسيه.

. وقال الشوكاني في فتح القدير ج ٣ ص ٣١٦

إن المقام المحمود هو أن الله سبحانه يجلس محمداً معه على كرسيه حكاه ابن جرير... وقد ورد في ذلك حديث.

. وفي تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٢ عن ليث بن مجاهد في قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً قال: يقعده معه على العرش..

. وفي تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٢

عن عبدالله بن خليفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكرسي الذي يجلس عليه الرب عز وجل وما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد!

قال أبوبكر المروذي قال لي أبو علي الحسين بن شبيب قال لي أبوبكر بن سلم العابد حين قدمنا إلى بغداد: أخرج ذلك الحديث الذي كتبناه عن أبي حمزة، فكتبه

أبو بكر بن سلم بخطه وسمعناه جميعاً، وقال أبوبكر بن سلم: إن الموضع الذي يفضل لمحمد صلى الله عليه وسلم ليجلسه عليه ! قال أبوبكر الصيدلاني: من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبي بكر المروزي، وعلى أبي بكر بن سلم العابد!!

القعود على العرش فكرة يهودية مسيحية

. قال جولد تسيهر في مذاهب التفسير الإسلامي ص ١٢٢

سجلت فتنة ببغداد أثارها نزاع على مسألة من التفسير ذلك هو تفسير الآية ٧٩ من سورة الإسراء: ومن الليل فتهجد به نافلة عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا، ما المراد من المقام المحمود ؟ ذهب الحنابلة... الى أن الذي يفهم من ذلك هو أن الله يقعد النبي معه على العرش... ربما كان هذا متأثراً بما جاء في انجيل مرقص ١٦ . ١٩، وآخرون ذهبوا إلى أن المقام المحمود... هو مرتبة الشفاعة التي يرفع إليها النبي. انتهى.

وقد أوردنا في المجلد الثاني من العقائد الإسلامية أن أفكار التجسيم والصفات المادية لله تعالى وعرشه قد أخذها بعض المسلمين من اليهود وأدخلوها في الثقافة الإسلامية، وأضاف اليها هؤلاء المقلدة إجلاس نبيهم إلى جنب الله تعالى ! بينما روى اليهود إجلاس موسى وداود الى جنبه ! وروى المسيحيون جلوس عيسى على السرير الى جنب أبيه !! وقد تقدم ذلك في الشفاعة عند اليهود والنصارى.

ونلاحظ أن ابن سلام اليهودي الذي أسلم يقول عن نبينا صلى الله عليه وآله إنه لا يجلس إلى جنب الله تعالى بل (يلقى) له كرسيٌّ في جنب المجلس مثلاً فيجلس عليه ! قال البيهقي في دلائل النبوة ج ٥ ص ٤٨٦: عن عبد الله بن سلام: وينجو النبي (ص) والصالحون معه، وتتلقاهم الملائكة يرونهم منازلهم.. حتى ينتهي الى الله عز وجل فيلقى له كرسي. انتهى.

وسوف تعرف في بحث الشفيع الأَول أن مصادر السنيين تأثرت بالإِسرائيليات

وصححت رواياتها وجعلت شفاعة أنبياء بني إسرائيل قبل نبينا صلى الله عليه وآله وجعلته الشفيع الرابع قال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يأذن الله تعالى في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ثم يقوم عيسى وموسى عليهما السلام ثم يقوم نبيكم صلى الله عليه وسلم رابعاً ليشفع... ورواه الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٤٩٦ بسند صحيح على شرط الشيخين!!

أما الفتنة التي ذكرها تسيهر فقد ذكرها ابن الأَثير في تاريخه ج ٥ ص ١٢١ فقال: (في سنة ٣١٧ هـ) وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين غيرهم من العامة، ودخل كثير من الجند فيها، وسبب ذلك أصحاب المروزي قالوا في تفسير قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، هو أن الله سبحانه يقعد النبي (ص) معه على العرش ! وقالت طائفة إنما هو الشفاعة، فوقعت الفتنة فقتل بينهم قتلى كثيرة. انتهى.وذكرها الذهبي في تاريخ الإِسلام ج ٢٣ ص ٣٨٤ وأنها بسبب تفسير آية المقام المحمود، حيث قالت الحنابلة إنها تعني أن الله يقعده على عرشه كما قال مجاهد. وقال غيرهم: بل هي الشفاعة العظمى.

انتقاد بعض علماء السنة التفسير بالقعود على العرش

ـ قال السقاف في صحيح شرح العقيدة الطحاوية ج ١ ص ٥٧٠

قال الإِمام الطحاوي رحمه الله: والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأَخبار ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنّطهم.

الشرح: لقد ثبتت الشفاعة منطوقاً ومفهوماً في القرآن الكريم وخاصة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن تلك الآيات قوله تعالى: ولسوف يعطيك ربك فترضى. الضحى . ٣ وقال تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا. الإسراء . ٧٩ وتفسير المقام المحمود بالشفاعة

ثابت في الصحيحين وغيرهما (٣٣٨.(

وقال الله تعالى: يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً. طه . ١٠٩. وقال تعالى: ما من شفيع إلا من بعد إذنه. يونس . ٣

وفي شفاعة الملائكة قوله تعالى: بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول. وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون. الأَنبياء . ٧٨

وقال في هامشه: (٣٣٨) أنظر البخاري ٣ . ٣٣٨ و ٨ . ٣٩٩ و ١٣ .٤٢٢ ومسلم ١ . ١٧٩. ومن الغريب العجيب أن يعرض المجسمة والمشبهة عن هذا الوارد الثابت في الصحيحين، ويفسروا المقام المحمود بجلوس سيدنا محمد على العرش بجنب الله ! تعالى الله عن إفكهم وكذبهم علواً كبيراً، وهم يعتمدون على ذلك على ما يروى عن مجاهد بسند ضعيف من أنه قال ما ذكرناه من التفسير المنكر المستشنع، وتكفل الخلال في كتابه السنة ١ . ٢٠٩ بنصرة التفسير المخطئ المستبشع، وقد نطق بما هو مستنشع عند جميع العقلاء!

. وقال السقاف في شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٠

وهذا الخلال يقول في سنته ص ٢٣٢ ناقلاً: لا أعلم أحداً من أهل العلم ممن تقدم ولا في عصرنا هذا إلا وهو منكر لما أحدث الترمذي (٩٩) من رد حديث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال يقعده على العرش (١٠٠) فهو عندنا جهمي يهجر ونحذر عنه.

وقال السقاف في هامشه: (٩٩) مع أن التأويل والتفويض لم يحدثه ولم يخترعه الترمذي؛. ومن الغريب العجيب أيضاً أن محقق سنة الخلال عطية الزهراني حاول أن ينفي أن كون الترمذي المراد هنا هو الإمام المعروف صاحب السنن فقال ص ٢٢٤ في الهامش تعليق رقم ٤هو جهم بن صفوان ثم تراجع عن ذلك ص ٢٣٢ فقال في الهامش التعليق رقم ٨ (كنت أظنه جهم، ولكن اتضح من الروايات أنه يقصد

رجلاً آخر لم أتوصل إلى معرفته) فيا للعجب!!

(100)وهذا القعود الذي يتحدثون عنه هو قعود سيدنا محمد صلى الله عليه وآله بجنب الله تعالى على العرش ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! والدليل عليه قول الخلال هناك ص٢٤٤: حدثنا أبو معمر ثنا أبو الهذيل عن محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد قال: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا، قال: يجلسه معه على العرش قال عبد الله: سمعت هذا الحديث من جماعة وما رأيت أحداً من المحدثين ينكره، وكان عندنا في وقت ما سمعناه من المشائخ أن هذا الحديث إنما تنكره الجهمية.

أقول: ومن العجيب الغريب أن الألباني ينكر هذا، ويقول بعدم صحته وأنه لم يثبت كما سيأتي، وكذلك محقق الكتاب وهو متسلف معاصر ينكر ذلك أيضاً ويحكم على هذا الأثر بالضعف حيث يقول في هامش تلك الصحيفة تعليق رقم ١٩: إسناده ضعيف ! فهل هؤلاء جهمية ! وما هذا الخلاف الواقع بين هؤلاء في أصول اعتقادهم!

ومن الغريب العجيب أيضاً أنهم اعتبروا أن نفي قعود سيدنا محمد صلى الله عليه وآله بجنب الله نافياً ودافعاً لفضيلة من فضائل النبي صلى الله عليه وآله والدليل على ما قلناه قول الخلال هناك ص ٢٣٧: (وقال أبو علي إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي (وهو مجهول بنظر المحقق): إن هذا المعروف بالترمذي عندنا مبتدع جهمي، ومن رد حديث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن رد فضيلة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام !!) وقال ص ٢٣٤ ناقلاً (وأنا أشهد على هذا الترمذي أنه جهمي خبيث) ! انتهى.

* *

تفسير قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى(

قال الله تعالى: والضحى والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى. وللآخرة خير

لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى. الضحى ١ . ٥

والعطاء في الآية مطلق شامل لأنواع ما يعطيه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله ومن الطبيعي أن يكون عطاء عظيماً متناسباً مع كرم الله تعالى على حبيبه أشرف الخلق

وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله.. ولم تنص الآية على أنه الشفاعة ولكن بعض الأَحاديث نصت على ذلك، وبعضها نص على أنها الشفاعة في أهل بيته وبني هاشم وعبد المطلب، وبعضها نص على أنه العطاء في الجنة، وبعضها أطلق.. وبعضها قال إنها الشفاعة في أهل بيته وأمته.. وجعلها بعضهم الشفاعة في جميع أمته صلى الله عليه وآله بحيث لا يدخل أحد منها النار أبداً ! ولكن ذلك لا يصح لأَنه مخالف لما ثبت عنه صلى الله عليه وآله من دخول بعض أمته النار ومخالف لقانون الجزاء الإِلَهي، كما ستعرف.

تفسير الآية بالعطاء الإِلَهي الأَعم من الشفاعة

. تفسير القمي ج ٢ ص ٤٢٧

حدثنا جعفر بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: وللآخرة خير لك من الأولى، قال: يعني الكرة هي الآخرة للنبي صلى الله عليه وآله. قلت قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال: يعطيك من الجنة فترضى. ورواه في مختصر بصائر الدرجات ص ٤٧ وفي بحار الأَنوار ج ٥٣ ص ٥٩ وفي تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٩٤

. تفسير التبيان ج ١٠ ص ٣٦٩

قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى، وعد من الله له أن يعطيه من النعيم والثواب وفنون النعم ما يرضي النبي صلى الله عليه وآله به ويؤثره.

. تأويل الآيات ج ٢ ص ٨١٠

قوله تعالى: وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى. تأويله ما رواه محمد بن العباس رحمه الله عن أبي داود، عن بكار، عن عبد الرحمان، عن

إسماعيل بن عبدالله، عن علي بن عبد الله بن العباس قال: عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو مفتوح على أمته من بعده كفراً كفراً فسرَّ بذلك فأنزل الله عز وجل: وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال: فأعطاه الله عزوجل ألف قصر في الجنة ترابه المسك، وفي كل قصر ما ينبغي له من الأَزواج والخدم. وقوله: كفراً كفراً أي قرية، والقرية تسمى كفراً.انتهى.

. ورواه في الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١

عن ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه وأبو نعيم كلاهما في الدلائل عن ابن عباس قال...الخ.

وقال: أخرج الطبراني في الأَوسط والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عرض عليَّ ما هو مفتوح لأَمتي بعدي فسرني، فأنزل الله: وللآخرة خير لك من الأولى.

. بحار الأَنوار ج ١٦ ص ١٣٦

ولسوف يعطيك ربك فترضى، أي من الحوض والشفاعة وسائر ما أعد له من الكرامة، أو في الدنيا أيضاً من إعلاء الدين وقمع الكافرين.

. سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٩

قال ابن إسحاق: ثم فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترةً من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذي أكرمه بما أكرمه به: ما ودَّعه وماقلاه، فقال تعالى: والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى، يقول: ما صرمك فتركك، وما أبغضك منذ أحبك. وللآخرة خير لك من الأولى، أي لَمَا عندي من مرجعك إليَّ خيرٌ لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا. ولسوف يعطيك ربك فترضى، من الفلج في الدنيا والثواب في الآخرة.

تفسيرها بالشفاعة لأَمته أو بالشفاعة مطلقاً

. تفسير فرات الكوفي ص ٥٧٠

فرات قال: حدثني محمد بن القاسم بن عبيد معنعناً: عن حرب بن شريح البصري قال: قلت لمحمد بن علي عليهما السلام: أي آية في كتاب الله أرجى ؟ قال: مايقول فيها قومك قال قلت يقولون: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، قال: لكنا أهل البيت لا نقول ذلك. قال قلت: فأيش تقولون فيها ؟ قال نقول: ولسوف يعطيك ربك فترضى، الشفاعة والله، الشفاعة والله الشفاعة. ورواه في بحار الأَنوار ج ٨ ص ٥٧

. وقال في هامش تفسير فرات:

. وأخرج الحسكاني في شواهد التنزيل عن الحسين بن محمد الثقفي عن الحسين بن محمد بن حبيش المقري، عن محمد بن عمران بن أسد الموصلي، عن محمد بن أحمد المرادي، عن حرب بن شريح البزاز، عن محمد بن علي الباقر، عن ابن الحنفية، عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشفع لأمتي حتى ينادي ربي: رضيت يا محمد ؟ فأقول: رب رضيت. ثم قال الباقر: إنكم معشر أهل العراق تقولون إن أرجى آية في القرآن: يا عبادي الذين أسرفوا.. قلت: إنا لنقول ذلك. قال: ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: ولسوف يعطيك ربك فترضى، وهي الشفاعة.

. وفي الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح رضي الله عنه قال قلت: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي ؟ قال: إي والله، حدثني عمي محمد بن الحنفية، عن علي أن رسول.. (بما يشبه رواية الحسكاني). انتهى.

. وقال في الدر المنثور

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن رضي الله عنه أنه سئل عن قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى ؟ قال: هي الشفاعة. انتهى. وروى الأول منهما في كنز العمال ج ١٤ ص ٦٣٦ عن مسند علي، ورواه الواحدي النيسابوري في تفسيره ج ٤ ص ٥١٠ والكاندهلوي في حياة الصحابة ج ٣ ص ٤٦ والشوكاني في فتح القدير ج ٥ ص ٥٦٨

. مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٠، قال حسان:

لئن كلم الله موسى على * شريف من الطور يوم الندا
فإن النبي أبا قاسم *حبي بالرسالة فوق السما
وقد صار بالقرب من ربه * على قاب قوسين لما دنا
وإن فجَّر الماء موسى لهم * عيوناً من الصخر ضرب العصا
فمن كفِّ أحمد قد فجرت * عيونٌ من الماء يوم الظما
وإن كان هارون من بعده * حبي بالوزارة يوم الملا
فإن الوزارة قد نالها * علي بلا شك يوم الفدا

وقال كعب بن مالك الأنصاري:

فإن يك موسى كلم الله جهرةً * على جبل الطور المنيف المعظم
فقد كلم الله النبي محمداً * على الموضع الاَعلى الرفيع المسوم

داود عليه السلام كان له سلسلة الحكومة ليميز الحق من الباطل، ولمحمد القرآن: ما فرطنا في الكتاب من شيَ، وليست السلسلة كالكتاب، والسلسلة قد فنيت والقرآن بقي إلى آخر الدهر .وكان له النغمة، ولمحمد الحلاوة: وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول..... قال حسان:

وإن كان داود قد أوبت * جبال لديه وطير الهوا
ففي كف أحمد قد سبحت * بتقديس ربي صغار الحصى

...وسليمان كان يصفدهم لعصيانهم، ونبينا أتوه طائعين راغبين. وسأل سليمان ملك دنيا: رب هب لي ملكاً... وعرض مفاتيح خزائن الدنيا على محمد فردها، فشتان بين من يسأل وبين من يعطى فلا يقبل، فأعطاه الله الكوثر والشفاعة والمقام المحمود: ولسوف يعطيك ربك فترضى.

وقال لسليمان: أمنن أو امسك بغير حساب، وقال لنبينا: ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. قال حسان بن ثابت:

وإن كانت الجن قد ساسها * سليمان والريح تجري رخا
فشهر غدوٌ به راابياً * وشهر رواحٌ به إن يشا
فإن النبي سرى ليلةً * من المسجدين إلى المرتقى

وقال كعب بن مالك:

وإن تك نمل البر بالوهم كلمت * سليمان ذا الملك الذي ليس بالعمي
فهذا نبي الله أحمدُ سبحت * صغار الحصى في كفه بالترنم

ورواه في بحار الاَنوار ج ١٦ ص ٤١٥

. مناقب آل ابي طالب ج ٣ ص ١٠٣

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يهتم لعشرة أشياء فآمنه الله منها وبشره بها:

لفراقه وطنه فأنزل الله: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد.

ولتبديل القرآن بعده كما فعل بسائر الكتب، فنزل: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.

ولأمته من العذاب، فنزل: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم.

ولظهور الدين، فنزل: ليظهره على الدين كله.

وللمؤمنين بعده، فنزل: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ولخصمائهم، فنزل: يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا.

وللشفاعة، فنزل: ولسوف يعطيك ربك فترضى.

وللفتنة بعده على وصيه، فنزل: فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون يعني بعلي.

ولثبات الخلافة في أولاده، فنزل: لنستخلفنهم في الأَرض.

ولابنته حال الهجرة، فنزل: الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً...الآيات. انتهى.

. وقال الفخر الرازي في تفسيره ج ١٦ جزء ٣١ ص ٢١٣

قوله تعالى: ولسوف يعطيك ربك فترضى، فالمروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس أن هذا هو الشفاعة في الأمة... واعلم أن الحمل على الشفاعة متعين ويدل عليه وجوه (أحدها) أنه تعالى أمره (ص) فى الدنيا بالإستغفار... عن جعفر الصادق أنه قال: رضا جدي أن لا يدخل النار موحد، وعن الباقر: أهل العراق يقولون: أرجى آية قوله (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم)...الخ.

تفسيرها بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله لأَهل بيته خاصة

. تفسير فرات الكوفي ص ٥٧٠

قال حدثني جعفر بن محمد الفزاري قال: حدثنا عباد، عن نصر، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال: يدخل الله ذريته الجنة.

. تأويل الآيات ج ٢ ص ٨١٠

وروى أيضاً عن محمد بن أحمد بن الحكم، عن محمد بن يونس، عن حماد بن عيسى، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه صلى الله عليهما، عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من جلَّة الإبل فلما نظر إليها بكى وقال لها: يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا

لنعيم الآخرة غداً، فأنزل الله عليه: وللآخرة خير لك من الأَولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى.

وروى أيضاً عن أحمد بن محمد النوفلي، عن أحمد بن محمد الكاتب، عن

عيسى بن مهران بإسناده إلى زيد بن علي عليه السلام في قول الله عز وجل: ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال: إن رضى رسول الله صلى الله عليه وآله إدخال الله أهل بيته وشيعتهم الجنة، وكيف لا وإنما خلقت الجنة لهم والنار لأَعدائهم. فعلى أعدائهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

. مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٢٠

تفسير الثعلبي عن جعفر بن محمد عليه السلام وتفسير القشيري عن جابر الأَنصاري أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساء من جلة الإِبل...الخ.

ورواه في تفسير نور الثقلين ج٥ ص ٥٩٤ عن المناقب لابن شهر آشوب عن تفسير الثعلبي، وفي بحار الأَنوار ج ٣٩ ص٨٥ عن تفسير الثعلبي وعن تفسير القشيري عن جابر الأَنصاري.

. ورواه في الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١ قال:: وأخرج العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن هلال وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحى... الخ.

. مناقب أمير المؤمنين ج ١ ص ١٥٣

محمد بن سليمان قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: وحدثني محمد بن الصباح الدولابي قال: حدثنا الحكم بن ظهير، عن السدي في قوله تعالى: ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً، قال: المودة في آل الرسول. وفي قوله تعالى: ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال: يدخل أهل بيته الجنة.

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازة أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي العوام، حدثنا محمد بن الصباح الدولابي، حدثنا الحكم بن ظهير، عن السدي في قوله عز وجل: ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً، قال: المودة في آل الرسول صلى الله عليه وآله. وفي قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى، فقال: رضى محمد صلى الله عليه وآله أن

يدخل أهل بيته الجنة. انتهى.

وقال في هامشه: أقول: وقريباً منه رواه الحافظ الحسكاني في تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورى والآية٥ من سورة الضحى في كتاب شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٤٧ و ٣٤٤.

. مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٥

تفسير وكيع، قال ابن عباس في قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى، يعني ولسوف يشفعك يا محمد يوم القيامة في جميع أهل بيتك فتدخلهم كلهم الجنة ترضى بذلك عن ربك. انتهى. ورواه في بحار الأَنوار ج ٨ ص ٤٣

. بحار الأَنوار ج ٢٤ ص ٤٨

وروى عن ابن المغازلي أيضاً بإسناده عن السدي مثله، وزاد في آخره: وقال في قوله تعالى: ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال: رضى محمد صلى الله عليه وآله أن يدخل أهل بيته الجنة.

. الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١

وأخرج ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال: من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى.

تفسيرها بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله لجميع أمته!

. شعب الإيمان للبيهقي ج ٢ ص ١٦٤

عن ابن عباس من قوله عز وجل: ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال: رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة.

. الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال: رضاه أن تدخل أمته الجنة كلهم.

وأخرج الخطيب في تلخيص المتشابه من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال: لا يرضى محمد وأحد من أمته في النار.

وأخرج مسلم عن ابن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله في إبراهيم: فمن تبعني فإنه مني، وقول عيسى: إن تعذبهم فإنهم عبادك..الآية، فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل إذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك.

. تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٩٤

في مجمع البيان عن الصادق عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام وعليها كساء من جلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله لما أبصرها فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله علي: ولسوف يعطيك ربك فترضى.

وقال الصادق عليه السلام: رضا جدي أن لا يبقى في النار موحد.

وروى حريث بن شريح، عن محمد بن علي بن الحنفية أنه قال: يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله عز وجل: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم.. الآية، وإنا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله: ولسوف يعطيك ربك فترضى، وهي والله الشفاعة ليعطاها في أهل لا إلَه إلا الله حتى يقول: رب رضيت.

. مجمع البحرين ج ١ ص ١١٥

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله: كساه الله من حلل الأمان. قال بعض الشارحين: المراد

أمان أمته من النار، فإن الله تعالى قال له: ولسوف يعطيك ربك فترضى، وهو صلى الله عليه وآله لا يرضى بدخول أحد من أمته إلى النار، كما ورد في الحديث.

. مجمع البحرين ج ٢ ص ١٨٦

قوله تعالى: ولسوف يعطيك ربك فترضى، قال المفسرون: اللام في (ولسوف) لام الإبتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف، والتقدير: ولأَنت سوف يعطيك،

وليست بلام قسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد. وفي الرواية: إن أرجى آية في كتاب الله هذه الآية، لأنه لا يرضى بدخول أحد من أمته النار.

. بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٩١

)المكسو حلل الأمان) قال الشيخ البهائي رحمه الله: المراد أمان أمته من النار، فإن الله تعالى له: ولسوف يعطيك ربك فترضى، وهو صلى الله عليه وآله لا يرضى بدخول أحد من أمته في النار، كما ورد في الحديث، وحلل الامان استعارة.

* *

ملاحظتان

الأولى:

قد يشكل على بعض هذه الأحاديث بأن سورة الضحى مكية فكيف نزلت فيالمدينة بعد ما قاله النبي للزهراء صلى الله عليه وعليها ؟ أو بعد أن سب بعض القرشيين بني هاشم وقال (إنما مثل محمد فيهم كمثل شجرة في كبا) كما ذكرت بعض الروايات ؟.

والجواب:

أنه لا مانع من القول بنزول بعض الآيات مرتين أو مرات، كما قرر ذلك علماء التفسير في أسباب النزول، فيكون النزول الثاني مؤكداً، أو مبيناً لمصاديق الآية، أو تأويلاً لها.. ومن الواضح أن هذه الآية من النوع الذي يصح نزوله في أكثر من مناسبة لتطمين النبي صلى الله عليه وآله وتذكيره بنعم الله تعالى الآتية، ليتحمل أحقاد

المشركين ومؤامراتهم، ومتاعب الأمة وأذاياها، ومصاعب الدنيا ومراراتها.

ويؤيد نزولها مرة ثانية ما رواه السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١: وأخرج ابن مردويه عن عكرمة رضي الله عنه قال: لما نزلت وللآخرة خير لك من الأولى، قال العباس بن عبد المطلب: لا يدع الله نبيه فيكم إلا قليلاً لما هو خير له. انتهى.

ويؤيده أيضاً ما رواه المجلسي في بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٣٣: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حضرت النبي الوفاة استأذن عليه رجل فخرج إليه علي عليه السلام فقال: حاجتك؟ قال: أردت الدخول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال علي عليه السلام: لست تصل إليه فما حاجتك ؟ فقال الرجل: إنه لابد من الدخول عليه، فدخل علي فاستأذن النبي عليهما السلام فأذن له فدخل وجلس عند رأس رسول الله ثم قال: يا نبي

الله إني رسول الله إليك، قال: وأي رسل الله أنت قال: أنا ملك الموت، أرسلني إليك يخيَّرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فأمهلني حتى ينزل جبرئيل فأستشيره، ونزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله الآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى، لقاء الله خير لك، فقال صلى الله عليه وآله: لقاء ربي خير لي، فامض لما أمرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجل حتى أعرج إلى ربي وأهبط... الخ. انتهى.

على أنا نلاحظ في بعض رواياتها أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام (يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله علي: ولسوف يعطيك ربك فترضى) وهو يدل على أن النبي ذكَّر فاطمة بنزول الآية، لا أنها نزلت في ذلك الوقت.

الثانية:

نلاحظ في تفسير هذه الآية ملامح الإتجاه إلى توسيع الشفاعة لكل المسلمين، مؤمنهم ومنافقهم ظالمهم ومظلومهم محسنهم ومسيئهم ! وأنها وأمثالها لم تستثن الظالمين والجبارين والطغاة ومحرفي الدين والمفسدين في أمور البلاد والعباد ! ولا اشترطت شروطاً لنيل الشفاعة والنجاة فقالت مثلاً: من مات على الشهادتين وكان من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولم يكن في رقبته ظلم للعباد.. ولو أنها اشتملت على ذلك لكان لعمومها وجه يمكن الدفاع عنه..ولكنها

وأمثالها من الروايات تريد أن تقول إن المسلمين كلهم يدخلون الجنة مهما ارتكبوا من معاص ومظالم، ومهما انحرفوا عن في سلوكهم الخاص والعام عن الإسلام وخالفوا الله تعالى ورسوله ! بل مهما حرَّفوا الإسلام وأعملوا معاولهم في هدم أصوله وتغيير فروعه.. ! فما داموا مسلمين بالإسم منتمين إلى أمة النبي فإن النبي صلى الله عليه وآله لا يرضى يوم القيامة حتى يدخلهم الجنة إلى آخر نفر!!

وهذه نفس مقولة اليهود (نحن أبناء الله وأحباؤه) ولا يمكن التوفيق بينها وبين آيات القرآن والأَحاديث التي اتفق الجميع على صدورها عن النبي صلى الله عليه وآله.. مثل إخباره بأن بعض أصحابه يمنعون من ورود الحوض، ويؤمر بهم إلى النار.. كما سيأتي في محاولات توسيع الشفاعة، إن شاء الله تعالى، وستعرفت أن عدداً من الآيات والأَحاديث الثابتة عند الجميع تنص على أن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن تشمل أنواعاً من المجرمين والظالمين، حتى لو كانوا من أمة رسول الله صلى الله عليه

وآله وصحابته، وحتى لو كان عندهم بعض الاَعمال الحسنة، لاَن إجراء قوانين الجزاء والعقاب من مقتضيات العدل الإلَهي.

ولذلك فإن مقولة (أن النبي لا يرضى مادام أحد من أمته محكوماً عليه بدخول النار) مقولةٌ باطلة لا تصح نسبتها إلى النبي وآله صلى الله عليه وعليهم، لاَن الآيات والاَحاديث القطعية تعارضها، ويعارضها حكم العقل أيضاً، لاَنها تساوي بين المحسنين والفجار، بل تبطل القانون الإلَهي في العقاب!

وبسبب ذلك نستظهر أن أصل الحديث شفاعته صلى الله عليه وآله لاَهل بيته فجعلوه لاَمته، كما حرفوا غيره من الاَحاديث والمناقب الخاصة ببني هاشم أو بالعترة وجعلوه لكل قريش أو لكل الاَمة، ومن ذلك حديث (الاَئمة من بعدي اثنا عشر من أهل بيتي) فجعلوه من قريش ! ولا يتسع المجال للتفصيل.

نعم يمكن القول بشمول شفاعته صلى الله عليه وآله لكل أمته إذا حددنا مفهوم أمته صلى الله عليه وآله بمن

يقبلهم ويرتضيهم بسبب صحة عقيدتهم وصحة خطهم العام، فتشمل شفاعته خيار الموحدين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء قد يصح القول فيهم إن النبي صلى الله عليه وآله لا يرضى أن يدخلوا النار.

وقد ورد معنى قريب مما ذكرنا في دعاء في بحار الاَنوار ج ٩٤ ص 119يقول: اللهم إنك قلت لنبيك صلى الله عليه وآله: ولسوف يعطيك ربك فترضى. اللهم إن نبيك ورسولك وحبيبك وخيرتك من خلقك لا يرضى بأن تعذب أحداً من أمته دانك بموالاته وموالاة الاَئمة من أهل بيته وإن كان مذنباً خاطئاً في نار جهنم، فأجرني يا رب من جهنم وعذابها، وهبني لمحمد وآل محمد، يا أرحم الراحمين. انتهى.

* *

الفصل السادس

حدود الشفاعة

من الطبيعي للباحث في مسائل الآخرة والحساب والشفاعة والجنة والنار، أن يتذكر دائماً أن مصدر معلوماته عن ذلك العالم وكل عوالم الغيب إنما هو النصوص الشريفة من القرآن والسنة، وأن بحثه في مسائله يعني الإهتداء بالعقل والفكر في إطار هذه النصوص لا خارجها.. ولذلك يحتاج في كثير من التفاصيل وأحياناً في أمرٍ أساسي، إلى التوقف عند القدر المتيقن من النصوص، حتى لا يقول في دين الله تعالى بغير علم.

ومن الملاحظ في آيات الجنة والنار والشفاعة أن أحاديثها التي تصنف الناس بأنهم من أهل النار أو من أهل الجنة، لا تستوعب كل أصناف الناس، بل تبقى أصناف كثيرة خارجة عن القدر المتيقن من الطرفين.. وكذلك الأَمر في الشفاعة حيث نجد في القرآن الكريم شروطاً للشفعاء وللمشفوع لهم، ونجد في السنة تفصيلات لها وذكراً لأصناف من الناس تشملهم الشفاعة، أو لا تشملهم.. وتبقى أصناف أخرى من الناس لا تذكرها النصوص ولا تشملها.

والحل في مثل هذه الحالة التوقف وعدم التورط في تصنيف عباد الله في الجنة أو النار، أو داخل الشفاعة أو خارجها، بالظنون والإحتمالات، كما يفعل البعض!

المذاهب في حدود الشفاعة (من ارتضى)

هذا البحث من أهم بحوث الشفاعة من ناحية نظرية، كما أنه بحث حساس من ناحية تطبيقية، لأنه يصنِّف المسلمين إلى مرضيين عند الله ورسوله وغير مرضيين.. ولذلك اختلفت فيه آراء المذاهب والفئات، وكثر في تاريخ المسلمين وكتبهم البحث في الذين تشملهم شفاعة النبي صلى الله عليه وآله والذين لا تشملهم..

وأهم الأَقوال أو المذاهب في المسألة أربعة:

القول الأَول:

قول أهل البيت عليهم السلام الذي يشترط للشفاعة: الإِسلام، وعدم الشرك، وعدم الظلم، وإطاعة النبي صلى الله عليه وآله في مودة أهل بيته عليهم السلام.

القول الثاني:

القول بتوسيع الشفاعة، وهو قول أكثر المذاهب السنية التي توسعها إلى جميع المسلمين، بل إلى غيرهم من اليهود والنصارى.. وستعرف أن فيه عدة آراء بل مذاهب.

القول الثالث:

إنكار شفاعة النبي صلى الله عليه وآله أصلاً، وهو قول قدماء الخوارج، وقد رد عليهم أهل البيت عليهم السلام وبقية المذاهب. وقد ولد هذا الرأي ردةَ فعلٍ على مذهب توسعة الشفاعة الذي تبنته الدولة وأفرطت فيه.

القول الرابع:

قول المعتزلة بأن الشفاعة لا تشمل المسلم الذي يرتكب المعاصي الكبائر لاَنه يستحق النار، بل تختص بالمسلم الذي يرتكب المحرمات الصغائر المعفو عنها، وفائدتها رفع درجته في الجنة.

وسوف نستعرض هذه المذاهب في الفقرات التالية إن شاء الله تعالى.

* *

حدود الشفاعة عند أهل البيت عليهم السلام

ما دل على استثناء المشرك والظالم من الشفاعة

. التوحيد للصدوق ص ٤٠٧

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير قال: سمعت موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود، وأهل الضلال والشرك. ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر، قال الله تبارك وتعالى: إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً.

قال فقلت له: يابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين ؟

قال: حدثني أبي عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنما شفاعتي لاَهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل.

قال ابن أبي عمير فقلت له: يابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأَهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ؟ ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى!

فقال: يا أبا أحمد مامن مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: كفى بالندم توبة.

وقال صلى الله عليه وآله: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول: ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.

فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه ؟ فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم

عليها كان مصراً، والمصر لا يغفر له، لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم. وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: لا كبيرة مع الإِستغفار، ولا صغيرة مع الإِصرار. وأما قول الله عز وجل: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإِقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب، لمعرفته بعاقبته في القيامة. انتهى.
ورواه في وسائل الشيعة ج ١١ ص ٢٦٦، وفي تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٥١٧

. الإِعتقادات للصدوق ص ٤٤

إعتقادنا في الشفاعة: أنها لمن ارتضى دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة.

قال النبي صلى الله عليه وآله: من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي.

وقال صلى الله عليه وآله: لا شفيع أنجح من التوبة.

والشفاعة للأَنبياء والأَوصياء عليهم السلام، وفي المؤمنين من يشفع مثل ربيعة ومضر، وأقل المؤمنين من يشفع ثلاثين ألفاً.

والشفاعة لا تكون لأَهل الشك والشرك، ولا لأَهل الكفر والجحود، بل تكون للمذنبين من أهل التوحيد.

. من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٥٧٤

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنما شفاعتي لاَهل الكبائر من أمتي.

وقال الصادق عليه السلام: شفاعتنا لاَهل الكبائر من شيعتنا، وأما التائبون فإن الله عز وجل يقول: ما على المحسنين من سبيل. ورواهما في وسائل الشيعة ج ١١ ص ٢٦٤

. روضة الواعظين ص ٥٠١

قيل للرضاعليه السلام: يابن رسول الله فما معنى قول الله تعالى: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ؟ قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شفاعتي لاَهل الكبائر من أمتي ما خلا الشرك والظلم.

. الإختصاص للمفيد ص ٣٣

باب فيه مسائل اليهودي التي ألقاها على النبي صلى الله عليه وآله

حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم قال: حدثنا الحسين بن مهران قال: حدثني الحسين بن عبدالله، عن أبيه، عن جده، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد أنت الذي تزعم أنك رسول الله وأنه يوحى إليك كما أوحي إلى موسى بن عمران ؟ قال: نعم، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، أنا خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين.

فقال: يا محمد إلى العرب أرسلت أم إلى العجم أم إلينا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني رسول الله إلى الناس كافة.

فقال: إني أسألك عن عشر كلمات أعطاها موسى في البقعة المباركة حيث ناجاه لا يعلمها إلا نبيٌّ مرسل أو ملكٌ مقرب.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: سل عما بدا لك.

فقال: يا محمد أخبرني عن الكلمات التي اختارها الله لِإبراهيم عليه السلام حين بنى هذا البيت ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: نعم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلَه إلا الله، والله أكبر.

فقال: يا محمد لاَي شيء بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة مربعاً ؟

قال: لاَن الكلمات أربعة.

قال: فلاي شيء سميت الكعبة كعبة ؟

قال: لأنها وسط الدنيا.

قال: فأخبرني عن تفسير سبحان الله والحمد لله ولا إلَه إلا الله والله أكبر ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: علم الله أن ابن آدم والجن يكذبون على الله تعالى فقال: سبحان الله، يعني بريَ مما يقولون.

وأما قوله: الحمد لله، علم الله أن العباد لا يؤدون شكر نعمته، فحمد نفسه عز وجل قبل أن يحمده الخلائق، وهي أول الكلام، لولا ذلك لما أنعم الله على أحد بنعمة.

وأما قوله: لا إلَه إلا الله، وهي وحدانيته لا يقبل الله الاَعمال إلا به، ولا يدخل الجنة أحد إلا به، وهي كلمة التقوى سميت التقوى لما تثقل بالميزان يوم القيامة.

وأما قوله: الله أكبر، فهي كلمة ليس أعلاها كلام وأحبها إلى الله، يعني ليس أكبر منه، لأنه يستفتح الصلوات به لكرامته على الله، وهو اسم من أسماء الله الاَكبر.

فقال: صدقت يا محمد ما جزاء قائلها ؟

قال: إذا قال العبد: سبحان الله سبح كل شيء معه مادون العرش، فيعطى قائلها عشر أمثالها. وإذا قال: الحمد لله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا حتى يلقاه بنعيم الآخرة، وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها، والكلام ينقطع في الدنيا ما خلا الحمد، وذلك قولهم: تحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

وأما ثواب: لا إلَه إلا الله فالجنة، وذلك قوله: هل جزاء الاِحسان إلا الاِحسان.

وأما قوله: الله أكبر، فهي أكبر درجات في الجنة وأعلاها منزلة عند الله.

فقال اليهودي: صدقت يا محمد، أديت واحدة، تأذن لي أن أسألك الثانية ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: سلني ما شئت . وجبرئيل عن يمين النبي صلى الله عليه وآله وميكائيل عن يساره يلقنانه . فقال اليهودي: لاَي شيء سميت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً وداعيا ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما محمد فإني محمود في السماء، وأما أحمد فإني محمود في الاَرض، وأما أبو القاسم فإن الله تبارك وتعالى يقسم يوم القيامة قسمة النار بمن كفر بي أو يكذبني من الاَولين والآخرين، وأما الداعي فإني أدعو الناس إلى دين ربي إلى الاِسلام، وأما النذير فإني أنذر بالنار من عصاني، وأما البشير فإني أبشر بالجنة من أطاعني.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن الثالثة لأَي شيء وقت الله هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت على أمتك، في ساعات الليل والنهار.....

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن العاشرة: تسعة خصال أعطاك الله من بين النبيين، وأعطى أمتك من بين الاَمم ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: فاتحة الكتاب، والاَذان، والإِقامة، والجماعة في مساجد المسلمين، ويوم الجمعة، والإِجهار في ثلاث صلوات، والرخصة لاَمتي عند الاَمراض والسفر، والصلاة على الجنائز، والشفاعة في أصحاب الكبائر من أمتي... وأما شفاعتي في أصحاب الكبائر من أمتي ما خلا الشرك والمظالم.

قال: صدقت يا محمد، أشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين.

ثم أخرج ورقاً أبيض من كمه مكتوب عليه جميع ما قال النبي صلى الله عليه وآله حقاً، فقال... يا محمد فقد كنت أمحي إسمك في التوراة أربعين سنة، فكلما محوت وجدت إسمك مكتوباً فيها ! وقد قرأت في التوراة هذه المسائل لا يخرجها غيرك، وإن ساعة ترد جواب هذه المسائل يكون جبرئيل عن يمينك وميكائيل عن يسارك.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: جبرئيل عن يميني وميكائيل عن يساري!

. الخصال للصدوق ص ٣٥٥

حدثنا محمد بن علي ماجيلويه، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبي الحسن علي بن الحسين البرقي، عن عبد الله بن جبلة، عن الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في حديث طويل قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن أشياء فكان فيما سأله: أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين وأعطى أمتك من بين الأمم.... الخ. وهو شبيه بما تقدم عن الإِختصاص، ولعل السبع تصحيف

للتسع ورواه في تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٧٧ وبعضه في مستدرك الوسائل ج ١١ ص ٣٦٤

. بشارة المصطفى ص ٢٠

قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أغفل الناس قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي بن أبي طالب يوم مشربة أم إبراهيم، كما أغفلوا قوله فيه يوم غدير خم ! إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في مشربة أم إبراهيم وعنده أصحابه إذ جاءه علي عليه السلام فلم يفرجوا له، فلما رآهم لم يفرجوا له قال لهم: يا معاشر الناس هذا علي من أهل بيتي، وتستَخِفُّونَ بهم وأنا حيٌّ بين ظهرانيكم ! أما والله لئن غبت عنكم فإن الله لا يغيب عنكم، إن الرَّوْحَ والراحة والبشر والبشارة لمن ائتم بعلي وتولاه، وسلم له وللأَوصياء من ولده. إن حقاً عليَّ أن أدخلهم في شفاعتي لأَنهم أتباعي فمن تبعني فإنه مني، سنة جرت فيَّ من إبراهيم لأَني من إبراهيم وإبراهيم مني، وفضلي فضله وفضله فضلي، وأنا أفضل منه، تصديق قول ربي: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

. التبيان في تفسير القرآن ج ١٠ ص ١٨٧

فقال الله تعالى لهم: فما تنفعهم شفاعة الشافعين، الذين يشفعون لهم، لأَن عذاب الكفر لا يسقطه الله بالشفاعة بالإِجماع.

أصناف من الناس موعودون بالشفاعة

وردت في مصادر الفريقين أحاديث متعددة وَعَدت أصنافاً من الناس بالشفاعة جزاء لأعمالهم، أو جعلتهم من أهل الشفاعة لغيرهم، أو حذرتهم من الحرمان منها عقاباً على أعمالهم، ونذكر منها نماذج من مصادرنا، ومن مصادر السنيين في محلها:

1. من قضى لأَخيه المؤمن حاجة

. وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٨٨

في ثواب الأَعمال، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم،

عن سيف بن عميرة، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن شرحبيل بن سعد الأَنصاري، عن أشيد بن حضيرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أغاث أخاه المسلم حتى يخرجه من هم وكربة وورطة، كتب الله له عشر حسنات ورفع له عشر درجات، وأعطاه ثواب عتق عشر نسمات، ودفع عنه عشر نقمات، وأعد له يوم القيامة عشر شفاعات.

. مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٤٠٥

عوالي اللآلي: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من قضى حاجة لأَخيه كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح وإلا شفعت له.

. مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٤٠٧

وعن إبراهيم التيمي قال: كنت في الطواف إذ أخذ أبو عبد الله عليه السلام بعضدي فسلم عليَّ ثم قال: ألا أخبرك بفضل الطواف حول هذا البيت ؟ قلت: بلى قال: أيما مسلم طاف حول هذاالبيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى خلفه ركعتين كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وأثبت له ألف شفاعة، ثم قال: ألا أخبرك بأفضل من ذلك ؟ قلت: بلى قال: قضاء حاجة امرئَ مسلم أفضل من طواف أسبوع وأسبوع، حتى بلغ عشرة.

. مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٤٠٩

وعن أبي عبد الله عليه السلام: من مشى في حاجة أخيه كتب الله له بها عشر حسنات، وأعطاه الله عشر شفاعات.

2. من سعى في حوائج ذرية النبي صلى الله عليه وآله

. الكافي ج ٤ ص ٦٠

وعنه، عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر

ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند المضيق، ورجل أحب ذريتي باللسان وبالقلب، ورجل يسعى في حوائج ذريتي إذا طردوا أو شردوا. ورواه في من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٦٥ وفي تهذيب الأحكام ج ٤ ص ١١١ وفي تأويل الآيات ج ٢ ص١٠٩ وفي وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٥٦ وفي مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٣٨٢

3. من زار قبر النبي صلى الله عليه وآله

. الكافي ج ٤ ص ٥٤٨

علي بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبي حجر الأَسلمي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة، ومن مات في أحد الحرمين مكة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب، ومن مات مهاجراً إلى الله عز وجل، حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر.

4. من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالى

. الكافي ج ٢ ص ١٧٨

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن عبدالله بن محمد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره فيوكل الله عز وجل به ملكاً فيضع جناحاً في الأَرض وجناحاً في السماء يظلّه، فإذا دخل إلى منزله نادى الجبار تبارك وتعالى: أيها العبد المعظم لحقي المتبع لآثار نبيي، حقّ علي إعظامك، سلني أعطك، أدعني أجبك، أسكت أبتدئك، فإذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله، ثم يناديه تبارك و تعالى: أيها العبد المعظم لحقي حق علي إكرامك، قد أوجبت لك جنتي، وشفعتك في عبادي.

. الكافي ج ٢ ص ١٧٦

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حدثني جبرئيل عليه السلام أن الله عز وجل أهبط إلى الأَرض ملكاً فأقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار، فقال له الملك ما حاجتك إلى رب هذه الدار ؟ قال: أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى، قال له الملك: ما جاء بك إلا ذاك ؟ فقال: ما جاء بي إلا ذاك، فقال: إني رسول الله إليك وهو يقرؤك السلام ويقول: وجبت لك الجنة. وقال الملك: إن الله عز وجل يقول: أيما مسلم زار مسلماً، فليس إياه زار، إياي زار وثوابه عليَّ الجنة.

5. من يدعو للمؤمنين

. الكافي ج ٢ ص ٥٠٧

علي بن محمد، عن محمد بن سليمان، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن جعفر بن محمد التميمي، عن حسين بن علوان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمناتإلا رد الله عز وجل عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة مضى من أول الدهر أو هو آت إلى يوم القيامة. إن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات: يا رب هذا الذي كان يدعو لنا فشفعنا فيه، فيشفعهم الله عز وجل فيه، فينجو من النار برحمة الله عزوجل. ورواه في وسائل الشيعة ج ٤ ص ٥٤١ وفي مستدرك الوسائل ج ٥ ص ٢٤٢ عن أمالي الشيخ الطوسي.

6. شفاعة الملائكة لاَهل مجلس الدعاء

. الكافي ج ٢ ص ١٨٧

الحسين بن محمد ومحمد بن يحيى جميعاً، عن علي بن محمد بن سعد، عن

محمد بن مسلم، عن أحمد بن زكريا، عن محمد بن خالد بن ميمون، عن عبد الله بن سنان، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلا حضر من الملائكة مثلهم فإن دعوا بخير أمَّنوا وإن استعاذوا من شر دعوا الله ليصرفه عنهم، وإن سألوا حاجة تشفعوا إلى الله وسألوه قضاها. وما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلا حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين. ورواه في وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٦٨

7. من شيع جنازة مسلم

. الكافي ج ٣ ص ١٧٣

أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبدالجبار، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن ميسر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من تبع جنازة مسلم أعطي يوم القيامة أربع شفاعات ولم يقل شيئاً إلا وقال الملك: ولك مثل ذلك. ورواه في من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٦١ وفي تهذيب الاَحكام ج ١ ص ٤٥٥

8. من حفظ على أمتي أربعين حديثاً

. وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٦٧

وعن طاهر بن محمد، عن حياة الفقيه، عن محمد بن عثمان الهروي، عن جعفر بن محمد بن سوار، عن علي بن حجر السعدي، عن سعيد بن نجيح، عن ابن جريح، عن عطاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شفيعاً يوم القيامة.

. وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٧٠

محمد بن علي الفارسي في روضة الواعظين قال قال النبي صلى الله عليه وآله: من حفظ من أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شفيعاً يوم القيامة. ورواه في العمدة ص ١٧ بلفظ (من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي.(

9. من عاهد أخاه المؤمن على الشفاعة

. مستدرك الوسائل ج ٦ ص ٢٧٨

قال في ضمن أعمال هذا اليوم المبارك (يوم الغدير): وينبغي عقد الاَخوة في هذا اليوم مع الاِخوان بأن يضع يده اليمنى على يمنى أخيه المؤمن ويقول: واخيتك في الله وصافيتك في الله وصافحتك في الله، وعاهدت الله وملائكته وكتبه ورسله وأنبياءه والاَئمة المعصومين عليهم السلام على أني إن كنت من أهل الجنة والشفاعة وأذن لي بأن أدخل الجنة، لا أدخلها إلا وأنت معي. فيقول الاَخ المؤمن: قبلت، فيقول: أسقطت عنك جميع حقوق الاِخوة ما خلا الشفاعة، والدعاء، والزيارة.

10. مجموعة أعمال وصفات توجب الشفاعة

. من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١٧

ألا ومن مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك، فإن مات وهو على ذلك وكل الله عز وجل به سبعين ألف ملك يعودونه في قبره ويبشرونه ويؤنسونه في وحدته ويستغفرون له حتى يبعث.

ألا ومن أذن محتسباً يريد بذلك وجه الله عز وجل أعطاه الله ثواب أربعين ألف شهيد وأربعين ألف صديق، ويدخل في شفاعته أربعون ألف مسيَ من أمتي إلى الجنة.

ألا وإن المؤذن إذا قال (أشهد أن لا إلَه إلا الله) صلى عليه سبعون ألف ملك ويستغفرون له وكان يوم القيامة في ظل العرش حتى يفرغ الله من حساب الخلائق ويكتب له ثواب قوله (أشهد أن محمداً رسول الله) أربعون ألف ملك.

* *

هذا، وتوجد أحاديث كثيرة ضمنت الجنة لبعض أصناف الناس على أعمالهم الحسنة، وهي تصلح بنحوٍ للإستدلال على شمول الشفاعة لهم، لأن الوعد من النبي صلى الله عليه وآله قد يكون بسبب شمولهم لشفاعته، ونذكر منهم:

1. من شفع لأخيه المؤمن في حاجة

. وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٦٢

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ومن شفع لأخيه شفاعة طلبها، نظر الله إليه فكان حقاً على الله أن لا يعذبه أبداً، فإن هو شفع لأخيه شفاعة من غير أن يطلبها، كان له أجر سبعين شهيداً.

2. من قام بخدمة لمجتمع المسلمين

. الكافي ج ٢ ص ١٦٤

عنه عن علي بن الحكم، عن مثنى بن الوليد الحناط، عن فطر بن خليفة، عن عمر بن علي بن الحسين، عن أبيه صلوات الله عليهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار، وجبت له الجنة.

3. من ربَّى بنتاً أو أكثر

. الكافي ج ٦ ص ٦

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، وجبت له الجنة فقيل: يا رسول الله واثنتين ؟ فقال: واثنتين، فقيل: يا رسول الله وواحدة ؟ فقال: وواحدة.

4. من احترم نعمة الله تعالى

. من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٧

ودخل أبو جعفر الباقر عليه السلام الخلاء فوجد لقمة خبز في القذر فأخذها وغسلها ودفعها إلى مملوك كان معه فقال: تكون معك لآكلها إذا خرجت، فلما خرج عليه السلام قال للمملوك: أين اللقمة ؟ قال أكلتها يا ابن رسول الله، فقال: إنها ما استقرت في

جوف أحد إلا وجبت له الجنة فاذهب فأنت حر، فإني أكره أن استخدم رجلاً من أهل الجنة.

5. أصناف أخرى موعودون بالجنة

. من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٤٠

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ضمنت لستة الجنة: رجل خرج بصدقة فمات فله الجنة، ورجل خرج يعود مريضاً فمات فله الجنة، ورجل خرج مجاهداً في سبيل الله فمات فله الجنة، ورجل خرج حاجاً فمات فله الجنة، ورجل خرج إلى الجمعة فمات فله الجنة، ورجل خرج في جنازة رجل مسلم فمات فله الجنة.

. من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١٧

ألا ومن تصدق بصدقة، فله بوزن كل درهم مثل جبل أحد من نعيم الجنة، ومن مشى بصدقه إلى محتاج، كان له كأجر صاحبها من غير أن ينقص من أجره شيء، ومن صلى على ميت صلى عليه سبعون ألف ملك وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإن أقام حتى يدفن ويحثى عليه التراب، كان له بكل قدم نقلها قيراط من الاَجر، والقيراط مثل جبل أحد.

ألا ومن ذرفت عيناه من خشية الله عز وجل كان له بكل قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنة مكللاً بالدر والجوهر، فيه ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

* *

أصناف لا تنالهم الشفاعة

1. السلطان الظالم الغشوم

. قرب الاَسناد ص ٦٤

وعنه، عن مسعدة بن صدقه قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله: صنفان لا تنالهما شفاعتي: سلطان غشوم عسوف، وغال في الدين مارق منه، غير تائب ولا نازع.

. الخصال ص ٦٣

حدثنا محمد بن الحسن رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عبد الجبار بإسناده يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: رجلان لا تنالهما شفاعتي: صاحب سلطان عسوف غشوم، وغال في الدين مارق.
ورواه في مناقب أميرالمؤمنين ج ٢ ص ٣٣٠ ونحوه في مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٩٩

. تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٩٦

أربع من فعلهن فقد خرج من الإِسلام: من رفع لواء ضلالة، ومن أعان ظالماً أو سار معه أو مشى معه وهو يعلم أنه ظالم، ومن اخترم بذمة.
ورجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة: أمير ظلوم، ورجل غال في الدين مارق منه. والاَمير العادل لا ترد دعوته.

2. المنان والبخيل والنمام

. من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١٧

ثم قال عليه السلام: يقول الله عز وجل: حرَّمت الجنة على المنان والبخيل والقتات، وهو النمام. انتهى.
ولا نطيل في تعداد هذه الاَصناف، وهي في مصادرنا مشابهة لما يأتي في مصادر إخواننا السنيين، مع تأكيدها على عدم شمول الشفاعة لمن عصى النبي صلى الله عليه وآله في مودة أهل بيته وولايتهم وإطاعتهم.

الذين يخرجون من النار بالشفاعة يكونون أدنى درجة

تفردت مصادر أهل البيت عليهم السلام ببيان أن الموحدين الذين يخرجون من النار دخلون جنة أخرى أدنى درجةً، وهي غير الجنة التي يسكنها أولياء الله تعالى.

. ففي بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦١

ين: فضالة، عن عمر بن أبان، عن آدم أخي أيوب، عن حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنهم يقولون ألا تعجبون من قوم يزعمون أن الله يخرج قوماً من النار فيجعلهم من أصحاب الجنة مع أوليائه ؟ فقال: أما يقرؤون قول الله تبارك وتعالى: ومن دونهما جنتان، إنها جنة دون جنة، ونار دون نار، إنهم لا يساكنون أولياء الله ! وقال: بينهما والله منزلة، ولكن لا أستطيع أن أتكلم، إن أمرهم لأضيق من الحلقة، إن القائم لو قام لبدأ بهؤلاء.

* *

رأي السنيين القريب من رأي أهل البيت عليهم السلام

وهو الرأي القائل بأن الشفاعة تشمل بعض العاصين من المسلمين وليس كلهم.

ويدل عليه من مصادرهم:

أولاً:

أحاديث كثيرة صحيحة السند عندهم، لكن دلالتها ضاعت، لأنها مخلوطة بأحاديث توسيع الشفاعة وشمولها لكل العاصين والمنافقين!

ونكتفي منها بالأحاديث التي نصت على أن عدداً من صحابة النبي صلى الله عليه وآله سيغيرون ويبدلون بعده، فلايشفع لهم يوم القيامة، فيؤمر بهم إلى النار. فقد روى البخاري في صحيحه ج ٧ ص ٢٠٨ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم، فقلت أين ؟ قال إلى النار والله ! قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم، قلت أين ؟ قال إلى النار والله ! قلت ماشأنهم؟ ! قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ! ! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم. انتهى.

وروى شبيهاً به في ج ٧ ص١٩٥ وص ٢٠٧ . ٢١٠ وفي نفس المجلد أيضاً ص ٨٤ و٨٧ وج ٨ ص ٨٦ و٨٧ وروى نحوه مسلم في ج ١ ص ١٥٠ وج ٧ ص ٦٦ وابن ماجة ج ٢ ص١٤٤٠ وأحمد في ج ٢ ص ٢٥ وص ٤٠٨ وج ٣ ص ٢٨ وج ٥ ص ٢١ وص ٢٤ وص ٥٠ وج ٦ ص ١٦ ورواه البيهقي في سننه ج ٤ ص ١٤ ونقل رواياته المتعددة في كنز العمال في ج١٣ ص ١٥٧ وج ١٤ ص ٤٨ و ج ١٥ ص ٦٤٧ وقال رواه (مالك والشافعي حم م ن . عن أبي هريرة) انتهى.

فلو كانت الشفاعة تشمل كل الخلق أو كل الموحدين أو كل المسلمين، لشملت هؤلاء الصحابة المعروفين ! فلابد من القول بأن شفاعته صلى الله عليه وآله مشروطة بشروط من أولها الإِسلام وعدم الإِنحراف الكبير الذي ارتكبه هؤلاء الصحابة المطرودون!

ثانياً:

أحاديث اشترطت شروطاً أخرى فوق الشهادتين للشفاعة، كالذيرواهالبخاري ج ٨ ص ١٣٩: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ! قالوا يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى. انتهى. وفيه تصريح أن المستثنى هم الذين عصوا الرسول صلى الله عليه وآله من أمته وأنهم لا يدخلون الجنة ! ورواه الحاكم أيضاً بلفظ قريب منه في ج ١ ص ٥٥ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والذي رواه النسائي في سننه ج ٧ من ص ٨٨ عن أبي أيوب الأَنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويجتنب الكبائر، كان له الجنة. فسألوه عن الكبائر فقال: الإِشراك بالله، وقتل النفس المسلمة، والفرار يوم الزحف.

والذي رواه أحمد في ج ٢ ص ١٧٦ عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما عمل الجنة ؟ قال: الصدق، وإذا صدق العبد برَّ، وإذا بر آمن، وإذا آمن دخل الجنة.

قال يا رسول الله ما عمل النار ؟

قال: الكذب، إذا كذب فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل.. يعني النار. انتهى.

فهذه الأَحاديث تشترط لدخول الجنة شروطاً أخرى غير التوحيد، فلو كان التوحيد وحده كافياً لما كان لهذه الشروط معنى.

ثالثاً:

أحاديث نصت على أن الشفاعة تشمل أصنافاً معينين من الناس، نذكر منها:

1. من قضى لاخيه حاجة

. الدر المنثور ج ٣ ص ٧١

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قضى لأَخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح، وإلا شفعت له.

. الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٦

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأَولين والآخرين ثم أمر منادياً ينادي: ألا ليقم أهل المعروف في الدنيا فيقومون حتى يقفوا بين يدي الله فيقول الله أنتم أهل المعروف في الدنيا، فيقولون نعم فيقول: وأنتم أهل المعروف في الآخرة فقوموا مع الأَنبياء والرسل فاشفعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنة، حتى تدخلوا عليهم المعروف في الآخرة كما أدخلتم عليهم المعروف في الدنيا.

2. من صلى على النبي صلى الله عليه وآله

. في مسند أحمد ج ٤ ص ١٠٨

من صلى على محمد وقال: اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة، وجبت له شفاعتي. ورواه في فردوس الأَخبار ج ٤ ص ٢١ ح ٥٥٥٥

. وفي مسند أحمد في ج ٤ ص ٦١ ح ٥٦٨٠

أبو الدرداء: من صلى (عليَّ) حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة. ورواه في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٢٠ و١٦٣

3. من زار قبر النبي صلى الله عليه وآله

. وفي الدر المنثور ج ١ ص ٢٣٧

وأخرج الحكيم الترمذي والبزار وابن خزيمة وابن عدي والدارقطني والبيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من زار قبري وجبت له شفاعتي. (ورواه في سنن الدار قطني ج ٢ ص ٢٧٨ ح ١٩٤ والذهبي في تاريخ الاسلام ج ١١ ص ٢١٢ ورواه بنص آخر: من زارني بعد موتي وجبت شفاعتي.(

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة.

وأخرج الطيالسي والبيهقي في الشعب عن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من زار قبري كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة

. مختصر تاريخ دمشق ج ١ جزء ٢ ص ٤٠٦

وعن علي بن أبي طالب قال: من سأل لرسول الله (ص) الدرجة الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة ومن زار قبر رسول الله (ص) كان في جوار رسول الله (ص(

. هامش طبقات المحدثين بإصبهان ج ٢ ص ٤٢٠، ١٦٧

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة. وشبيهه في ج ١ ص ٥٥.

وراجع أيضاً مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢ وكنز العمال ج ١٥ ص ٣٨٣ وص ٦٥١

وقد اقتصرنا من أحاديث زيارة قبره صلى الله عليه وآله على ماورد فيه ذكرالشفاعة وسنورد بقية أحاديثها في محلها إن شاء الله تعالى مع جواب شبهة الوهابيين في تحريمهم زيارة القبور وخيرها وأشرفها قبر سيد المرسلين صلى الله عليه وآله!

4. من دعا للنبي صلى الله عليه وآله بالوسيلة

. روى البخاري ج ٥ ص ٢٢٨

من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة.

ورواه أيضاً في ج ١ جزء ١ ص ١٥٢ ورواه البيهقي في سننه ج ١ ص ٤٠٩ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٣٣٣ والنويري في نهاية الإرب ج ٣ جزء ٥ ص ٣٠٨.

5. من حفظ من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله أربعين حديثاً

. روى الديلمي في فردوس الأَخبار ج ٤ ص ٩١ ح ٥٧٧٨

عن ابن عباس: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها، فهو من العلماء وكنت له شفيعاً يوم القيامة. ونحوه في كنز العمال ج ١٠ ص ١٥٨

. وفي كتاب المجروحين لابن حبان ج ٢ ص ١٣٣

عن أبي الدرداء قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ما حد العلم الذى إذا بلغه الرجل كان فقيهاً ؟ فقال: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً في أمر دينها بعثه الله فقيهاً، وكنت له شافعاً وشهيداً.

6. من حفظ أسماء الله الحسنى

. صحيح البخاري ج ٨ ص ١٦٩

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن لله تسعة وتسعين إسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة.

ونحوه في ج ٧ ص ١٦٩ ونحوه في مستدرك الحاكم ج ١ ص ١٦

7. من قرأ بعض سور القرآن

. روى في فردوس الأَخبار ج ٤ ص ٣٠ ح ٥٥٨٧

أبو الدرداء: من قرأ مائتي آية في كل يوم شفع في سبع قبور حول قبره وخفف الله عز وجل عن والديه وإن كانا مشركين. وفي ص ٣٤ ح ٥٥٩٨: ابن عباس: من قرأ سورة الأَعراف جعل الله بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة. انتهى.

فهذه المجموعة من الأَحاديث تدل على أن بعض المسلمين من أصحاب الأَعمال الحسنة يستحقون الدخول في شفاعة النبي صلى الله عليه وآله. ولو كانت الشفاعة تشمل كل المسلمين لما صح جعلها ميزة لأَصناف معينة من أصحاب الأَعمال الحسنة، كما نصت هذه المجموعة.

ولا يضر بالإستدلال بها أن يكون بعضها ضعيفاً أو مكذوباً، لأن الاستدلال بمجموعها، بل حتى لو كانت كلها موضوعة فهي تدل على أن المرتكز في أذهان المسلمين أن الشفاعة مخصوصة بأصناف من المسلمين وليست عامة.

رابعاً:

أحاديث نصت على أن الشفاعة لا تشمل أصنافاً من الناس، أو دلت على أنهم لا يدخلون الجنة، بسبب سوء أعمالهم، نذكر منها:

1. السلطان الظلوم الغشوم

. روى الديلمي في فردوس الأخبار ج ٢ ص ٥٥٨ ح ٣٥٩٨

أبو أمامة: صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي ولن أشفع لهما ولن يدخلا شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم عسوف، وغال مارق عن الدين. انتهى. ورواه السيوطي في الدر المنثور ج ١ صفحة ٣٥٢ عن الطبراني وفي كنز العمال ج ٦ ص ٢١ وص٣٠ وفي مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٣٥ وص ٢٣٦

وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً، أو قتله نبي، أو إمام جائر. قلت: في الصحيح بعضه، رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات. ورواه البزار إلا أنه قال: وإمام ضلالة، ورجاله ثقات، وكذلك رواه أحمد.

2. الذي يكذب على النبي صلى الله عليه وآله

. روى البخاري في ج ١ ص ٣٥

عن سلمة بن الأكوع قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار.

وروى نحوه أيضاً في ج ١ من ص ٣٦ وج ٢ ص ٨١ وج ٤ ص ١٤٥ وص ١٥٦ و ج ٦ ص ٨٤ وص ١١٨ ورواه مسلم في ج ١ ص ٧ و٨ وص ٥٧ وج ٧ ورواه غيرهما من مصادر السنة والشيعة.

3. الذي يبغض ذرية النبي صلى الله عليه وآله أو يظلمهم

. لسان الميزان ج ٣ ص ٢٧٦

عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: من أحبني فليحب علياً، ومن أبغض أحداً من أهل بيتي حرم شفاعتي.. الحديث.

. كنز العمال ج ١٢ ص ١٠٣

عن الطبراني والرافعي عن ابن عباس: من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي. انتهى.

والأَحاديث في ذلك كثيرة، سنوردها في مسائل الإِمامة إن شاء الله.

4. أصحاب البدع المخالفين للسنة

. قال الشاطبي في الإِعتصام ج ١ ص ١٢٠

البدعة مانعة من شفاعة محمد، لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال: حلت شفاعتي لأَمتي إلا صاحب بدعة.

. قال السبكي في طبقات الشافعيه ج ٦ ص ٢٩١

حديث: إن لله ملكاً ينادي كل يوم: من خالف السنة لم تنله الشفاعة (ورد في إحياء الغزالي.(

5. من طلب العلم للدنيا أو طلب الدنيا بعمل الآخرة

. في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨٤

عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء في المجالس، لم يرح رائحة الجنة. ورواه في كنز العمال ج ١٠ ص ٢٠١ . ٢٠٣

. وفي كنز العمال ج ٣ ص ٤٧٤ عن الديلمي عن ابن عباس: ريح الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الآخرة.

6. من يؤذي جيرانه

. صحيح مسلم ج ١ ص ٤٩

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه.

. وفي مستدرك الحاكم ج ١ ص ١١

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من

سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه.

. وفي مسند أحمد ج ٢ ص ٤٤٠

عن أبي هريرة قال قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها ! قال: هي في النار. قال يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وأنها تصدق بالأَثوار من الأَقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في الجنة.

7. الذي يسيَء إدارة من تحت يده

. روى البخاري في ج ٨ ص ١٠٧

بروايتين: عن معقل: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة. ونحوه في كنز العمال ج ٤ ص ٥٦٧ عن ابن سعد وابن عساكر، وفي ج ٦ ص ٢٠ وص٣٥ (عق ش م حم طب وابن عساكر عن معقل بن يسار.)

. وفي سنن الترمذي ج ٣ ص ٢٢٥

عن أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة سيء الملكة. انتهى. ورواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٧ وص ١٢ وج ٥ ص ٢٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢١١

. وفي كنز العمال ج ٦ ص ٣٩

من ولى ذا قرابة محاباةً وهو يجد خيراً منه، لم يجد رائحة الجنة.

8. المتكبر ولو مثقال حبة خردل

. روى مسلم في صحيحه ج ١ ص ٦٥

عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه

مثقال ذرة من كبر. انتهى. ورواه ابن ماجة في ج ٢ ص ١٣٩٧ وأحمد ج ١ ص ٤١٢ وص ٤١٦ وص ٤٥١ و ج٢ ص ١٦٤ وص ٢٤٨ والحاكم في ج ٣ ص ٤١٦

. وفي مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٥٥

وعن نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة مسكين مستكبر، ولا شيخ زان، ولا منان على الله تعالى بعمله. رواه الطبراني وتابعه الصباح بن خالد بن أبي أمية لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ١١٦

وأخرج البيهقي عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل رجل، فلما رآه القوم أثنوا عليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني لأَرى على وجهه سفعة من النار، فلما جاء وجلس قال: أنشدك بالله أجئت وأنت ترى أنك أفضل القوم ؟ قال نعم. انتهى.

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن التكبر المانع من دخول الجنة هو التكبر عن قبول الحق وليس التكبر العادي وإن كان معصية كبيرة.

ويؤيده ما رواه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٦: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من كبر، فقال رجل: يا رسول الله إنه ليعجبني أن يكون ثوبي جديداً ورأسي دهيناً وشراك نعلي جديداً، قال وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه، فقال: ذاك جمال، والله جميل يحب الجمال، ولكن الكبر من بطر الحق وازدرى الناس. هذا حديث صحيح الإِسناد ولم يخرجاه وقد احتجا جميعاً برواته.

9. من قتل نفسه

. مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣٥

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: الذي يطعن نفسه إنما يطعنها في

النار، والذي يتقحم فيها يتقحم فيها في النار، والذي يخنق نفسه يخنقها في النار.

10. من نبت لحمه من سحت

. روى أحمد في ج ٣ ص ٣٢١

قول النبي صلى الله عليه وآله لكعب بن عجرة: يا كعب بن عجرة، الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة، والصلاة قربان أو قال برهان. يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به.

ورواه في ج ٣ ص ٣٩٩ وفي مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٣٠ وص ٢٩٣

11. من زنى بذات محرم

. في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٦٩

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة من أتى ذات محرم. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير يحيى بن حسان الكوفي وهو ثقة.

12. من نسب نفسه إلى غير أبيه

. روى ابن ماجة في ج ٢ ص ٨٧٠

عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله (ص): من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام. انتهى. ورواه أحمد في ج ٢ ص ٧١ وفيه (وإن ريحها ليوجد من قدر سبعين عاماً) ورواه في ج ٢ ص ١٧١ وص ١٩٤ وفي مجمع الزوائد ج ١ ص ٩٨ وص ١٤٨ وكنز العمال ج ٦ ص ١٩٥ وج ١٦ ص ٣٢

13. مدمن الخمر وقاطع الرحم والنمام وقاسي القلب... الخ.

. مسند أحمد ج ٤ ص ٣٩٩

من حديث أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر.

وفي ج ٢ ص ٦٩: ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث.

ونحوه في ج ٢ ص ١٦٤ وص ٢٠١ و٢٠٣ وفي سنن البيهقي ج٨ ص ٢٨٨

وفي ج ٨ ص ١٦٦: عن إبراهيم عن همام قال: كنت جالساً عند حذيفة فمر رجل فقالوا: هذا يرفع الحديث إلى السلطان، فقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة قتات. قال الأَعمش: والقتات النمام. أخرجه مسلم في الصحيح.

. مسند أحمد ج ٢ ص ١٣٤

قال عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق والديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث. وثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة: العاق بوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى. وروى نحوه في ج ٢ ص ٦٩ وص ١٣٤ والحاكم ج ١ ص ٧٢

. وفي مسند أحمد ج ١ ص ١٩٠

عن سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أربى الربا الإِستطالة في عرض مسلم بغير حق، وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن فمن قطعها حرم الله عليه الجنة.

. وفي مسند أحمد ج ٣ ص ١٤

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم، ولا كاهن، ولا منان. ونحوه مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨

. وفي مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٤٩ ونحوه في ج ٥ ص ١٢٥

فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجده عاق، ولا قاطع رحم،

والباغي فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارٌ إزاره خيلاء.

. وفي مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٥٧ ونحوه في ج ٨ ص ١٤٨

وعن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا منان، ولا ولد زنية. قلت: رواه النسائي غير قوله ولا ولد زنية. رواه أحمد والطبراني وفيه جابان وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح.

. سنن الترمذي ج ٣ ص ٢٣٢

عن أبي بكر الصديق، عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة خب، ولا بخيل، ولا منان. هذا حديث حسن غريب.ونحوه في كنز العمال ج ٣ ص ٥٤٦

. وفي مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٤٣

وعن نافع قال سمع ابن عمر رجلاً يقول: الشحيح أعذر من الظالم، فقال ابن عمر: كذبت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الشحيح لا يدخل الجنة.

. وفي مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٥٥

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن لكل شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده. والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم. قلنا يا رسول الله: كلنا يرحم، قال: ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه، إنما الرحمة أن يرحم الناس.

. وفي كنز العمال ج ١٦ ص ٥٣

لا يدخل الجنة ولد زنى، ولا مدمن خمر، ولا عاق، ولا منان (ابن جرير ع . عن أبي سعيد .)

14. الذي يقتل أحداً من أهل الذمة

. في صحيح البخاري ج ٤ ص ٦٥

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً. ونحوه في ج ٨ ص ٤٧ وابن ماجة ج ٢ ص ٨٩٦ والترمذي ج ٢ ص ٤٢٩ والحاكم في ج ٢ ص ١٢٦ والبيهقي في سننه ج ٨ ص ١٣٣ وج ٩ ص ٢٠٥ والنسائى ج ٨ ص ٢٤ وفيه (وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً) ورواه في مسند أحمد ج ٢ ص ١٨٦ وج ٤ ص ٦١ وص ٢٣٧ وج ٥ ص ٤٦ و ٥٠ و ٥١ و ٣٦٩ و ٣٧٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٩٣

ونعم ما علق به الفخر الرازي على هذا الموضوع حيث قال في تفسيره ج٢ جزء٣ ص١٥١: عن الحسن، عن أبي بكرة، قال عليه السلام: من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة. وإذا كان في قتل الكفار هكذا، فما ظنك بقتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

15. الذي يغش العرب

. في مسند أحمد ج ١ ص ٧٢

عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي. انتهى.ورواه البغوي في مصابيح السنه ج ٤ ص١٤٢ والديلمي في فردوس الاَخبار ج ٤ ص١٨٠ ح ٦٠٧٥ وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان ج ٢ ص ٦٤٠

16. اللعان الفحاش

. صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٤

حدثني سويد بن سعيد، حدثنى حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم أن عبد الملك بن مروان بعث إلى أم الدرداء بأنجاد من عنده، فلما أن كان ذات ليلة قام عبد الملك من الليل فدعا خادمه فكأنه أبطأ عليه فلعنه، فلما صبح قالت له أم الدرداء:

سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته ! فقالت سمعت أبا الدرداء يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يكون اللعَّانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة. انتهى. ورواه أبو داود في ج ٢ ص ٤٥٨ والحاكم ج ١ ص ٤٨ والديلمي في فردوس الاَخبار ج ٥

ص ٣١١ ح ٨٠٠٩ وفي كنز العمال ج ٣ ص ٦١٥ والسيوطي في الدر المنثور ج ١ ص١٤٦ وقال: وأخرج مسلم وأبو داود والحكيم الترمذي عن أبي الدرداء..

. وقال البخاري في تاريخه ج ٦ ص ٢٢

عن عبد الرحمن بن الحارث أن أم الدرداء رضي الله عنها قالت لعبد الملك بن مروان: سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا يكون الحليم لعَّاناً، ولا يؤذن في الشفاعة للعَّان.

. وفي كنز العمال ج ٣ ص ٣٥٣

عن الديلمي عن عائشة: رحم الله امرأ كف لسانه عن أعراض المسلمين، لا تحل شفاعتي لطعان ولا لعان. انتهى.

ولا بد أن يكون المراد باللعان في هذه الاَحاديث بذيء اللسان الفحاش الذي يسب المسلمين ويلعنهم، وإلا فإن لعن الذين لعنهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله عملٌ جائز أو واجب شرعاً وفيه ثوابٌ، لاَنه براءة ممن تبرأ منهم الله ورسوله ودعاءٌ عليهم باستمرار طردهم من رحمة الله تعالى.

17. ورووا أن أكثر النساء في النار

. صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٠

عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء...

عن أسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم

إلى النار. وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء !. انتهى.

ورواه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٩٧

. وفي مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٧٣

قال كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة فلما كنا بمر الظهران إذ امرأة في هودجها واضعةً يدها على هودجها، فلما نزل دخل الشعب ودخلنا معه، قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان فإذا نحن بغربان كثير وإذا بغراب أعصم

المنقار والرجل فقال: لا يدخل الجنة من النساء إلا كقدر الغراب في هذه الغربان، قال أبو عمر: الأَعصم الأَحمر. رواه الطبراني واللفظ له، وأحمد ورجال أحمد ثقات. انتهى.

18. ورووا في من أطال إزاره أو ثوبه

. سنن النسائي ج ٨ ص ٢٠٧

عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تحت الكعبين من الإِزار ففي النار. وفي رواية: ما أسفل من الكعبين من الإِزار ففي النار. انتهى.

* *

فهذه الأَحاديث تدل على أن بعض المسلمين لا يدخلون الجنة.. ولو كانت الشفاعة تشمل كل المسلمين لم يكن لهذه الاستثناءات معنى، بل للزم من إحدى المجموعتين كذب المجموعة الأَخرى!

ولا يضر بالإِستدلال بمجموع أحاديث الإِستثناء من الجنة، أو الحكم باستحقاقها أن بعضها ضعيف أو مكذوب كما ذكرنا، لأَن المكذوب أيضاً يدل على أن المرتكز في أذهان المسلمين اختصاص الشفاعة بأصناف من المسلمين، لا بجميعهم.

* *

شرط الشفاعة في المظالم الشخصية

روت مصادر الفريقين أحاديث تدل على إمكانية أن تشمل الشفاعة أهل المظالم الشخصية، بشرط أن يعفو صاحب المظلمة عن ظالمه.

. ففي تفسير الإِمام العسكري عليه السلام ص ٢٠٤

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: يا معشر شيعتنا اتقوا الله واحذروا أن تكونوا لتلك النار حطباً، وإن لم تكونوا بالله كافرين، فتوقوها بتوقي ظلم إخوانكم المؤمنين، فإنه ليس من مؤمن ظلم أخاه المؤمن المشارك له في موالاتنا، إلا ثقَّل الله في تلك النار سلاسله وأغلاله ولم يفكه منها إلا شفاعتنا، ولن نشفع إلى الله تعالى إلا بعد أن نشفع له إلى أخيه المؤمن، فإن عفا عنه شفعنا له، وإلا طال في النار مكثه.انتهى.

ورواه في مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ١٠١

. وفي الإِعتقادات للصدوق ص ٢٩

قيل لأَمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت فقال: على الخبير سقطتم، هو أحد أمور ثلاثة يرد عليه: إما بشارةٌ بنعيم الأَبد، وإما بشارةٌ بعذاب الأَبد، وإما تخويفٌ وتهويلٌ وأمرٌ مبهمٌ لا يدري من أي الفرق هو ؟ فأما ولينا والمطيع لأَمرنا فهو المبشر بنعيم الأَبد، وأما عدونا والمخالف لأَمرنا فهو المبشر بعذاب الأَبد، وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً، ثم لن يسويه الله تعالى بأعدائنا، ولكن يخرجه من النار بشفاعتنا فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله، فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب الله بثلاث مائة ألف سنة.

. وفي مسند أحمد ج ٣ ص ١٣

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخلص المؤمنون يوم القيامة من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم

من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة. فوالذي نفسي بيده لأَحدهم أهدى لمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا. ورواه في ج ٣ ص ٦٣ وص ٧٤

نتيجة

النتيجة الواضحة من هذا الفصل أن قانون الشفاعة متفقٌ عليه بين السنة والشيعة، على أصوله وخطوطه العامة أيضاً، وهي أنه يشمل من مات على الشهادتين، ولم يكن ظالماً، ولم يكن عاصياً للنبي في أهل بيته صلى الله عليه وآله.

ومنه نعرف أن كل ما خالف هذه الأَصول فهو نشاز عن ثقافة الإِسلام، جاء إلى أصحابه من خلل الرأي، أو من التلقي والتأثر بثقافة اليهود، والنصارى، والمجوس وغيرهم!

* *

الفصل السابع

توسيعات الشفاعة عند الخليفة عمر وأتباعه

في مصادر السنيين اتجاه يقول بتوسيع الشفاعة أكثر من القدر المتفق عليه بين الجميع، وهو اتجاه خطير، لأنه يلغي قانون العقوبة الإلَهية جزئيا أو كلياً ! وهو أربعة آراء أو مذاهب نذكرها حسب توسيعها لدائرة الشفاعة:

الرأي الأول:

أن الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتى الطلقاء والمنافقين!

الرأي الثاني:

أن الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى، حتى لو كفر برسول الله صلى الله عليه وآله!

الرأي الثالث:

أن الشفاعة تشمل كل الخلق!

الرأي الرابع:

أن العقاب في الآخرة ينتهي كلياً، وأن جهنم تفنى أوتبقى، ولكن ينقل أهلها كلهم إلى الجنة!

ونذكر هنا ملاحظات كلية على هذه المذاهب أو الأقوال:

الملاحظة الأولى:

أن هذه التوسيعات في الشفاعة أو في دخول الجنة زادت على توسيع اليهود لها، لأن اليهود حصروا الشفاعة والجنة بقوميتهم اليهودية، وهذه التوسعات عممتها إلى العقائد المختلفة والقوميات المختلفة، وإن كانت احتفظت بميزة لكل قبائل قريش.

كما زادت على عقيدة الفداء النصرانية، لأن بولس اشترط لشمول فداء المسيح وشفاعته الدخول في النصرانية.. بينما أكثر هذه التوسيعات لا تشترط الدخول في الإسلام !

الثانية:

أن لكعب الاَحبار وتلاميذه دوراً أساسياً في توسيع الشفاعة، بل كان كعب مرجعاً في الشفاعة بحيث أن الخليفة عمر يستفتيه فيها ويؤيد آراءه، ويعمل على نشرها، كما سترى.

الثالثة:

أن هذه التوسيعات لا تشمل أحداً ممن اعترض على الخلفاء أو خالفهم في الرأي، أو امتنع عن بيعتهم، كما لا تشمل بني هاشم وبني عبد المطلب أسرة النبي وآباءه صلى الله عليه وآله وخاصة أبا طالب والد علي عليه السلام ! وسترى هذه الغرائب وغيرها في نصوص الشفاعة في مصادر إخواننا السنيين!

الرابعة:

أن هذه الاَفكار صارت أصلاً ومنبعاً لمذاهب فاسدة، جرَّت على الاَمة مصائب ثقافية وسياسية، مثل مذهب المرجئة والقدرية وغيرهما.

* *

الرأي الاَول: أن الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين

حتى الطلقاء والمنافقين!

. روى البخاري في صحيحه ج ١ ص ٤١

قال حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ بن جبل، قال لبيك يا رسول الله وسعديك. قال يا معاذ، قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً ! قال ما من أحد يشهد أن لا إلَه إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار. قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال: إذاً يتكلوا، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً ! انتهى.

. وروى البخاري في تاريخه ج ٨ ص ٤١

عن عوف بن مالك قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فقال: إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة والشفاعة، فاخترت الشفاعة. ورواه

الديلمي في فردوس الاَخبار ج ٢ ص ٣٠٤ ح ٢٧٧٤

. وروى البخاري في تاريخه ج ١ ص ١٨٤

عن عوف ابن مالك سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الشفاعة لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً.

. وروى مسلم في ج ١ ص ١٢٢

أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود، فقال:... فتدعي الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون ؟ فيقولون ننظر ربنا ! فيقول أنا ربكم، فيقولون حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك ! قال فينطلق بهم ويتبعونه ! ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور

المنافقين ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك.

ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال لا إلَه إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيَ في السيل ويذهب حراقه. ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها!!

. وروى أبو داود في ج ١ ص ٦٣٢

عن عامر بن سعد عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريباً من عزوراء نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خر ساجداً ذكره أحمد ثلاثاً، قال: إني سألت ربي وشفعت لاَمتي فأعطاني ثلث أمتي، فخررت ساجداً لربي شكراً ثم رفعت رأسي فسألت ربي لاَمتي فأعطاني ثلث أمتي، فخررت ساجداً لربي شكراً ثم رفعت رأسي فسألت ربي لاَمتي فأعطاني الثلث الآخر، فخررت ساجداً لربي. ورواه البيهقي في سننه ج ٢ ص ٣٧٠

. وروى أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٤٩

عن أبي ذر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً، فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، فلما أصبح قلت: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآيه حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها ؟ قال: إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لاَمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لا

يشرك بالله عز وجل شيئاً. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٧ ص ٤٣٢ ح ١٠٤ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام. وفي الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٤ عن أحمد.

. وروى أحمد في ج ٥ ص ٣٢٦

عن عبادة بن الصامت قال: فقد النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أصحابه، وكانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم، ففزعوا وظنوا أن الله تبارك وتعالى اختار له أصحاباً غيرهم ! فإذا هم بخيال النبي صلى الله عليه وسلم فكبروا حين رأوه وقالوا: يا رسول أشفقنا أن يكون الله تبارك وتعالى اختار لك أصحاباً غيرنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا بل أنتم أصحابي في الدنيا والآخرة، إن الله تعالى أيقظني فقال يا محمد إني لم أبعث نبياً ولا رسولاً إلا وقد سألني مسألة أعطيتها إياه فاسأل يا محمد تعط، فقلت: مسألتي الشفاعة لاَمتي يوم القيامة، فقال أبو بكر: يا رسول الله وما الشفاعة ؟ قال أقول: يا رب شفاعتي التي اختبأت عندك، فيقول الرب تبارك وتعالى: نعم، فيخرج ربي تبارك وتعالى بقية أمتي من النار، فينبذهم في الجنة.

. وقال في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٦٩

عن عوف بن مالك الاَشجعي قال: سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراً حتى إذا كان الليل أرقت عيناي فلم يأتني النوم، فقمت فإذا ليس في العسكر دابة إلا واضعة خدها إلى الاَرض، وأرى وقع كل شيَ في نفسي، فقلت لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأَكلأَ به الليلة حتى أصبح، فخرجت أتخلل الرحال حتى دفعت إلى رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو ليس في رحله، فخرجت أتخلل الرحال حتى خرجت من العسكر فإذا أنا بسواد، فتيممت ذلك السواد فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل فقالا لي: ما الذي أخرجك ؟ فقلت: الذي أخرجكما، فإذا نحن بغيطة منا غير بعيد فمشينا إلى الغيطة فإذا نحن نسمع فيها كدوي النحل وتخفيق الرياح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هاهنا أبو عبيدة بن الجراح ؟ قلنا نعم، قال ومعاذ بن جبل ؟ قلنا نعم، قال وعوف بن مالك ؟ قلنا نعم، فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نسأله عن شيءَ ولا يسألنا عن شيَء حتى رجع إلى رحله فقال: ألا أخبركم بما خيرني ربي آنفاً ؟ قلنا بلى يا رسول الله،

قال: خيرني بين أن يدخل ثلثي أمتي الجنة بغير حساب ولا عذاب، وبين الشفاعة. قلنا: يا رسول الله ما الذي اخترت ؟ قال: اخترت الشفاعة. قلنا جميعاً: يا رسول الله إجعلنا من أهل شفاعتك قال: إن شفاعتي لكل مسلم.

وفي رواية عن عوف أيضاً قال: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فاستيقظت من الليل فإذا أنا لا أرى في العسكر شيئاً أطول من مؤخرة رحل ! قد لصق كل إنسان وبعيره بالاَرض، فقمت أتخلل حتى جفلت إلى مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو ليس فيه ! فوضعت يدي على الفراش فإذا هو بارد، فقمت أتخلل الناس وأقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فذكر نحوه إلا أنه قال: خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة. وفي رواية جعل مكان أبي عبيدة أبا موسى. قلت: روى الترمذي وابن ماجة طرفاً منه، رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات.

وعن أبي كعب صاحب الحرير قال سألت النضر بن أنس فقلت: حدثني بحديث ينفعني الله عز وجل به، فقال نعم أحدثك بحديث كتب إلينا به من المدينة فقال أنس: إحفظوا هذا فإنه من كنز الحديث، قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار ذلك اليوم إلى الليل، فلما كان الليل نزل وعسكر الناس حوله ونام هو وأبو طلحة زوج أم سليم وفلان وفلان أربعة، فتوسد النبي صلى الله عليه وسلم يد راحلته ثم نام ونام الاَربعة إلى جنبه، فلما ذهب عتمة من الليل رفعوا رؤوسهم فلم يجدوا النبي صلى الله عليه وسلم عند راحلته، فذهبوا يلتمسون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه مقبلاً فقالوا: جعلنا الله فداك أين كنت فإنا قد فزعنا لك إذ لم نرك ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: كنت نائماً حيث رأيتم فسمعت في نومي دوياً كدوي الرحا أو هزيز الرحى ففزعت في منامي فوثبت فمضيت ! فاستقبلني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله بعثني إليك الساعة لاَخيرك إما أن يدخل نصف أمتك الجنة وإما الشفاعة يوم القيامة، فاخترت الشفاعة لاَمتي. فقال النفر الاَربعة: يا رسول الله إجعلنا ممن تشفع لهم، فقال: وجبت لكم. ثم أقبل النبي صلى الله عليه وسلم والنفر

الاَربعة حتى استقبله عشرة فقالوا: أين نبينا نبي الرحمة ؟ قال نحدثهم بالذي حدث القوم فقالوا: جعلنا الله فداءك إجعلنا ممن تشفع لهم يوم القيامة، فقال: وجبت لكم. فجاؤا جميعاً إلى عظم الناس فنادوا في الناس: هذا نبينا نبي الرحمة، فحدثهم بالذي حدث

القوم، فنادوا بأجمعهم جعلنا الله فداءك جعلنا الله ممن تشفع لهم، فنادى ثلاثاً: إني أشهد الله وأشهد من سمع أن شفاعتي لمن يموت لا يشرك بالله عز وجل شيئاً. رواه الطبراني في الاَوسط وفيه علي بن قرة بن حبيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى. ورواه في المعجم الكبير أيضاً ج ١٨ ص ١٠٧

. وفي مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٧٧

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: نعم الرجل أنا لشرار أمتي، فقال له رجل من جلساه: كيف أنت يا رسول الله لخيارهم ؟ قال: أما شرار أمتي فيدخلهم الله الجنة بشفاعتي، وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم. ورواه الديلمي في فردوس الاَخبار ج ٥ ص ٩ ح ٧٠٠٤

. وقال في الدر المنثور ج ٢ ص ١١٦

وأخرج البيهقي عن ابن عابد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب: لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس وقال: هل آراه أحد منكم على الإِسلام ؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله حرس ليلة في سبيل الله، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثى عليه التراب وقال: أصحابك يظنون أنك من أهل النار، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة ! وقال: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة!!

. وفي اسد الغابة ج ١ ص ١٣٢

عن أنيس الاَنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على ظهر الاَرض من حجر ومدر.

. وفي تفسير الرازي ج ١٠ جزء ١٩ ص ١٩٢

فثبت أن (إن المتقين في جنات وعيون) يتناول جميع القائلين بلا إلَه إلا الله محمد رسول الله قولاً واعتقاداً، سواء كانوا من أهل الطاعة أو من أهل المعصية ! انتهى.

وهذا غريب من الرازي الذي هو حريص على العقلانية، ولكن كثرة أحاديث أصحابه غلبته وجعلته من المرجئة الذين ينتقدهم ! فقد حكم بأن المسلم يدخل الجنة بالعقيدة فقط بدون عمل، بل حتى لو كانت حياته سلسلة من المعاصي والطغيان والإِجرام!

ولم يزد عليه في ذلك إلا الديلمي حيث روى أن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله إنما جعلت من أجل جبابرة هذه الأمة وفراعنتها ! قال في فردوس الأخبار ج ٢ ص ٤٩٨ ح ٣٣٩٧: أنس بن مالك: شفاعتي للجبابرة من أمتي!!

* *

وقد نقل السيوطي مجموعة كبيرة من الروايات مفادها أن الله تعالى يحاسب المسلمين على أعمالهم ويدخل قسماً منهم إلى الجنة وقسماً آخر إلى النار، ولكن الكفار يعيرون المسلمين في جهنم بأنهم لم ينفعهم إسلامهم، فيأنف الله تعالى ويغضب وتأخذه الغيرة للمسلمين لتوحيدهم، فينقلهم جميعاً حتى جبابرتهم ومجرميهم وشياطينهم إلى الجنة، فعندئذ يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين، واستدل هو وغيره بذلك على أن جميع المسلمين يدخلون الجنة!

وقد ورد شبيه هذا المعنى في أحاديثنا من طريق أهل البيت عليهم السلام ولكنه بالنسبة إلى بعض أصناف الموحدين وليس لكل المسلمين كما تذكر هذه الروايات!

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ٩٢ . ٩٤ في تفسير قوله تعالى: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين:

وأخرج ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في

البعث عن ابن عباس وأنس رضي الله عنه أنهما تذاكرا هذه الآية: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، فقالا: هذا حيث يجمع الله بين أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضل رحمته.

وأخرج سعيد بن منصور وهناد والبيهقي عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، قال: إذا خرج من النار من قال لا إلَه إلا الله.

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله تعالى من النار. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وأخرج ابن أبي عاصم في السنة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور عن أبي موسى الاَشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى، قالوا: فما أغنى عنكم الإِسلام وقد صرتم معنا في النار ! قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ماقالوا فأمر بكل من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: أ.ل.ر. تلك آيات الكتاب وقرآن مبين. ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وأخرج إسحق ابن راهويه وابن حبان والطبراني وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أنه سئل هل عندك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية شيء: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ؟ قال نعم سمعته يقول: يخرج الله أناساً من

المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم، لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون: ألستم كنتم تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا في النار ! فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم، فذلك قول الله: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، قال فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم، فيقولون: يا ربنا أذهب عنا هذا الإِسم، فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الإِسم عنهم.

وأخرج هناد بن السري والطبراني في الاَوسط وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ناساً من أهل لا إلَه إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قول لا إلَه إلا الله وأنتم معنا في النار! فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة فيبرؤون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين.

وأخرج الحاكم في الكنى عن حماد رضي الله عنه قال سألت إبراهيم عن هذه الآية: ربما يود الذين كفروا كانوا مسلمين، قال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإِسلام: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين:

إشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون، حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن يدخل معهم، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، قال: هذا في الجهنميين، إذا رأوهم يخرجون من النار. انتهى.

وفي نفس الوقت روى السيوطي روايات تدل على أن تمني الكفار هذا ليس بعد دخول النار بل في يوم القيامة قبل دخول الجنة والنار.. قال: وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ربما يود الذين كفروا قال: ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال: موحدين.

وأخرج سعيد بن منصور وهناد بن السرى في الزهد ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما زال الله يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم، حتى يقول من كان مسلماً فليدخل الجنة فذلك قوله: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين. انتهى.

* *

والأشكالات على هذا الرأي كثيرة يكفي منها ما تقدم من أدلة الرأي الاَول. ويكفي منها أن القول بإسقاط اشتراط العمل هو مذهب المرجئة الذين أسقطوا قوانين العقوبة الإلَهية، كما فعل اليهود من قبلهم!

وينبغي التذكير هنا بأن القرآن الكريم والاَحاديث الثابتة المتفق عليها هي الميزان في قبول الاَحاديث الآخرى أو ردها.. وبهذا الميزان نجد أنفسنا ملزمين برد الاَحاديث التي تكتفي بشرط إعلان الشهادتين فقط لدخول الجنة، وتسقط كل الشروط العملية ! لاَنها تناقض عشرات الآيات والاَحاديث القطعية المتفق عليها عند الجميع!

على أنه يمكن لمن ثبتت عنده هذه الاَحاديث أن يؤولها بأنها تقصد التأكيد على أهمية الشهادتين، ولا تقصد إسقاط بقية الشروط التي نصت عليها الآيات والاَحاديث الاَخرى، لاَنها شرط ضمني فيها، فتكون النتيجة إخضاع هذه الاَحاديث لمفاد أحاديث القول الاَول، وهو المطلوب.

* *

الرأي الثاني: أن الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى

حتى لو كفر بنبوة النبي صلى الله عليه وآله!

والمستفيد الأَول من هذه التوسعة هم المنافقون من قريش والأَنصار، الذين كانت تظهر منهم ظواهر النفاق وعدم الإِيمان بالنبي في حياته صلى الله عليه وآله، وقد جعل الله تعالى لهم علامات يعرفهم المسلمون بها، ومن أوضحها بغض علي بن أبي طالب عليه السلام باعتباره يمثل تحدي الإِسلام للكفر والنفاق، وباعتباره أول عترة النبي ووصيه صلى الله عليه وآله.. فكان حب علي وبغضه في حياة رسول الله وبنصه صلى الله عليه وآله ميزاناً للإِيمان والنفاق ! وقد روى الجميع أحاديثه وصححوها، منها ما رواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٩٥ وص ١٢٨ وص ٢٩٢ عن زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال عهد إليَّ النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. ورواه الترمذي في سننه ج ٥ ص ٣٠٦

. وقال الترمذي في سننه ج ٥ ص ٢٩٨

عن أبي سعيد الخدري قال: إن كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأَنصار ببغضهم علي بن أبي طالب. هذا حديث غريب. وقد تكلم شعبة في أبي هارون العبدي، وقد روى هذا عن الأَعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد.

. وروى الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢٨

عن ابن عباس رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي فقال: يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي !! صحيح على شرط الشيخين، وأبو الأَزهر بإجماعهم ثقة، وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح.

. وروى الحاكم في ج ٣ ص ١٣٥

سمعت عمار بن ياسر رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي: يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك. هذا حديث صحيح الإِسناد ولم يخرجاه.

وروى الحاكم في ج ٣ ص ١٤٢ أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر علياً بأن الاَمة ستغدر به من بعده، قال: عن حيان الاَسدي سمعت علياً يقول قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الاَمة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي، من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا، يعني لحيته من رأسه. صحيح. انتهى.

أما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله فصار بغض علي عليه السلام جهاراً نهاراً، ولم يعد علامةً على النفاق بل صار علامةً على (الإيمان) والتقوى والإِخلاص للاِسلام وتأييد السلطة الجديدة التي يعارضها علي وشيعته ! وجهر المنافقون بنفاقهم مطمئنين ! فقد روى البخاري ج ٨ ص ١٠٠ عن حذيفة بن اليمان قوله (إن المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ! كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون! (

هذه الحقيقة الثابتة تنفعنا في فهم أحاديث هذا الرأي التي تريد شمول المنافقين بالشفاعة والجنة ! وهي كثيرة نورد عدداً منها ثم نذكر الملاحظات عليها:

. روى مسلم في صحيحه ج ١ ص ٤٤

عن أبي هريرة قال: كنا قعوداً حول رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا، فقمنا فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيت حائطاً للاَنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة . والربيع الجدول . فاحتفرت فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أبو هريرة ؟ فقلت نعم يا رسول الله، قال: ما شأنك ؟ قلت كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفرت كما يحتفر الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي!

فقال: يا أبا هريرة وأعطاني نعليه قال: إذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلَه إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة ! فكان أول من لقيت عمر فقال: ماهاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إلَه إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر

بيده بين ثديي فخررت لإستي ! فقال: إرجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهشت بكاءً، وركبني عمر فإذا هو على أثري، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مالك يا أبا هريرة ؟! قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربةً خررت لأستي قال إرجع!

>قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمر ما حملك على ما فعلت ؟ قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إلَه إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة ؟ قال: نعم. قال فلا تفعل ! فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فخلهم!!

. وروى البخاري في ج ١ ص ٤١

عن أنس: قال ذكر لي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة. قال ألا أبشر الناس ؟ قال: لا، أخاف أن يتكلوا.

. وروى البخاري في ج ١ ص ١٠٩

قال أخبرني محمود بن الربيع الاَنصاري أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدراً من الاَنصار، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الاَمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى.

قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: سأفعل إن شاء الله، قال عتبان: فغدا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حين دخل البيت، ثم قال: أين تحب أن أصلي من بيتك ؟ قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر فقمنا فصففنا فصلى ركعتين ثم سلم، قال وحبسناه على خزيرة صنعناها له قال فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذووا عدد، فاجتمعوا فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن ؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إلَه إلا الله يريد بذلك وجه الله ؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين ! قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: فإن الله قد حرم على النار من قال لا إلَه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله !!
ورواه في كنز العمال ج ١ ص ٣٠٢

. وروى البخاري ج ٢ ص ٥٥ وج ٦ ص ٢٠٢

فإن الله قد حرم على النار من قال لا إلَه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله.

. وروى شيبهه في ج ١ ص ٣٣، ورواها أحمد في مسنده ج ٤ ص ٤٤.

. وروى البخاري في ج ٧ ص ١٧٢

عن أحد بني سالم قال غدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا إلَه إلا الله يبتغي به وجه الله إلا حرم الله عليه النار.

. وروى البخاري في ج ٢ ص ٦٩

عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ! قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال وإن زنى وإن سرق... عن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار. وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة!!

. وروى البخاري في ج ٧ ص ٤٣

أن أبا ذر حدثه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: ما من عبد قال لا إلَه إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ! قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال وإن زنى وإن سرق ! قلت وإن زنى وإن سرق؟ ! قال وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر !! وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر !! قال أبو عبد الله: هذا عند الموت أو قبله. انتهى.

وأبو عبدالله هو البخاري نفسه، وهو يريد بقوله هذا تخفيف إطلاق الحديث ووضع شرط للتوحيد المذكور فيه، بأنه المسلم المجرم يدخل الجنة بشرط أن يقول (لا إلَه إلا الله) قبل موته أو عند موته. ولكن الحديث مطلق وليس فيه هذا الشرط!

. وروى النسائي في ج ٨ ص ١١٢

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما مجادلة أحدكم في لاحق يبكون له في الدنيا بأشد من مجادلة المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار، قال يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار ! قال فيقول: إذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، قال فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، قال: ويقول أخرجوا من كان في قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول من كان في قلبه وزن ذرة ! قال أبو سعيد: فمن لم يصدق فليقرأ هذه الآية: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء إلى عظيماً.

. وروى أحمد مسنده ج ٤ ص ٤٣

ذكروا المنافقين وما يلقون من أذاهم وشرهم حتى صيروا أمرهم إلى رجل منهم

يقال له مالك بن الدخشم، وقالوا: من حاله، ومن حاله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت، فلما أكثروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أليس يشهد أن لا إلَه إلا الله ؟ ! فلما كان في الثالثة قالوا: إنه ليقوله. قال: والذي بعثني بالحق لئن قالها صادقاً من قلبه لا تأكله النار أبداً ! قالوا فما فرحوا بشيء قط كفرحهم بما قال !!. انتهى.

وابن الدخشن هذا، أو الدخشم، أو الدخيشن، هو الذي ذكره البخاري وهو رئيس المنافقين الرسمي بعد ابن سلول !! ويمكنك أن تفكر فيما يزعمه هذا الحديث من أن أكبر فرحة للمسلمين كانت في ذلك اليوم، أي يوم ساوى النبي صلى الله عليه وآله بين المسلمين والمنافقين الذين قال الله تعالى فيهم ما قال!!

ولعمري إنها فرحة السلطة وأتباعها الذين أرادوا حل مشكلة المنافقين لتأييدهم لهم، فألصقوا ذلك بالنبي صلى الله عليه وآله!!

. وروى أحمد في ج ٤ ص ٤١١

عن أبي بكر بن أبي موسى (الاَشعري) عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أبشروا وبشّروا الناس من قال لا إلَه إلا الله صادقاً بها دخل الجنة، فخرجوا يبشرون الناس، فلقيهم عمر رضي الله عنه فبشروه فردهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ردكم ؟ قالوا عمر، قال: لم رددتهم يا عمر ؟ قال إذاً يتكل الناس يا رسول الله !. انتهى. وقال عنه في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦ رجاله ثقات.

. وروى أحمد ج ١ ص ٤٦٤

عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة وأنا أقول أخرى ! من مات وهو يجعل لله ندا أدخله الله النار. قال وقال عبد الله: وأنا أقول: من مات وهو لا يجعل لله ندا أدخله الله الجنة !!. انتهى.

. ولكن أحمد روى في ج ٢ ص ١٧٠ أن عبد الله بن عمرو بن العاص نسب الكلمتين إلى النبي صلى الله عليه وآله ! قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من لقي الله وهو لا

يشرك به شيئاً دخل الجنة ولم تضره معه خطيئة، كما لو لقيه وهو مشرك به دخل النار ولم ينفعه معه حسنة.انتهى.

. ولكن أحمد روى هذا الحديث أيضاً عن عبد الله بن مسعود وليس عبد الله بن عمرو !

قال في ج ١ ص ٣٧٤: قال ابن مسعود: خصلتان يعني إحداهما سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاَخرى من نفسي: من مات وهو يجعل لله ندا دخل النار. وأنا أقول من مات... الخ.

. وروى الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٣

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال جئت في اثني عشر راكباً حتى حللنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحابي: من يرعى إبلنا وننطلق فنقتبس من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا راح اقتبسناه ما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت: أنا، ثم قلت في نفسي: لعلي مغبون، يسمع أصحابي ما لا أسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم، فحضرت يوماً فسمعت رجلاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من توضأ وضوء كاملاً ثم قام إلى صلاة كان من خطيئته كيوم ولدته أمه، فتعجبت من ذلك، فقال عمر بن الخطاب: فكيف لو سمعت الكلام الآخر كنت أشد عجباً ! فقلت: أردد عليَّ جعلني الله فداءك، فقال عمر بن الخطاب: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: من مات لا يشرك بالله شيئاً فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء، ولها ثمانية أبواب ! فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست مستقبله فصرف وجهه عني، فقمت فاستقبلته ففعل ذلك ثلاث مرات فلما كانت الرابعة، قلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي لم تصرف وجهك عني ؟ ! فأقبل علي فقال: أواحد أحب اليك أم اثنا عشر؟ مرتين أو ثلاثاً! فلما رأيت ذلك رجعت إلى أصحابي!

. وفي مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٢

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من مات

يؤمن بالله واليوم الآخر، قيل له أدخل من أي أبواب الجنة الثمانية شئت. رواه أحمد وفي إسناده شهر بن حوشب وقد وثق. وأورده أيضاً في ص ٤٩

. وفي مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٢

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: جئت ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في أناس من أصحابه فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأدركت آخر الحديث ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من صلى أربع ركعات قبل العصر لم تمسه النار ! فقلت بيدي هكذا يحرك بيده إن هذا حديث جيد، فقال عمر بن الخطاب: لما فاتك من صدر الحديث أجود وأجود ! قلت يا ابن الخطاب فهات، فقال عمر بن الخطاب: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من شهد أن لا إلَه إلا الله دخل الجنة !!

. وفي مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة. قال قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال: وإن زنى وإن سرق ! قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال: وإن زنى وإن سرق ! قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء ! قال فخرجت لأنادي بها في الناس فلقيني عمر فقال إرجع فإن الناس إن علموا بهذه اتكلوا عليها ! قال: فرجعت فأخبرته صلى الله عليه وسلم فقال: صدق عمر.

رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط وإسناد أحمد أصح، وفيه ابن لهيعة وقد احتج به غير واحد. ورواه في الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٠

. وروى أحمد ج ٥ ص ١٧٠

حدثتني جسرة بنت دجاجة أنها انطلقت معتمرة فانتهت إلى الربذة فسمعت أباذر يقول: قام النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي في صلاة العشاء فصلى بالقوم ثم تخلف أصحاب له يصلون، فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف إلى رحله،

فلما رأى القوم قد أخلوا المكان رجع إلى مكانه فصلى، فجئت فقمت خلفه فأومأ إليَّ بيمينه فقمت عن يمينه، ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه، فأومأ إليه بشماله فقام عن شماله فقمنا ثلاثتنا، يصلي كل رجل منا بنفسه ويتلو من القرآن ما شاء الله أن يتلو، فقام بآية من القرآن يرددها حتى صلى الغداة، فبعد أن أصبحنا أومأت إلى عبد الله بن مسعود أن سله ما أراد إلى ما صنع البارحة ؟ فقال ابن مسعود بيده لا أسأله عن شيء حتى يحدث إلي، فقلت: بأبي أنت وأمي قمت بآية من القرآن ومعك القرآن ؟ ! لو فعل هذا بعضنا وجدنا عليه، قال: دعوت لاَمتي، قال: فماذا أجبت أو ماذا عليك ؟ قال: أجبت بالذي لو اطلع عليه كثير منهم طلعةً تركوا الصلاة ! قال: أفلا أبشر الناس ؟ قال بلى، فانطلقت معنقاً قريباً من قذفة بحجر، فقال عمر: يا رسول الله إنك إن تبعث إلى الناس بهذا نكلوا عن العبادة، فنادى أن ارجع، فرجع.

. وروى أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٠٧ وفي ص ٥١٨

عن أبي هريرة أنه سمعه يقول: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا رد إليك ربك في الشفاعة ؟ فقال: والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم ! والذي نفس محمد بيده ما يهمني من انقصافهم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي، وشفاعتي لمن شهد أن لا إلَه إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه. ورواه الديلمي في فردوس الاَخبار ج ٢ ص ١٩٧ ح ٣٣٩٥

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٣٢٤

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد قال: لما نزلت: فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً فنادى: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فاستقبل عمر الرسول فرده، فقال: يا رسول الله

خشيت أن يتكل الناس فلا يعملون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو يعلم الناس قدر رحمة الله لا تكلوا ولو يعلمون قدر سخط الله وعقابه لاستصغروا أعمالهم!

. الدر المنثور ج ٤ ص ٩٣

وأخرج ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أصحاب الكبائر من موحدي الاَمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد، وصورهم على النار من أجل السجود، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه النار إلى عقبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى فخذيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم. ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى.

فإذا أراد الله ان يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الاَديان والاَوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء، فغضب الله غضبا لم يغضبه لشيء فيما مضى، فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط فينبتون فيها نبات الطراثيث في حميل السيل، ثم يدخلون الجنة مكتوب في جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، فيمكثون في الجنة ما شاء الله أن يمكثوا، ثم يسألون الله تعالى أن يمحو ذلك الإسم عنهم، فيبعث الله ملكاً فيمحوه ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار فيطبقونها على من بقى فيها يسمرونها بتلك المسامير فينساهم الله على عرشه، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم، وذلك قوله: ربما بما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

. وقال ابن باز في فتاويه ج ١ ص ١٧٩

روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك قال: من قال لا إلَه إلا الله خالصاً من قلبه. انتهى.

* *

ملاحظات على روايات هذا الرأي

أولاً:

نلاحظ في أحاديث هذا الرأي بل هذا المذهب، اضطرابها وتعارضها إلى حد التناقض ! ولعل أصلها رواية مسلم التي ضرب فيها عمر أبا هريرة حتى خر لإسته ! والمقصود منها ومن أمثالها إثبات أن النبي صلى الله عليه وآله قد (اعترف وشهد) بأن توحيد الله تعالى فقط كاف لدخول الجنة، وأنه لا يحتاج الاَمر إلى الإِيمان بنبوته ولا شفاعته صلى الله عليه وآله!

ويلاحظ أنها تؤكد على أن الذي قال ذلك هو النبي نفسه صلى الله عليه وآله وليس عمر ! بل إن عمر كان مخالفاً لذلك، وقد ردَّ أبا هريرة من الطريق وضربه، واعترض على النبي مرات ومرات، وقد أطاعه النبي صلى الله عليه وآله في بعض المرات، ثم أصرَّ النبي على هذا القول فهو الذي يتحمل مسؤوليته، وليس عمر، ولا أبو موسى، ولا أبو هريرة، ولا كعب الاَحبار!!

ثانياً:

أن هذا المذهب يلغي حاجة المسلمين إلى الشفاعة أصلاً ! ! فأحاديثه تبشر بالجنة كل من قال (لا إلَه إلا الله) وتشمل رواياته اليهود والنصارى وغيرهم، فلا يبقى معنى للشفاعة!!

ثالثاً:

أنه يلغي الحاجة إلى أصل الإِسلام ونبوة نبينا صلى الله عليه وآله ! لاَن رواياته تقول إن الله تعالى يقبل إيمان الموحد ويدخله الجنة لتوحيده، حتى لو كفر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ! فلا يبقى مبرر لجهاد النبي صلى الله عليه وآله وحروبه وشدته على الكافرين بنبوته ! ولا يبقى معنىً لقوله تعالى (ومن يبتغ غير الإِسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين(

وكيف يجرأ مسلم على قبول رأي من رواة أو خليفة، يستلزم إبطال دينه من أصله ؟!!

رابعاً:

تزعم روايات هذا المذهب عدم عصمة النبي صلى الله عليه وآله وأنه أخطأ في تبليغ الرسالة وصحح له عمر وأقنعه بخطئه ! على أنه توجد رواية أخرى في تهذيب الكمال ج ٤ ص ٣١ وفي مجمع الزوائد ج ١ ص١٦ تقول إن النبي لم يقتنع وأصرَّ على رأيه، وقال لعمر: دعهم يتكلوا ! وتوجد رواية أخرى في مجمع الزوائد وفي مسند أحمد ج ٤ ص٤٠٢ تقول إن النبي سكت !.. الخ.

ومن جهة أخرى تدل هذه الروايات على عدم إيمان عمر بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وتعطي لعمر دور الناظر على أعمال النبي صلى الله عليه وآله والولاية عليه لتصحيح أخطائه ! بينما يؤكد الله تعالى عصمة رسوله صلى الله عليه وآله في كل كلمة يتفوه بها، فيقول (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى! (

خامساً:

تقدمت رواية أن عمر هو الذي بشر الناس، ولعله اقترح على النبي أن يبشر الناس بذلك فنهاه النبي صلى الله عليه وآله !! وقد روى الهيثمي رواية فيها تصريح بأن الذي أراد تبشير الناس هو عمر وإن كانت متناقضة، قال (وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ناد يا عمر في الناس إنه من مات يعبد الله مخلصاً من قلبه أدخله الله الجنة وحرم على النار ! قال فقال عمر: يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال: لا، لا، يتكلوا. انتهى.

فأول الرواية يقول: إن النبي أمر عمر بالنداء، وآخرها يقول إن عمر اقترح النداء فلم يقبل به النبي صلى الله عليه وآله ونهاه عنه!

وهذا يؤيد أن يكون أصل القضية كلها محاولة من عمر لتبشير الناس بعدم اشتراط العمل للجنة، فنهاه النبي صلى الله عليه وآله.

سادساً:

إن روايات (ضياع النبي !) في غزوة من غزواته أو في المدينة، قد حملت من التناقض واللامعقول ما يوجب على الباحث بل على القارئ الشك فيها

من أصلها!

فحديث مسلم يقول: إنهم (أضاعوا) النبي صلى الله عليه وآله في المدينة حتى وجده أبو هريرة في بستان في المدينة لبني النجار ! وروايتا الطبراني المتقدمتان عن عوف بن مالك والنضر بن أنس تقولان إنهم أضاعوا النبي في إحدى الغزوات ! أو خرج مبهوتاً في وسط الليل ! وبعض رواياتها تقول إن النبي صلى الله عليه وآله لم يضع بل كان في بيته أو في مسجده وأمر أبا موسى ونفراً من قومه أن يبشروا الناس فلما خرجوا من عنده لقيهم عمر...الخ. وقد رواها أحمد ج ٤ ص ٤٠٢ وص ٤١١ و قال عنها مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦ (رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات.(

ثم إن رواية مسلم تقول: إن بطل القصة المأمور بالنداء هو أبو هريرة وأن عمر ضربه ! بينما تقول روايات أخرى إن المأمور بالنداء أبو موسى الاَشعري ونفر من الاَشعريين وأن عمر رده ولم يضربه ! وأخرى تقول: إن المأمور هو أبو الدرداء، وأخرى تقول: إنه أبوذر، وأخرى تقول: إنه عمر.. إلخ. ورواية أبي سعيد تذكر مأموراً بدون تسمية!

أما روايات الطبراني فتذكر بطلين آخرين للحادثة هما عوف والنضر، وفي رواية أخرى في مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٣ إنه عقبة بن عامر!

وتوجد رواية في مجمع الزوائد تقول إن البطل الوحيد هو عمر، ولا يوجد غيره قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦ وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يؤذن في الناس أنه: من شهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له مخلصاً دخل الجنة، فقال عمر: يا رسول الله إذا يتكلوا فقال: دعهم. رواه أبو يعلى والبزار إلا أن عمر قال يا رسول الله إذا يتكلوا! قال دعهم يتكلوا. انتهى.

أما رواية البخاري فتذكر أن بطل الرواية معاذ فقط، وأنه اقترح تبشير الناس بذلك فنهاه النبي صلى الله عليه وآله، ورواية أحمد تذكر أن بطلها عبادة بن الصامت.. وقد تقدمت الروايتان في الرأي الثاني لاَنهما اشترطتا الشهادة بالنبوة!!

ولو أردنا مواصلة بحث ملف ضياع النبي المزعوم، والنداء المزعوم، لوجدنا فيها تناقضات أخرى توجب سقوط أصل القصة عن الصلاحية لإثبات حكم شرعي عادي، فكيف تصلح لِإثبات عقيدة خطيرة، أخطر من مذهب المرجئة ؟ ! لاَن المرجئة يشترطون لدخول الجنة الشهادتين، وهذه القصة تلغي الشهادة الثانية!!

سابعاً:

توجد روايات تناقض هذا الرأي عن الخليفة عمر نفسه وتقول إن الذي يسرق عباءة من الغنائم يحرم من دخول الجنة، حتى لو كان السارق مسلماً واستشهد في سبيل الله تعالى ! وتقول إن النبي صلى الله عليه وآله قد أمر عمر أن ينادي بنداء مضاد لما ذكرته قصة ضياع النبي صلى الله عليه وآله ونداء النعلين!!

فقد روى أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٠ وص ٤٧ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: فلان شهيد فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة ! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يابن الخطاب إذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. انتهى.

فإذا كانت سرقة عباءة تمنع صاحبها (الشهيد) من دخول الجنة، فكيف تكون شهادة (لا إلَه إلا الله) وحدها بدون عمل كافية لدخول الجنة ؟!

وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله قد أمر عمر بهذا النداء، فكيف أمر عمر نفسه أو غيره بنداء مناقض له ؟ ! وكيف لم يعترض عليه عمر وهو المعروف بكثرة اعتراضاته ؟ !

ثم إن قصة سارق العباءة والنداء بشرط الايمان والعمل الصالح، كانتا في خيبر، وهذه ظاهرة تحديد في الرواية توجب نوعاً من الثقة، ولكنك لا تجد في قصة ضياع النبي صلى الله عليه وآله والنداء المضاد المزعومين شيئاً من التحديد، لا اسم الغزوة، ولا اسم البستان، بل لا تجد إلا مجملاً في مجمل، وتناقضاً بعد تناقض!

وبما أن أغلب روايات هذه القصة تشترك في ذكر دور عمر ومناقشته للنبي صلى الله عليه وآله ونصحه إياه بضرر إعلان ذلك للناس، يترجح في الذهن احتمال أن يكون أصل القصة أن الخليفة عمر هو الذي بشر الناس كما نصت الروايات المتقدمة، وقد يكون اقترح على النبي صلى الله عليه وآله أن يأمره بذلك فلم يقبل، وأن النبي صلى الله عليه وآله ما ضاع لا في غزوتين ولا في غزوة،ولا خرج مذعوراً في الليل من كلام جبرئيل، ولا ضاع في المدينة، ولا اختبأ في بستان، ولا أعطى نعليه لاَبي هريرة علامةً للناس بأنه مبعوث من النبي صلى الله عليه وآله، ولا ضرب عمر أبا هريرة حتى خر لِإسته ! فعندما تتناقض الروايات ولا يمكن الجمع بينها، أو تكون مخالفة للقرآن وللسنة القطعية المتفق عليها.. فلا مجال أمام الباحث إلا ترجيح هذا الإحتمال الاَخير.

>

ثامنا

ً ثبت عند الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله قد أرسل علياً عليه السلام الى مكة بأمر من الله تعالى لِإبلاغ سورة براءة، وأمره أن ينادي في الناس بعدة أمور، منها (لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة!(

وقد روى ذلك أحمد ج ١ ص ٤٧ وص ٧٩ والنسائي ج ٥ ص ٢٣٤ والدارمي ج ٢ ص ٢٣٠ وغيرهم، وفي أحمد ج ٥ ص ٤٣٨: نفس مسلمة.(

وروايات هذا النداء ثابتة عند الطرفين، وليست مهزوزة مثل نداء النعلين المزعوم!

ثم إن هذا النداء كان بعد فتح مكة، فلا بد للقائل بصحة روايات نداء النعلين أن يقول إنه ناسخ لهذا النداء، وأن يثبت صحة قصته وأنها كانت بعد نداء مكة.. ولكن دون إثبات ذلك خرط القتاد!

أما الأَحاديث الأَخرى التي استدلوا بها على هذا المذهب، فليست أحسن حالاً من حديث (ضياع النبي صلى الله عليه وآله واختفائه واختبائه ونداء النعلين) في تضاربها وتعارضها مع غيرها.. ويكفي لردها الروايات التي تقدمت في الرأي الأَول.

وأخيراً، فقد آن لِإخواننا فقهاء السنة أن ينظروا بجدية إلى تناقضات روايات الصحاح ومخالفاتها الصريحة للقرآن وضرورات الإِسلام، ويعيدوا النظر في مفهومهم للصحيح والحجة الشرعية!

ذلك أن صريح العقل هو الأَصل الذي وصلنا به إلى الإِيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ثم وصلنا به إلى قطعيات الشرع الشريف. وحبُّنا للصحاح وأصحابها وأسانيدها لا يجوز أن يوصلنا إلى التنازل عن قطعيات الشرع والعقل، لأَن إبطال الأَصل يستلزم إبطال الفرع الذي نحبه، وبالنتيجة خسارة كل شيء!!

* *

أحاديث أن الله تعالى يشفع عند نفسه!

بمقتضى أحاديثهم في استحقاق الموحد لدخول الجنة، فلا يحتاج الأَمر إلى شفاعة، بل تصير الشفاعة من نصيب المشركين!

ولكن أصحاب هذا الرأي احتاطوا في أمر أصحابهم فشملوهم بالشفاعة ! واختلفت رواياتهم في من يشفع فيهم ! فقال بعضها إن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يشفع في الموحدين، وقال بعضها إن إسحاق هو شفيع الموحدين، وقد صحح الحاكم روايته على شرط الشيخين، كما سيأتي في مسألة الذبيح ! وقال بعضها إن النبي صلى الله عليه وآله يطلب من الله تعالى أن يعطيه الشفاعة فيهم فلا يعطيه إياها بل يستأثر بها لنفسه، فكأنه تعالى يريد أن يجازيهم هو شخصياً، لأَنهم شهدوا بتوحيده!!

. قال في كنز العمال ج ١ ص ٥٦

ما زلت أشفع إلى ربي فيشفعني حتى أقول: شفعني فيمن قال لا إلَه إلا الله، فيقول: ليست هذه لك يا محمد ! إنما هي لي ! أنا وعزتي وحلمي ورحمتي لا أدع في النار أحداً قال لا إلَه إلا الله . ع عن أنس. انتهى. وأورده الرازي في تفسيره ج ١١ جزء ٢٢ ص ١٠. وفي كنز العمال ج ١ ص ٦٤ فيقال: ليست هذه لك ولا لاَحد، هذا إليَّ،

فلا يبقى أحد قال لا إلَه إلا الله إلا أخرج منها . الديلمي عن أنس.

. طبقات الحنابلة لاَبي يعلى ج ١ ص ٣١٢

قال أحمد بن حنبل: إذا لم يبق لاَحد شفاعة قال الله تعالى: أنا أرحم الراحمين، فيدخل كفه في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره.

. وروى البيهقي في سننه ج ١٠ ص ٤٢

عن معبد بن هلال العنزي قال: أتيت أنس بن مالك رضي الله عنه في رهط من أهل البصرة وسماهم لنا، نسأله عن حديث الشفاعة، فذكر الحديث بطوله في سؤاله وجوابه وخروجهم من عنده ودخولهم عن الحسن بن أبي الحسن البصري، قال الحسن حدثني كما حدثكم، قال ثم قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم: فأجئ في الرابعة فأحمد بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال لي يا محمد إرفع رأسك قل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول يا رب إئذن لي فيمن قال لا إلَه إلا الله فيقول ليس ذلك إليك ولكني وعزتي وكبريائي وعظمتي لاَخرجن منها من قال لا إلَه إلا الله. رواه البخاري في الصحيح عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد زاد فيه (وجلالي) ورواه مسلم عن سعيد بن منصور وغيره.

. ولكن الديلمي روى في فردوس الاَخبار ج ٣ ص ٢٧٦ ح ٤٦٩٥

أن الله تعالى يتنازل ويعطي الشفاعة فيهم لرسوله صلى الله عليه وآله ! قال عمرو بن العاص: قلت يا ربي شفعني فيمن قال لا إلَه إلا الله، قال: لك ذلك ! انتهى.

. وقال الثعالبي في الجواهر الحسان ج ١ ص ٣٥١ في تفسير الآية ٤٠ من سورة النساء :فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقطبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعلموا خيراً قط!

. وقال في ج ٢ ص ٣٦٠:

وأحاديث الشفاعة قد استفاضت وبلغت حد التواتر من أعظمها شفاعة أرحم

الراحمين ففي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال: فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكه وشفع النبيون وشفع المؤمنون... الخ.

ورواه البغوي في مصابيح السنة ج ٣ ص ٥٤٢

وقد أوردنا روايات هذه (الشفاعة) من مصادر السنيين في المجلد الثاني في ادعائهم رؤية الله تعالى بالعين في الآخرة ! ومعناها أن الله تعالى يتوسط عند نفسه، وهو معنى عامي للشفاعة ! والظاهر أن أصلها الحديث المروي في مصادرنا عن الإمام محمد الباقر عليه السلام الذي رواه في بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦١ عن حمران قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الكفار والمشركين يرون أهل التوحيد في النار فيقولون مانرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً، وما أنتم ونحن إلا سواء ! قال: فيأنف لهم الرب عز وجل فيقول للملائكة: إشفعوا فيشفعون لمن شاء الله، ويقول للمؤمنين مثل ذلك، حتى إذا لم يبق أحدٌ تبلغه الشفاعة، قال تبارك وتعالى: أنا أرحم الراحمين، أخرجوا برحمتي، فيخرجون كما يخرج الفراش، قال: ثم قال أبو جعفر عليه السلام: ثم مدت العُمُد وأعمدت عليهم، وكان والله الخلود. انتهى.

ورواه في تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٢٣ عن مجمع البيان عن العياشي.

والمقصود بأهل التوحيد الذين تشملهم الشفاعة في هذه الرواية، المسلمون الذين ارتضى الله دينهم وأماتهم على التوحيد.. فقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن بعض أصحاب المعاصي والانحرافات الكبيرة، يسلب منهم التوحيد قبل موتهم، والعياذ بالله! !

* *

الرأي الثالث: أن الشفاعة تشمل جميع الخلق!

. مجموعة الرسائل لابن تيمية ج ١ ص ١٠

أجمع المسلمون على أن النبي (ص) يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك، وبعد أن يأذن الله في الشفاعة. ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة... أنه يشفع لأَهل الكبائر ويشفع أيضاً لعموم الخلق... أما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن شفاعته إنما هي للمؤمنين خاصة... ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقاً... ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ولا يخلد أحد في النار.

. ولكن ابن باز لم يأخذ بفتوى إمامه ابن تيمية فقال في فتاويه ج ٤ ص ٣٦٨

إن المشرك إذا مات على شركه فهو مخلد في النار أبد الآباد بإجماع أهل العلم، وذلك مثل الذي يعبد الأَصنام أو الأَحجار أو الأَشجار أو الكواكب... أو يعبد الأَموات ومن يسمونهم بالأَولياء، أو يستغيث بهم ويطلب منهم المدد أو العون عند قبورهم، مثل قول بعضهم: يا سيدي فلان المدد المدد، يا سيدي البدوي المدد المدد... أو يا سيدي رسول الله المدد المدد الغوث الغوث، أو يا سيدي الحسين أو يا فاطمة أو يا ست زينب، أو غير ذلك ممن يدعوه المشركون... وهذا كله من الشرك الأَكبر، فإذا مات عليه صاحبه صار من أهل النار. انتهى.

فإن عجبت فاعجب لابن تيمية إمام الوهابيين حيث يحكم بدخول إبليس وقابيل وفرعون ونمرود الجنة لأَنهم من عموم الخلق ! ولإِمامهم المعاصر ابن باز حيث يحكم بأن ملايين المسلمين الذين يدعون الله تعالى ويطلبون من أوليائه مدداً مما أعطاهم الله تعالى كلهم (مشركون) مخلدون في النار أبد الآباد!!

. مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٧٩

وعن أنيس الأَنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني

لأَشفع يوم القيامة في كل شيء مما على وجه الأَرض من حجر ومدر. رواه الطبراني في الأَوسط، وفيه أحمد بن عمرو صاحب علي بن المديني ويعرف بالقلوري ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم. انتهى. ورواه ابن عبد البر في الإِستيعاب ج ١ ص ١١٤ والديلمي في فردوس الأَخبار ج ١ ص ٩٣ ح ١٧٤ عن بريدة الأَسلمي وفيه (لأَكثر مما على وجه الأَرض من حجر ومدر.(

. الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٦

وأخرج ابن مردويه عن عبدالرحمن بن ميمون أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر: حدثني إلى ما تنتهي شفاعة محمد يوم القيامة ؟ ! فقال كعب: قد أخبرك الله في القرآن أن الله يقول (ما سلككم في سقر إلى قوله اليقين) قال كعب: فيشفع يومئذ حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط ويطعم مسكيناً قط ومن لم يؤمن ببعث قط، فإذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خير !) انتهى.

وإذا أراد كعب بقوله (حتى يبلغ، فإذا بلغت هؤلاء) أن النبي يشفع حتى يبلغ هؤلاء فيشفع لهم أيضاً، فلم يبق أحد في النار ! وإن أراد أنه يبلغهم ويقف عندهم، فمعناه أن كعباً لايشترط لشمول الشفاعة إلا الإيمان بيوم الدين، وعملاً واحداً من الأَعمال المذكورة !

. كنز العمال ج ١٤ ص ٥١١ عن ابن عساكر:

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده ! إني لسيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وإن بيدي لواء الحمد وإن تحته آدم ومن دونه ولا فخر، ينادي الله يومئذ آدم فيقول: يا آدم، فيقول لبيك رب وسعديك، فيقول: أخرج من ذريتك بعث النار، فيقول: يا رب وما بعث النار ؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فيخرج ما لا يعلم عدده إلا الله، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أكرمك الله وخلقك بيده، ونفخ فيك وروحه وأسكنك جنته، وأمر الملائكة

فسجدوا لك، فاشفع لذريتك أن لا تحرق اليوم بالنار، فيقول آدم: ليس ذلك إليّ اليوم، ولكن سأرشدكم، عليكم بنوح فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إشفع لذرية آدم فيقول: ليس ذلك إليَّ اليوم ولكن عليكم بعبد اصطفاه الله بكلامه ورسالته وصنع على عينه وألقى عليه محبة منه موسى وأنا معكم، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت عبد اصطفاك الله برسالته وبكلامه وصنعت على عينه وألقى عليك محبة منه إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إليَّ اليوم عليكم بروح الله وكلمته عيسى فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت روح الله وكلمته إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إليَّ اليوم ولكن سأرشدكم عليكم بعبد جعله الله رحمة للعالمين أحمد وأنا معكم، فيأتون أحمد فيقولون: يا أحمد جعلك الله رحمة للعالمين إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار، فأقول: نعم أنا صاحبها فآتي حتى آخذ بحلقة باب الجنة فيقال: من هذا أحمد ؟ فيفتح لي فإذا نظرت إلى الجبار لا إلَه إلا هو خررت ساجداً، ثم يفتح لي من التحميد والثناء على الرب

شيئاً لا يفتح لاَحد من الخلق ثم يقال: إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار فيقول الرب جل جلاله: إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال قدر قيراط من إيمان فأخرجوه!

ثم يعودون إليَّ فيقولون: ذرية آدم لا يحرقون اليوم بالنار فآتي حتى آخذ بحلقة الجنة فيقال: من هذا ؟ فأقول أحمد، فيفتح لي فإذا نظرت الجبار لا إلَه إلا هو خررت ساجداً مثل سجودي أول مرة ومثله معه فيفتح لي من الثناء على الرب والتحميد مثل ما فتح لي أول مرة، فيقال: إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار ! فيقول الرب: إذهبوا من وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه!

ثم آتي حتى أصنع مثل ما صنعت أول مرة فإذا نظرت إلى الجبار عز جلاله

خررت ساجداً فأسجد كسجودي أول مرة ومثله معه فيفتح لي من الثناء والتحميد مثل ذلك ثم يقال: إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار ! فيقول الرب: إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون ما لا يعلم عدده إلا الله ويبقى أكثر. ثم يؤذن لآدم في الشفاعة فيشفع لعشرة آلاف ألف ثم يؤذن للملائكة والنبيين فيشفعون ثم يؤذن للمؤمنين فيشفعون وإن المؤمن يشفع يومئذ لاَكثر من ربيعة ومضر. انتهى.

ومن الواضح أن هذه الرواية تطرح ذرية آدم كلهم موضوعاً للشفاعة، ولكنها (تحتاط) من التصريح بشمول الشفاعة لهم، على عكس الروايات والآراء المتقدمة التي صرحت بشمول الشفاعة لجميع الخلق!

وإذا كان هذا الرأي يحتاج إلى رد، فإن ما تقدم في أدلة الرأي الموافق لمذهبنا، وما تقدم في نقد الآراء التوسيعية السابقة كافٍ لرده.

* *

الرأي الرابع أن العقاب في الآخرة ينتهي كلياً وأن جهنم تفنى وينقل أهلها إلى الجنة!

وهذه المسألة من مسائل المعاد لا الشفاعة، ولكن بحثناها هنا لذكر الشفاعة في كثير من رواياتها.

وأول من قال من المسلمين بفناء النار هو الخليفة عمر بن الخطاب، وقد تأثر به عدد من المذاهب الكلامية. ولكن أكثر المتعصبين لعمر لم يأخذوا بقوله هذا، ماعدا ابن تيمية وبعض تلاميذه، كما سترى!

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥١

وأخرج ابن المنذر عن الحسن عن عمر رضي الله عنه قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه. انتهى. ورواه الشوكاني في فتح القدير ج ٢ ص ٦٥٨ وغيره، وعالج: منطقة رملية في بين صحراء نجد والبحرين.

آراء المسلمين في آيات الخلود وأحاديثه

من عادة الكلاميين والمفسرين عندما يجدون قولاً لصحابي يحبونه مخالفاً لآيات محكمة وأحاديث صريحة، كمسألتنا هذه أنهم يحشدون للقارئ أقوالاً وآراء عديدة متضاربة متناقضة، ويؤيدونها بروايات كثيرة متضاربة أيضاً، وكأن واحدهم متحيرٌ يكتب للناس تحيره ويستغيث بهم ! أو كأن هدفه بدل التفسير والتوضيح ترويض ذهن القارئ وتدويخه لكي يقبل التناقض الذي يريد إقناعه به!

وموضوعنا هذا واحدٌ من هذه الموضوعات التي اتبع فيها المفسرون السنيون هذه السياسة.

وتفادياً لذلك نقدم رأي أهل البيت عليهم السلام وعلماء مذهبهم في المسألة وما وافقهم وما خالفهم من الآراء الاَخرى، ليعرف الباحث من أين جاء الخلل إلى الرواة السنيين ومصادرهم في تفسير آيات الله تعالى، وتفسير أقوال النبي صلى الله عليه وآله، فإن الميزان

الشرعي لكل الآراء والاَحاديث عند الجميع هو القرآن والمتفق عليه من السنة..
ويضاف اليه عندنا ماثبت عن المفسرين الشرعيين للقرآن بعد النبي صلى الله عليه وآله الذين هم عترته بصريح قوله صلى الله عليه وآله (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) وحديث الثقلين صحيح عند الجميع.

أجمع المسلمون على خلود الكفار في جهنم

. الإعتقادات للصدوق ص ٥٣

باب الإعتقاد في الجنة والنار: قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: اعتقادنا في الجنة: أنها دار البقاء ودار السلامة، لا موتٌ فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زوال ولا زمانة ولا هم ولا غم ولا حاجة ولا فقر. وأنها دار الغنى ودار السعادة، ودار المقامة ودار الكرامة، لا يمس أهلها نصب ولا يمسهم فيها لغوب، لهم فيها ما تشتهي الأَنفس وتلذ الأَعين وهم فيها خالدون. وأنها دارٌ أهلها جيران الله تعالى وأولياؤه وأحباؤه وأهل كرامته.

وهم أنواع على مراتب: منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة ملائكته، ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأَرائك وحور العين واستخدام الولدان المخلدين والجلوس على النمارق والزرابي ولباس السندس، كلٌّ منهم إنما يتلذذ بما يشتهي ويريد، على حسب ما تعلقت همته، ويعطى ما عبد الله من أجله.

وقال الصادق عليه السلام: إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أصناف: فصنف منهم يعبدون شوقاً إلى جنته ورجاء ثوابه، فتلك عبادة الخدام، وصنف منهم يعبدونه خوفاً من ناره، فتلك عبادة العبيد، وصنف منهم يعبدونه حباً له، فتلك عبادة الكرام، وهم الأَمناء، وذلك قوله عز وجل: وهم من فزع يومئذ آمنون.

واعتقادنا في النار: أنها دار الهوان ودار الإِنتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك.

. الإعتقادات ص ٨١

واعتقادنا في قتلة الأَنبياء عليهم السلام وقتلة الأَئمة المعصومين عليهم السلام أنهم كفار مشركون مخلدون في أسفل درك من النار. ومن اعتقد بهم غير ما ذكرناه، فليس عندنا من دين الله في شيء.

. تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٥٧٨

قال الله تعالى: وما هم بخارجين من النار، كان عذابهم سرمداً دائماً، وكانت ذنوبهم كفراً، لا تلحقهم شفاعة نبي ولا وصي، ولا خيِّرٍ من خيار شيعتهم.

. التبيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٥٢٤

الخلود في اللغة هو طول المكث، ولذلك يقال: خلده في السجن وخلد الكتاب في الديوان. وقيل للأثافي: خوالد مادامت في موضعها، فإذا زالت لا تسمى خوالد.

والفرق بين الخلود والدوام: أن الخلود يقتضي (في) كقولك خلد في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام، ولذلك جاز وصفه تعالى بالدوام دون الخلود.

إلا أن خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الأَمة... ومعنى خلودهم فيها استحقاقهم لها دائماً مع ما توجبه من أليم العقاب، فأما من ليس بكافر من فساق أهل الصلاة فلا يتوجه إليه الوعيد بالخلود، لأَنه لا يستحق إلا عقاباً منقطعاً به، مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم، لأَنه لو كان كذلك لأَدى إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم لشخص واحد. والإِجماع بخلافه.

. الطهارة للشيخ الأَنصاري ص ٣٨٨

ومن ذلك يعلم الجواب عما دل من الأَخبار على عدم قبول توبته، مثل قوله عليه السلام: من رغب عن الإِسلام وكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله فلا توبة له وقد وجبت عليه وبانت منه امرأته، ويقسم ما ترك على ولده. هذا مع أن عدم قبول التوبة لا ينافي الإِسلام، ودعوى المنافاة من جهة أن عدم القبول مستلزم للخلود في النار وهو ينافي الإِسلام،

مدفوع بأنه لا إجماع على خلود الكافر في النار مطلقاً حتى مثل هذا بعد التوبة.

هذا مضافاً إلى معارضتها مع عمومات قبول التوبة، حيث أن ظاهرها القبول فيما يتعلق بأمر الآخرة من العقاب، فتدل بظاهرها على أن المرتد تقبل توبته ولا يخلد في النار بعد التوبة، بل يدخل الجنة فيكون مسلماً، للإِجماع على خلود الكافر في النار.

فكما يمكن تقييد هذه بغير المرتد الفطري كذلك يمكن تقييد مثل الرواية والأَخبار المستفيضة بعدم قبول التوبة في دفع ما يحكم عليه بحدث الكفر من مفارقة المال والزوجة والحياة. وبعد التعارض يجب الرجوع إلى الأَصل.

هذا مضافاً إلى قول الباقر عليه السلام المروي في باب إعادة الحج: من كان مؤمناً فحج وعمل في إيمانه خيراً ثم أصابته فتنة فكفر ثم تاب وآمن ؟ قال: يحسب له كل عمل صالح عمله في إيمانه ولا يبطل منه شيء.

هذا كله مع أن لنا أن نكتفي بالأَصل، ونستدل على طهارته بما دل على طهارة المسلمين.

الروايات التي توافق هذا الرأي عند إخواننا السنيين

. صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٣

عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ؟ فيأتون آدم فيقولون أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته ويقول: إئتوا نوحاً أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، إئتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتونه فيقول:لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلمه الله فيأتونه فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته، إئتوا عيسى فيأتونه فيقول: لست هناكم، إئتوا

محمداً فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ثم يقال: إرفع رأسك، سل تعطه، قل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ثم أشفع فيحد لي حداً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن. وكان قتادة يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود. انتهى.

وقد روت مصادر السنيين عبارة (إلا من حبسه القرآن) وفسرتها رواياتهم ومفسروهم بالتأبيد..

وممن رواها البخاري في ج ٨ ص ١٨٣ كما تقدم

ورواها أيضاً في ج ٥ ص ١٤٧ وفيه (إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود. ثم قال البخاري: إلا من حبسه القرآن يعنى قول الله تعالى: خالدين فيها(

وقال في ج ٧ ص ٢٠٣ (إلا من حبسه القرآن، وكان قتادة يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود(

ورواها في ج ٨ من ص١٧٣ (إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود(

وفي ج ٨ ص ١٨٤: إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود. انتهى.

ورواها مسلم في ج ١ ص ١٢٤ وص ١٢٥ وأحمد ج ٣ ص ١١٦ وص ٢٤٤ مثل رواية البخاري الأَخيرة.

ورواها ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٤٣، وكنز العمال ج ١٤ ص ٣٩٧ عن أحمد والبيهقي والترمذي وغيرهم.

. سنن الترمذي ج ٤ ص ٩٥

باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدون....

فإذا أدخل الله تعالى أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبباً فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأَهل الجنة ولأَهل النار: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت الذي وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت. هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد في ج ٢ ص ٣٦٨

. مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٩٦

فإذا أراد الله عز وجل أن لا يخرج منها أحد غير وجوههم وألوانهم، قال فيجيء الرجل فينظر ولا يعرف أحداً فيناديه الرجل فيقول: يا فلان أنا فلان، فيقول: ما أعرفك، فعند ذلك يقول: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فيقول عند ذلك: إخسؤوا فيها ولا تكلمون، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلا يخرج منهم بشر. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

. الدر المنثور ج ١ ص ١٦٦

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: وما هم بخارجين من النار قال: أولئك أهلها الذين هم أهلها.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الأَوزاعي قال سمعت ثابت بن معبد قال: ما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت: وما هم بخارجين من النار.

. الدر المنثور ج ٢ ص ١٦٣

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله: وإن تك حسنة، وزن ذرة زادت على سيآته يضاعفها، فأما المشرك فيخفف به عنه العذاب ولا يخرج من النار أبداً.

. الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٧

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه

والبيهقي في البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذكر عنده الدجال فقال: يفترق ثلاث فرق فرقة تتبعه، وفرقة تلحق بأرض آبائها منابت الشيح، وفرقة تأخذ شط الفرات فيقاتلهم ويقاتلونه حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام... وما يترك فيها أحداً فيه خير، فإذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غير وجوههم وألوانهم، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقال له من عرف أحداً فيخرجه فيجيَء الرجل فينظر فلا يعرف أحداً فيقول الرجل للرجل يا فلان أنا فلان فيقول ما أعرفك فيقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فيقول إخسؤوا فيها ولا تكلمون، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم بشر.

. مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٩٥

باب الخلود لاَهل النار في النار وأهل الإِيمان في الجنة. عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتي بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا، قال فيقال: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ربنا هذا الموت، فيذبح كما يذبح الكبش، فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء. رواه أبو يعلى والطبراني في الاَوسط بنحوه والبزار ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة.

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فلما قدم عليه قال: يا أيها الناس إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم يخبركم أن المرد إلى الله، وإلى جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن.

. الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥٠

وأخرج البيهقي في البعث والنشور عن ابن عباس في قوله: إلا ما شاء ربك، قال فقد شاء ربك أن يخلد هؤلاء في النار، وأن يخلد هؤلاء في الجنة.

وأخرج أبو الشيخ عن السدي في قوله: فأما الذين شقوا... الآية، قال: فجاء بعد

ذلك من مشيئة الله فنسخها فأنزل الله بالمدينة: إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا.. إلى آخر الآية، فذهب الرجاء لاَهل النار أن يخرجوا منها وأوجب لهم خلود الاَبد. وقوله وأما الذين سعدوا.. الآية قال: فجاء بعد ذلك من مشيئة الله

ما نسخها فأنزل بالمدينة: والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات.. إلى قوله ظلاً ظليلاً، فأوجب لهم خلود الأبد.

. الأحكام في الحلال والحرام ج ١ ص ٣٥

وأن من دخل الجنة أو النار من الأبرار والفجار فإنه غير خارج من أيهما، صار إليها وحل بفعله فيها أبد الأبد، لا ما يقول الجاهلون من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين ومحل المؤمنين، وفي ذلك ما يقول رب العالمين: خالدين فيها أبداً، ويقول عز وجل: يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم. ففي كل ذلك يخبر أن كل من دخل النار فهو مقيم فيها، غير خارج منها من بعد مصيره إليها، فنعوذ بالله من الجهل والعمى.

سبب خلود أهل النار فيها

. الكافي ج ٢ ص ٨٥

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن أحمد بن يونس، عن أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنما خلد أهل النار في النار، لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: قل كل يعمل على شاكلته، قال على نيته. ورواه الصدوق في الهداية ص ١٢ وفي علل الشرائع ج ٢ ص ٥٢٣ والعياشي في تفسيره ج ٢ ص ٣١٦ والبرقي في المحاسن ج ٢ ص ٣٦

آيات الخلود في الجنة والنار

. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. البقرة . ٣٩

. بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. البقرة . ٨١ . ٨٢

. خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون. البقرة . ١٦٢

. ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. البقرة . ٢١٧

. والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. البقرة . ٢٥٧

. الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا، وأحل الله البيع وحرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. البقرة . ٢٧٥

. أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم. آل عمران ٨٧ . ٨٩

. إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. آل عمران . ١١٦

. ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين. النساء . ١٤

. ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما. النساء . ٩٣

. قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله، إن ربك حكيم عليم. الأَنعام . ١٢٨

. والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. الأَعراف . ٣٦

. أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون. التوبة . ١٧

. ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها، ذلك الخزي العظيم. التوبة . ٦٣

. وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها، هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم. التوبة . ٦٨

. والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم، كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. يونس . ٢٧

. ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون. ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين. يونس ٥٢ . ٥٣

. فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها مادامت السماوات والاَرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض إلا ما شاء ربك، عطاء غير مجذوذ. هود ١٠٦ . ١٠٨

. أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاَغلال في أعناقهم، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. الرعد . ٥

. فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها، فلبئس مثوى المتكبرين. النحل . ٢٩

. من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا، خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا. طه ١٠٠ . ١٠١

. إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون. الاَنبياء ٩٨ . ٩٩

. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون، ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون. المؤمنون . ١٠٣ . ١٠٥

. وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون. السجدة . ١٤

. خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيرا. الاَحزاب . ٦٥

. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين. الزمر . ٧٢

. ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين. غافر . ٧٦

. ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون. فصلت ٢٨ .

. إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون، لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين، ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك، قال إنكم ماكثون. الزخرف . ٧٤ . ٧٧

. ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم، كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم. محمد . ١٥

. لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. المجادلة . ١٧

. فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها، وذلك جزاء الظالمين. الحشر . ١٧

. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير. التغابن . ١٠

. ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا. الجن . ٢٣

. إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم شر البرية. البينة . ٦

. إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود، وما نؤخره إلا لاَجل معدود، يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد، فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السماوات والاَرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والاَرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ. هود ١٠٣ . ١٠٨

. ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب، إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاَسباب، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار. البقرة ١٦٥ . ١٦٧

. إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم، يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم. المائدة ٣٦ . ٣٧

عدم خلود الموحدين في النار في مصادرنا

تقدم رأي أهل البيت عليهم السلام في شمول الشفاعة للمسلمين بشروط، وأوردنا فيه حديث ابن أبي عمير عن الإمام الكاظم عليه السلام من توحيد الصدوق ص ٤٠٧ وفيه (لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود والضلال والشرك...) انتهى. ورواه المجلسي في بحار الاَنوار ج ٨ ص ٣٥١ ووصف الشيخ الاَنصاري في مكاسبه ص ٣٣٥ روايته بأنها حسنة.

. بحار الاَنوار ج ٨ ص ٣٦١

عيون أخبار الرضا: فيما كتب الرضا عليه السلام للمأمون من محض الإسلام: إن الله لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة، ولا يخرج من النار كافراً وقد أوعده النار والخلود فيها، ومذنبو أهل التوحيد يدخلون النار ويخرجون منها، والشفاعة جائزة لهم.

. بحار الأَنوار ج ٨ ص ٣٦٦

قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد: أجمع المسلمون كافة على أن عذاب الكافر مؤبد لا ينقطع، واختلفوا في أصحاب الكبائر من المسلمين، فالوعيدية على أنه كذلك، وذهبت الإمامية وطائفة كثيرة من المعتزلة والأَشاعرة إلى أن عذابه منقطع، والحق أن عقابهم منقطع لوجهين:

الأَول:

أنه يستحق الثواب بإيمانه لقوله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، والإيمان أعظم أفعال الخير، فإذا استحق العقاب بالمعصية فإما يقدم الثواب على العقاب وهو باطل بالإجماع، لأَن الثواب المستحق بالإيمان دائم على ما تقدم، أو بالعكس وهو المراد، والجمع محال.

الثاني:

يلزم أن يكون من عبَد الله تعالى مدة عمره بأنواع القربات إليه، ثم عصى في آخر عمره معصية واحدة مع بقاء إيمانه، مخلداً في النار، كمن أشرك بالله مدة عمره ! وذلك محال لقبحه عند العقلاء.

. الكافي للحلبي ص ٤٨١

إن قيل: فإذا كان الوعيد ثابتاً بكل معصية ومن جملته صريح الخلود والتأبيد، كيف يتم لكم ما تذهبون اليه من انقطاع عقاب بعض العصاة ؟.

قيل: ثبوت الوعيد على كل معصية لا ينافي قولنا في عصاة أهل القبلة، لأَنا نقول بموجبه، وإنما نمنع من دوامه لغير الكفار، وثبوته منقطعاً يجوز سقوطه بأحد ما ذكرناه، ولا يمنع منه إجماع ولا ظاهر قرآن، من حيث كان الإجماع حاصلاً باستحقاق العقاب دون دوامه... وإنما يعلم به دوام عقاب الكفر.

. الكافي للحلبي ص ٤٩٢

وأهل النار من الأَولين والآخرين ضربان: كفار مخلدون وإن زاد عقاب بعض على بعض بحسب كفره، وفساق مقطوع على خروجهم من النار بعفو مبتدأ، أو عند شفاعة، أو انتهاء عقابهم إلى غاية مستحقه، وحالهم في مراتب التعذيب بحسب عصيانهم. ولا يجوز أن يبلغ عقابهم في العظم عقاب الكفار، لاقتران ما استحقوا به العقاب من المعصية بالمعرفة بالمعصي تعالى والخوف منه والرجاء لفضله، وتسويف التوبة، وانتفاء ذلك أجمع عن عصيان الكفار. ولا سبيل إلى العلم بمقدار إقامتهم فيها.

عدم خلود الموحدين في النار في مصادر السنيين

. صحيح البخاري ج ١ ص ١٩٥

عن أبي هريرة: أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا لا، يا رسول الله. قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا، قال: فإنكم ترونه كذلك. يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت. وتبقى هذه الأَمة فيها منافقوها فيأتيهم الله

عز وجل فيقول أنا ربكم ! فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا! فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل... ورواه البخاري أيضاً في ج ٧ ص ٢٠٥

. صحيح البخاري ج ١ ص ١٦

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يخرج من النار من قال: لا إلَه إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إلَه الا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إلَه إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير، قال: أبو عبد الله قال: أبان، حدثنا قتادة، حدثنا أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: من إيمان، مكان خير.

. صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٢

عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير ! قلت: ما الثعارير ؟ قال الضغابيس ! وكان قد سقط فمه فقلت لعمرو بن دينار: أبا محمد سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج بالشفاعة من النار ؟ قال: نعم.

حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين...

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، أو قال حمية السيل، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية.

. وفي ص ٢٠٣

عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين.

. سنن النسائي ج ٢ ص ٢٢٩

عن الزهري، عن عطاء بن يزيد قال: كنت جالساً إلى أبي هريرة وأبي سعيد فحدث أحدهما حديث الشفاعة والآخر منصت، قال: فتأتي الملائكة فتشفع وتشفع الرسل، وذكر الصراط، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأكون أول من يجيز، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه، وأخرج من النار من يريد أن يخرج أمر الله الملائكة والرسل

أن تشفع، فيعرفون بعلاماتهم أن النار تأكل كل شيء من ابن آدم إلا موضع السجود، فيصب عليهم من ماء الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل.

. الدر المنثور ج ٣ ص ٣٤٩

أما قوله فمنهم شقي وسعيد، فهم قوم من أهل الكبائر من أهل هذه القبلة يعذبهم الله بالنار ما شاء بذنوبهم، ثم يأذن في الشفاعة لهم، فيشفع لهم المؤمنون فيخرجهم من النار فيدخلهم الجنة، فسماهم أشقياء حين عذبهم في النار. فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والاَرض إلا ما شاء ربك، حين أذن في الشفاعة لهم وأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، وهم هم. وأما

الذين سعدوا يعني بعد الشقاء الذي كانوا فيه، ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والاَرض إلا ما شاء ربك، يعني الذين كانوا في النار.

. الدر المنثور ج ٢ ص ٢٨٠

قوله تعالى (إن الذين كفروا لو أن لهم) الآيتين: أخرج مسلم وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة، قال يزيد بن الفقير: فقلت لجابر بن عبد الله: يقول الله يريودن أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ؟ قال: أتل أول الآية: إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الاَرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة، ألا إنهم الذين كفروا.

وأخرج البخاري في الاَدب المفرد وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن طلق بن حبيب قال: كنت من أشد الناس تكذيباً للشفاعة، حتى لقيت جابر بن عبدالله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار، قال: يا طلق أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ؟ ! إن الذين قرأت هم أهلها هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً ثم خرجوا منها، ثم أهوى بيده إلى أذنيه فقال: صمَّتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرجون من النار بعد ما دخلوا، ونحن نقرأ كما قرأت.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة أن نافع بن الاَزرق قال لابن عباس: وما هم بخارجين منها ؟ فقال ابن عباس: ويحك إقرأ ما فوقها، هذه للكفار.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: إن الله إذا فرغ من القضاء بين خلقه أخرج كتاباً من تحت عرشه فيه: رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين، قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة، أو قال مثلي أهل الجنة، مكتوب هاهنا منهم، وأشار إلى نحره عتقاء الله تعالى.

فقال رجل لعكرمة: يا أبا عبدالله فإن الله يقول: يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ؟ قال: ويلك أولئك هم أهلها الذين هم أهلها.

. الدر المنثور ج ٢ ص ١١١

ابن جرير والحاكم عن عمرو بن دينار قال: قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت إليه أنا وعطاء فقلت: وما هم بخارجين من النار ؟ قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم الكفار، قلت لجابر فقوله: إنك من تدخل النار فقد أخزيته؟ قال وما أخزاه حين أحرقه بالنار ؟ ! وإن دون ذلك خزياً.

. الدر المنثور ج ٤ ص ٩٣

وأخرج ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أصحاب الكبائر من موحدي الاَمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد... الخ. وقد تقدم ذلك في روايات الرأي الثاني القائل بأن التوحيد وحده كافٍ لدخول الجنة، وأن الموحدين كلهم يخرجون من جهنم ويدخلون الجنة، ويسمون الجهنميين، ويلاحظ كثرة روايات الجهنميين في مصادر السنيين.

. الإمام الصادق للشيخ محمد أبي زهرة ص ٢٢٧

اتفقت الإمامية على أن من عذب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة لم يخلد في العذاب... وإن هذا الرأي... يتفق مع رأي الجمهور... وقد نسبه إليه (الإمام جعفر الصادق عليه السلام) أبو جعفر القمي...

. شرح مسلم للنووي ج ١ ص ٦٩

لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، وهذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة.

* *

روايات في الصحاح تقول بخلود الموحدين في النار

ولكن توجد في مصادر السنيين أحاديث تعارض الإِجماع المذكور والأَحاديث المتقدمة، وتنص على خلود بعض الأَصناف من أهل القبلة في جهنم!

. كالذي رواه النسائي في ج ٤ ص ٦٦

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى خالداً مخلداً فيها أبداً. ومن تحسَّى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً. ومن قتل نفسه بحديدة. .. كانت حديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً. ورواه أحمد في ج ٢ ص ٢٥٤ وبعضه أبو داود في ج ٢ ص ٢٢٢

. وكالذي رواه الدارمي في ج ٢ ص ٢٦٦

عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة. فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ! قال: وإن قضيبا من أراك!!

. والذي رواه ابن ماجة في ج ٢ ص ١٥٧

عن أبي شريح الخزاعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أصيب بدم أو خبل (والخبل الجرح) فهو بالخيار بين إحدى ثلاث، فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه: أن يقتل، أو يعفو، أو يأخذ الدية. فمن فعل شيئاً من ذلك فعاد، فإن له نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً. انتهى.

. والذي رواه الطبراني في المعجم الكبير ج ١٢ ص ٨

عن ابن عباس: ومن يقتل مؤمناً متعمداً قال: ليس لقاتل توبة ما نسختها آية!

. وقال النيسابوري في الوسيط ج ٢ ص ٩٦: وقوله: فجزاؤه جهنم خالداً فيها.. إلى آخر الآية، وعيدٌ شديدٌ لمن قتل مؤمناً متعمداً حرم الله قتله وحظر سفك دمه، وقد

وردت في قتل المؤمن أخبار شداد، فإن ابن عباس سأله رجل فقال: رجل قتل مؤمناً متعمداً ؟ فقال ابن عباس: جزاؤه جهنم خالداً فيها، قال: فإن تاب وآمن وعمل صالحاً ؟ فقال ابن عباس: وأَنَّى له التوبة، وقد سمعت نبيكم يقول: ويحٌ له قاتل المؤمن...

عن القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيداً: هل لمن قتل مؤمناً توبة ؟ فقال لا... وعن حميد عن أنس عن النبي قال: إن الله أبى أن يجعل لقاتل المؤمن توبة... وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله: والذي نفسي بيده لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا...

ومذهب أهل السنة: أن قاتل المؤمن عمداً له توبة، عن عطاء عن ابن عباس أن رجلاً سأله: ألقاتل المؤمن توبة ؟ فقلت لك توبة، لكي لا يلقي بيده إلى التهلكة. انتهى.

ولكن هذه الرواية التي استندوا عليها عن ابن عباس تؤكد عدم قبول توبته، ولا تدل عليها ! فلا بد لهم من طرح روايات خلود قاتل المسلم في النار وأكثالها، والقول بأن رواياته تشديدٌ من الرواة لتخويف القاتل في مجتمع كان يستسهل القتل!

. وقد حاول النووي تأويلها فقال في شرح مسلم ج ٩ جزء ١٧ ص ٨٣

وأما قوله تعالى: ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها، فالصواب في معناها أن جزاؤه جهنم، وقد يجازى به وقد يجازى بغيره، وقد لا يجازى بل يعفى عنه، فإن قتل عمداً مستحلاً له بغير حق ولا تأويل فهو كافر مرتد، يخلد به في جهنم بالإِجماع... ثم أخبر أنه لا يخلد من مات موحداً فيها، فلا يخلد هذا ولكن قد يعفى عنه فلا يدخل النار أصلاً... انتهى.

وقد تضمنت محاولة النووي عدة وجوه ضعيفة، أقواها: القول بأن القاتل عمداً يخرج بقتله عن التوحيد فيجري عليه حكم المشرك في الآخرة.

ونحن نعتقد بصحة الأَحاديث التي تقول إن بعض الأَعمال توجب سلب التوحيد

من صاحبها قبل الموت، فلا يموت على التوحيد كما سيأتي، ولكنه ذلك يحتاج في موردنا إلى دليل.

ما دل من مصادرنا على أن الدار الآخرة لا موت فيها

. بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٤٩

الكافي: علي، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وساق الحديث في مراتب خلق الأشياء يغلب كل واحد منها الآخر حيث بغى وفخر، إلى أن قال: ثم إن الإنسان طغى وقال: من أشد مني قوة ؟ فخلق الله له الموت وقهره وذل الإنسان، ثم إن الموت فخر في نفسه، فقال الله عز وجل لا تفخر فإني ذابحك بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار، ثم لا أحييك أبداً فترجى أو تخاف.. الحديث.

تذنيب:

إعلم أن خلود أهل الجنة في الجنة مما أجمع عليه المسلمون، وكذا خلود الكفار في النار ودوام تعذيبهم، قال شارح المقاصد: أجمع المسلمون على خلود أهل الجنة في الجنة وخلود الكفار في النار.

فإن قيل: القوى الجسمانية متناهية، فلا يعقل خلود الحياة، وأيضاً الرطوبة التي هي مادة الحياة تفنى بالحرارة سيما حرارة نار جهنم، فيفضي إلى الفناء ضرورة، وأيضاً دوام الإحراق مع بقاء الحياة خروج عن قضية العقل!

قلنا: هذه قواعد فلسفة غير مسلمة عند المليين، ولا صحيحة عند القائلين بإسناد الحوادث إلى القادر المختار، على تقدير تناهي القوى وزوال الحياة، لجواز أن يخلق الله البدل فيدوم الثواب والعقاب، قال الله تعالى: كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب.

. تفسير القمي ج ٢ ص ٥٠

وقال علي بن إبراهيم في قوله: وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة

وهم لا يؤمنون، فإنه حدثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولاد الحناط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سئل عن قوله: وأنذرهم يوم الحسرة ؟ قال: ينادي مناد من عند الله، وذلك بعد ما صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار: يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور ؟ فيقولون لا، فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادون جميعاً: أشرفوا وانظروا إلى الموت

فيشرفون، ثم يأمر الله به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت أبداً، ويا أهل النار خلود فلا موت أبداً. وهو قوله: وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأَمر وهم في غفلة. أي قضي على أهل الجنة بالخلود، وعلى أهل النار بالخلود فيها.

ما دل من مصادر السنيين على أن الدار الآخرة لا موت فيها

. صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٠

عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم. ورواه أحمد في ج ٢ ص ١١٨ وص ١٢٠ وص ١٢١

. وفي مسند أحمد ج ٢ ص ١٣٠

عن: عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يدخل أهل الجنة الجنة، قال أبي وحدثناه سعد قال: يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار، لا موت، كل خالد فيما هو فيه. ورواه الترمذي في ج ٤ ص ٩٥

. وفي الدر المنثور ج ٤ ص ٢٧٢

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأَمر، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأتي الموت

في صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار، ثم ينادي منادي أهل الجنة: هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا، ولا يبقى أحد في عليين ولا في أسفل درجة من الجنة إلا نظر إليه، ثم ينادي يا أهل النار هذا الموت الذي كان يميت الذي في الدنيا، فلا يبقى أحد في ضحضاح من النار ولا في أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه، ثم يذبح بين الجنة والنار، ثم ينادي يا أهل الجنة هو الخلود أبد الآبدين، ويا أهل النار هو الخلود أبد الآبدين، فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتاً من فرحة ماتوا، ويشهق أهل النار

شهقة لو كان أحد ميتاً من شهقة ماتوا، فذلك قوله: وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأَمر، يقول إذا ذبح الموت.

. وقال الرازي في تفسيره ج ١٣ جزء ٢٦ ص ١٣٩

إن أهل الجنة لا يعلمون في أول دخولهم في الجنة أنهم لا يموتون، فإذا جيَ بالموت على صورة كبش أملح وذبح، فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون.

. وقال في الأَحاديث القدسية ج ١ ص ١٦٠

شرح حديث ذبح الموت وأنه يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط.. الخ.

وإنه لا مانع عقلاً من أن يخلق الله تعالى الموت على صوررة حيوان ويوقف ويذبح...

ونحن نؤمن بما ثبت عن رسول الله، ولا نبحث عن كيفية تحقيقه.انتهى.

* *

عودة إلى رأي عمر بفناء النار

في هذا الجو من آيات الخلود في النار وإجماع المسلمين على خلود الجنة والنار .. نرى الخليفة عمر من دون الصحابة يخالف المتفق عليه بين الجميع ويقول بفناء النار وانتهائها، ونقل أهلها الى الجنة!!

وقد أخذ الخليفة ذلك من بعض أحبار اليهود الذين كان يثق بعلمهم، لأَن من مقولاتهم أن الله تعالى وعد يعقوب بأن لا يدخل أبناءه الى النار إلا تحلة القسم، وأن

النار أساساً عمرها قصير ثم تنتهي وتهلك!!

وقد تقدم عنهم ذلك في تفسير قوله تعالى (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) في فصل الشفاعة عند اليهود!!

ونظراً لغرابة هذا الرأي حاول البعض التشكيك في نسبته إلى الخليفة عمر، ولكنه ثابت عنه عند المحدثين والمؤرخين والمتكلمين كما تقدم ويأتي ! وأكثر أتباع الخليفة لا يعرفون رأيه هذا، فبعضهم ينكره.. وبعضهم (يستحي) به.. ولكن بعضهم تجرأ وكتب رداً عليه!

. قال في مقدمة فتح القدير ج ١ ص ٩:

للشوكاني مؤلفات، منها كتاب نيل الأَوطار شرح منتقى الأَخبار... وكشف الأَستار في إبطال القول بفناء النار. انتهى.

وأكثر المتحمسين لتأييد رأي عمر ابن قيم الجوزية في رسالته حادي الأَرواح تبعاً لأَستاذه ابن تيمية. ومن المتأخرين الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار ج ٨ ص ٦٨

حيث أورد في كتابه رسالة ابن قيم كاملة، وهي تبلغ نحو خمسين صفحة، ولم يأت صاحب المنار بجديد سوى المدح والغلو في ابن قيم.. لأَنه مفكر إسلامي نابغة استطاع أن يحل المشكلة ويثبت رأي الخليفة بخمس وعشرين دليلاً!

وتدور رسالة ابن قيم على محور واحد هو أن النار تفنى كما يخرب السجن، فلا يبقى محل لأَهلها إلا أن ينقلوا الى الجنة، وهو كلامٌ لم يقله عمر!!

قال ابن قيم وهو يعدد الأَقوال في الخلود في جهنم:

السابع:

قول من يقول بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه، ثم تفنى ويزول عذابها.

قال شيخ الإِسلام (ابن تيمية): وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم، وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث في

تفسيره المشهور: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن، قال قال عمر: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه.

وقال: حدثنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج، لكان لهم يوم يخرجون فيه.

ذكر ذلك في تفسير ثابت عند قوله تعالى (لابثين فيها أحقاباً) فقد رواه عبد وهو من الأَئمة الحفاظ، وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال، وكلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به، وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الإِسناد جلالة، والحسن وإن لم يسمع من عمر فإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال قال عمر بن الخطاب، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداولُ هؤلاء الأَئمة له غير مقابلين له بالإِنكار والرد، مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأَئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأَئمة، لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوابذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه، ولفظ أهل النار لا يختص (يقصد لا يطلق) بالموحدين بل يختص بمن عداهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (أما أهل النار الذين هم أهلها فهم لا يموتون فيها ولا يحيون) ولا يناقض هذا قوله تعالى (خالدين فيها) وقوله (وما هم منها بمخرجين) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه. لكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا، لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب). انتهى.

وقد استدل ابن قيم على رأي الخليفة عمر بخمس وعشرين وجهاً ! لا نطيل

الكلام بسردها وردها، لأنها ماعدا واحد منها وجوه خطابية استحسانية، وليست علمية، ويكفي في جوابها جميعاً أنها لا تنهض بمعارضة الآيات والأَحاديث المتقدمة الدالة على خلود بعض الفجار في النار، ولا على معارضة الإِجماع الذي تقدم من الفريقين!

أما الوجه الذي يحسن التعرض له فهو قول ابن القيم:

فصل. والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها:

اعتقاد الإِجماع، فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين، لا يختلفون فيه، وأن الإِختلاف فيه حادث، وهو من أقوال أهل البدع.

الطريق الثاني:

أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتر عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً، وأنهم خالدون فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراماً أي مقيماً لازماً.. قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث:

أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإِيمان.

الطريق الرابع:

أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس:

أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تفنيان بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

الطريق السادس:

أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار. وهذا مبني على قاعدة وهي أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أو لا يعلم إلا بالسمع فيه طريقتان لنظار المسلمين، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن في غير موضع كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوي بين الأَبرار والفجار في المحيا والممات، وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثا وأنهم إليه لا يرجعون وأنه يتركهم سدى أي لا يثيبهم ولا يعاقبهم، وذلك يقدح في حكمته وكماله وأنه نسبة إلى ما لا يليق به. وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، بل بدا لهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون) فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا، وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به السمع.انتهى.

ثم قال ابن قيم:

قال أصحاب الفناء على هذه الطرق يبين الصواب في هذه المسألة:

فأما الطريق الاول فالإجماع الذي ادعيتموه غير معلوم وإنما يظن الإِجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع بها قديماً وحديثاً، بل لو كلف مدعي الإِجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال إن النار لا تفنى أبداً لم يجد إلى ذلك سبيلاً، ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك، فما وجدنا عن

واحد منهم خلاف ذلك، بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا قالوا، والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه، ولم يوجد واحد

منها في هذه المسألة:

النوع الأول

ما يكون معلوماً من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة.

الثاني

ما ينقل عن أهل الإجتهاد التصريح بحكمه.

الثالث

أن يقول بعضهم القول وينشر في الأمة ولا ينكره أحد. فأين معكم واحد من هذه الأنواع، ولو أن قائلاً ادعى الإجماع من هذه الطريق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه، لكان أسعد بالإجماع منكم!

قالوا:

وأما الطريق الثاني وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها، فأين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك، نعم الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدون في النار أبداً، وأنهم غير خارجين منها، وأنه لا يفتر عنهم من عذابها، وأنهم لا يموتون فيها، وأن عذابهم فيها مقيم، وأنه غرام أي لازم لهم. وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وليس هذا مورد النزاع، وإنما النزاع في أمر آخر (!!) وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء ؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها، ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة. وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود (! !) والإتحادية وبعض أهل البدع، وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها، فالفرق كالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قالوا: وأما الطريق الثالث وهو مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك، فهي حق لا شك فيه، وهي إنما تدل على ما قلناه من خروج

الموحدين منها وهي دار عذاب لم تفن، ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية. والنصوص دلت على هذا وعلى هذا.

قالوا:

وأما الطريق الرابع وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفنا على ذلك ضرورة، فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية، هذا معلوم من دينه بالضرورة، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك !! انتهى.

وقد ذكر في ٧٩: قول أهل السنة (إن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية) وأجاب عليه بقوله (فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم وآرائهم واختلافهم...) انتهى.

ونلاحظ أن ابن قيم اعترف بأن الذين نفوا خلود النار هم اليهود والإِتحادية من الوثنيين والماديين، ثم قام بتغيير موضوع النزاع في المسألة، لكي يوفق بين إجماع المسلمين على الخلود في النار وبين قول عمر بفنائها، وعمدة ماقاله: إنه لا مانع أن نقول خالدين فيها إذا لم تخرب، كما نقول مؤبدٌ في السجن مادام السجن موجوداً ولم يخرب. يريد بذلك أن أهل النار إنما ينقلون الى الجنة بسبب خرابها!

ولو سلمنا هذا المنطق في المسألة، فأين دليله على خراب السجن أو جهنم ؟!

يكفي لرد ذلك أنه لو كان له أصلٌ في الإِسلام لكثرت فيه الآيات والاَحاديث!

ولو كان له أصلٌ لاحتج به الخليفة، وذكر ولو كلمةً عن فناء النار، وما اقتصر على رمل عالج!!

إن فذلكات ابن قيم وأمثاله لا يمكنها أن تقاوم ما تقدم من الآيات والاَحاديث والإِجماع، ولا أن تقلب معاني ألفاظ اللغة فتلغي معنى الدوام والتأبيد والخلود وتجعلها كلها لزمنٍ محدودٍ ينتهي.

وقد اغتر بهذه الفذلكة بعضهم وقال: ليس في اللغة العربية كلمة للوقت الممتد

بلا انقطاع ! وخير جواب لهؤلاء أن نسألهم: إذا أردتم التعبير بالعربية عن هذا المعنى فبماذا تعبرون ؟ فلابد أنهم سيستعملون ألفاظاً من مادة الدوام والتأبيد والخلود.. وهي المواد التي استعملها القرآن والحديث!!

الجهمية أخذت من الخليفة عمر

. قال الأَشعري في مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٤٨

واختلفت المرجئة في تخليد الله الكفار... فقالت الفرقة الأَولى منهم وهم أصحاب جهم بن صفوان: الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلهما... وأنه لا يجوز أن يخلد الله أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار!!

وفي ج ١ ص ٢٧٩

والذي تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان!

. تأويلات أهل السنة ج ١ ص ٧٥ . ٧٦

الرد على الجهمية فى قولهم بفناء الجنة وما فيها، وقوله وهم فيها خالدون أي مقيمون أبداً، فالآية ترد على الجهمية قولهم لأَنهم يقولون بفناء الجنة... لكن ذلك وهمٌ عندنا، لأَن الله تعالى هو الأَول بذاته.. والباقي بذاته، والجنة وما فيها باقية بغيرها. إن الله تعالى جعل الجنة داراً مطهرة عن المعايب كلها.. ولو كان آخرها للفناء لكان فيها أعظم المعايب إذ المرء لا يهنأ بعيش إذا نقص عليه بزواله. فلو كان آخره للزوال كانت نعمته منغصه على أهلها...

. تأويلات أهل السنة ج ١ ص ١٢١

الرد على الجهمية في قولهم بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيهما: والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، تنقض على الجهمية قولهم... فلو كانت الجنة تفنى وينقطع ما فيها لكان فيها خوف وحزنٌ لأَن من خاف في الدنيا زوال النعمة عنه وفوتها يحزن عليه.. فأخبر عز وجل أن لا خوف عليهم فيها، خوف

التبعة ولا حزن فوات النعمة، ولا هم يحزنون، دل على أنها باقية وأن نعيمها دائم لا يزول، وكذلك أخبر عز وجل أن الكفار في النار خالدون.

والمرجئة أخذوا من عمر

. تاريخ الإسلام للذهبي ج ١٣ ص ١٦٠

وكان أبو المطيع فيما نقل الخطيب من رؤوس المرجئة.. وذكروا عنه أنه كان يقول: الجنة والنار خلقتا وستفنيان، وهذا كلام جهم.

وابن العاص أخذ من عمر

. فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٦٥٨

عن ابن عمرو قال: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد. ثم قال صاحب الكشاف: ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علياً ما يشغله عن تسيير هذا الحديث ! انتهى.

ويقصد الزمخشري أن عبد الله بن عمرو بن العاص راوي هذا الحديث لا يوثق به، لاَنه كان مبغضاً لعلي عليه السلام وقد قاتله في صفين بسيفين، وكان الاَولى به أن يكتفي بفعلته تلك ولا ينقل مثل هذه الاَحاديث الخارجة عن إجماع المسلمين!

قال في هامش اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ١٥٧: وقال في الكشاف: وماظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عبد الله بن عمرو بن العاص: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون أحقابا. وبلغني أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار، وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبهاً على أن نغفل عنه. ولئن صح هذا عن ابن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير، فذلك خلق جهنم وصفق أبوابها، وأقول: أما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث. انتهى قول الكشاف.

ورووا عن ابن مسعود أنه وافق عمر

. الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥١

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: ما في القرآن آية أرجى لاَهل النار من هذه الآية: خالدين فيها ما دامت السموات والاَرض إلا ما شاء ربك قال وقال ابن مسعود: ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها.

. وفي تفسير التبيان ج ٦ ص ٦٨ وروي عن ابن مسعود أنه قال: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد أن يلبثوا فيها أحقاباً.

والشعبي أخذ من عمر

. تفسير التبيان ج ٦ ص ٦٨

وقال الشعبي: جهنم أسرع الدارين عمراناً، وأسرعهما خراباً.

ويلاحظ على رواياتهم عن ابن العاص وابن مسعود والشعبي أن جهنم تبقى ولكن تفرغ وينقل أهلها الى الجنة ! وهذا هو موضوع كلام عمر، لا ماادعاه ابن قيم!

والمعتزلة أخذت من عمر

. الملل والنحل للشهرستاني . هامش الفصل ج ١ ص ٦٤

الخامسة: قوله (أبو الهذيل) إن حركات أهل الخلدين تنقطع، وإنهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً، وتجتمع اللذات في ذلك السكون لاَهل الجنة، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لاَهل النار.

والجاحظ أخذ من عمر

. الملل والنحل . هامش الفصل ج ١ جزء ١ ص ٩٥

أقوال الجاحظ التي انفرد بها عن أصحابه.. منها: قوله في أهل النار إنهم لا يخلدون فيها عذاباً، بل يصيرون إلى طبيعة النار.

وابن عربي والجيلي أخذاً من عمر

قال في تفسير المنار ج ٨ ص ٧٠

ويدخل فيه أنها تفنى كما تقول الجهمية، أو تتحول إلى نعيم كما قال الشيخ محيي الدين بن العربي وعبد الكريم الجيلي من الصوفية.

أما عمر فقد أخذ من كعب الاَحبار واليهود

. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٨٠

وقالوا: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون.

قال ابن إسحاق: وحدثني مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب!!

فأنزل الله في ذلك من قولهم: وقالوا لن تمسنا النار إلا أيام معدودة، قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون. بلى كسب سيئة وأحاطت به خطيئته، أي من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عند الله من حسنة، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، أي خلداً أبداً. والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون. أي من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً، ولا انقطاع له.

. الدر المنثور ج ١ ص ٨٤

قوله تعالى: وقالوا لن تمسنا النار الآية. أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر

وابن أبي حاتم والطبراني والواحدي عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة...الخ. ورواه في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣١٤

. تفسير التبيان ج ١ ص ٣٢٣

قالوا لن تمسنا النار ولن ندخلها إلا أياماً معدودة، وإنما لم يبين عددها في التنزيل، لأنه تعالى أخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الأيام التي يوقتونها في النار، فلذلك نزل تسمية عدد الأيام وسماها معدودة لما وصفنا.

وقال أبو العالية وعكرمة والسدي وقتادة: هي أربعون يوماً. ورواه الضحاك عن ابن عباس. ومنهم قال: إنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل.

وقال ابن عباس: إن اليهود تزعم أنهم وجدوا في التوراة مكتوباً إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم واحد، فإذا انقطع المسير انقطع العذاب، وهلكت النار!!

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٦

وأخرج ابن مردويه عن عبد الرحمن بن ميمون أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر: حدثني إلى ما تنتهي شفاعة محمد يوم القيامة ؟ فقال كعب قد أخبرك الله في القرآن إن الله يقول: ما سلككم في سقر... إلى قوله اليقين قال كعب: فيشفع يومئذ حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط، ويطعم مسكيناً قط، ومن لم يؤمن ببعث قط، فإذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خير ! انتهى.

وقد ذكرنا أن كلام كعب هذا يحتل وجهين لاَن قوله: حتى يبلغ، وقوله فإذا بلغت، قد يقصد بهما أن الشفاعة تبلغ هؤلاء المكذبين بيوم الدين الذين لم يفعلوا خيراً قط ! فلا يبقى أحد في النار وتنتهي. وقد يقصد بهما أن الشفاعة تقف عند هؤلاء فيكون كلامه توسيعاً لها لكل المؤمنين بالبعث من غير المسلمين!

ولايبعد أن يكون هدف كعب القول بدخول الجميع الجنة وفناء النار، لاَن ذلك من

مقولات اليهود كما رأيت ! ويكون قصده أن سؤال أهل اليمين للمجرمين: ماسلككم في سقر ؟ إنما هو مقدمةٌ لإِخراجهم من النار.. وبشفاعة نبينا صلى الله عليه وآله!!

* *

وقد يتصور البعض أن من المبالغة أو التهمة للخليفة عمر بأنه أخذ هذه العقيدة من كعب الاَحبار، ولكن الذي يقرأ احترام عمر لاَحبار اليهود والنصارى ولكعب الاَحبار خاصة حتى قبل إسلام كعب.. لا يستبعد ذلك بل يطمئن اليه، ويحسن مراجعة ما كتبناه في ذلك موثقاً في كتاب تدوين القرآن، وأن الخليفة عمر كان يدرس عند اليهود في المدينة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وأن النبي نهاه عن عن ذلك ولم يمتثل ! ونذكر هنا بعض النصوص التي تكشف ثقته العالية بكعب، والمقام العظيم الذي يحتله كعب في ذهنه وعواطفه!

عمر ينظر إلى كعب كأنه نبي ويتلقى منه

يلاحظ الباحث تعاملاً فريداً للخليفة عمر مع كعب الاَحبار، وأنه كان يحترمه أكثر من كل صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ويفضله عليهم علمياً وسياسياً، ويسأله عن عوالم الغيب والشهادة والاَنبياء والجنة والنار وتفسير القرآن، وعن مستقبل الاَمة ومستقبله الشخصي ويثق به ثقةً مطلقة ويقبل منه.. شبيهاً بتعامل الصحابي المؤمن مع نبيه الذي ينزل عليه الوحي!

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٣ ص ٦

وأخرج ابن جرير عن أبي المخارق زهير بن سالم قال قال عمر لكعب: ما أول شيَء ابتدأه الله من خلقه ؟ فقال كعب: كتب الله كتاباً لم يكتبه قلم ولا مداد، ولكن كتب بإصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: أنا الله لا إلَه إلا أنا سبقت رحمتي غضبي!!

. وقال أحمد في مسنده ج ١ ص ٤٢

قال عمر يعني لكعب: إني أسألك عن أمر فلا تكتمني، قال: والله لا أكتمك شيئاً أعلمه قال: ما أخوف شيء تخوفه على أمة محمد ؟ قال أئمة مضلين. قال عمر: صدقت قد أسرَّ ذلك اليَّ وأعلمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٣٩ وقال: رجاله ثقات.

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ٥٧

عن الحسن البصري أن عمر قال لكعب: ما عدن ؟ قال: هو قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

. وقال في ج ٥ ص ٣٤٧

عن قتادة قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا كعب ما عدن ؟ قال: قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل.

. وقال في كنز العمال ج ١٢ ص ٥٦٠

عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثني يا كعب عن جنات عدن. قال: نعم يا أمير المؤمنين قصور في الجنة لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل، فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لاَهلها، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله، وأما الحكم العدل فإني أرجو الله أن لا أحكم بشيء إلا لم آل فيه عدلاً، وأما الشهادة فأ نَّى لعمر بالشهادة ؟ ! . ابن المبارك وأبو ذر الهروي في الجامع.

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ٥٧

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن رضي الله عنه أن عمر قال لكعب: ما عدن ؟ قال: هو قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه قال:

قرأ عمر رضي الله عنه على المنبر جنات عدن، فقال: أيها الناس هل تدرون ما جنات عدن ؟ قصر في الجنة له عشرة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد.!!

. وقال في الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٧

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه... في قوله: وأدخلهم جنات عدن قال إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا كعب ما عدن ؟ قال: قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل.

. معجم ما استعجم ج ٢ ص ٧٤

الحثمة: بفتح أوله وإسكان ثانية: صخرات بأسفل مكة بها ربع عمر بن الخطاب. روى عنه مجاهد أنه قرأ على المنبر: جنات عدن فقال: أيها الناس أتدرون ما جنات عدن ؟ قصر في الجنة له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين لا يدخله إلا نبي، وهنيئاً لصاحب القبر وأشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو صديق وهنيئاً لأبي بكر وأشار إلى قبره، أو شهيد وأنى لعمر بالشهادة وإن الذي أخرجني من منزلي بالحثمة قادر أن يسوقها إلي !! انتهى.

وفي هذه الرواية دلالة على أن كعباً استطاع أن يقنع عمر أن مقصوده بالنبي والصديق والشهيد الذين يسكنون عدن: رسول الله صلى الله عليه وآله وأبا بكر وعمر، وأن كعباً كان من المخططين لقتله!

. وقال في الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٦

قوله تعالى: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأَرض الآية. أخرج الثعلبي من طريق العوام بن حوشب قال حدثني رجل من قومي شهد عمر رضي الله عنه أنه سأل طلحة والزبير وكعباً وسلمان: ماالخليفة من الملك ؟ قال طلحة والزبير: ما ندري، فقال سلمان رضي الله عنه: الخليفة الذي يعدل في الرعية، ويقسم بينهم بالسوية، ويشفق عليهم

شفقة الرجل على أهله ويقضي بكتاب الله تعالى. فقال كعب: ما كنت أحسب أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري!

. وفي كنز العمال ج ١٢ ص ٥٦٩

عن طبقات ابن سعد: عن سفيان بن أبي العوجاء قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك ؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم، قال قائل يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً، قال ما هو ؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا في حق، فأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا، فسكت عمر بن سعد.

. وقال في كنز العمال ج ١٢ ص ٥٧٣

عن كعب أن عمر بن الخطاب قال: أنشدك بالله يا كعب أتجدني خليفة أم ملكاً ؟ قال بل خليفة، فاستحلفه فقال كعب: خليفة والله من خير الخلفاء، وزمانك خير زمان . نعيم بن حماد في الفتن.

. الدر المنثور ج ٤ ص ٢٩٣

سأل عمر كعباً عن آيات أول سورة الحديد فقال: معناها إن علمه بالأَول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن ! انتهى.

* *

. كنز العمال ج ٢ ص ٤٨٨

عن عمر قال: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: يوم القيامة فعظم شأنه وشدته، قال: ويقول الرحمن لداود عليه السلام: مرَّ بين يدي، فيقول داود: يا رب أخاف أن تدحضني خطيئتي، فيقول: مرِّ خلفي، فيقول: يا رب أخاف أن تدحضني خطيئتي فيقول: خذ بقدمي ! فيأخذ بقدمه عز وجل فيمر !! قال فتلك الزلفى التي قال الله

تعالى: وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ! ورواه السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٥ عن ابن مردويه.

. الدر المنثور ج ٥ ص ٢٩٧

وأخرج الديلمي عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي لأَحد أن يقول إني أعبد من داود.!!

. الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٥

وأخرج عبد بن حميد، عن السدي بن يحيى، قال حدثني أبو حفص رجل قد أدرك عمر بن الخطاب: إن الناس يصيبهم يوم القيامة عطش وحر شديد فينادي المنادي داود

فيسقى على رؤس العالمين، فهو الذي ذكر الله: وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب !

انتهى.

ومن الواضح أن هذه الروايات عن داود عليه السلام من مقولات اليهود وكعب الأَحبار ولكن الخليفة عمر يقبلها منه، والرواة ينسبونها إلى نبينا صلى الله عليه وآله!!

. كنز العمال ج ١٤ ص ١٤٦

عن سعيد بن المسيب قال: استأذن رجل عمر بن الخطاب في إتيان بيت المقدس فقال له: إذهب فتجهز فإذا تجهزت فأعلمني فلما تجهز جاءه فقال له عمر: إجعلها عمرة !

* *

. مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٧

عن عمر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب أرسل إلى كعب الأَحبار فقال: يا كعب كيف تجد نعتي ؟ قال: أجد نعتك قرن من حديد. قال: وما قرن من حديد ؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم. قال: ثم مه ؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة.

. تاريخ الطبري ج ١ ص ٣٢٣

عن أشعث عن سالم النصرى قال: بينما عمر بن الخطاب يصلي ويهوديان خلفه، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوى، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو ؟ قال فلما انفتل عمر قال: أرأيت قول أحدكما لصاحبه أهو هو ؟ فقالا: إنا نجد في كتابنا قرناً من حديد يعطى ما أعطي حزقيل الذى أحيا الموتى بإذن الله!!

فقال عمر: مانجد في كتابنا حزقيل، ولا أحيا الموتى بإذن الله إلا عيسى بن مريم! فقالا: أما تجد في كتاب الله: ورسلاً لم نقصصهم عليك ؟ فقال عمر: بلى، قالا: وأما إحياء الموتى فسنحدثك إن بني اسرائيل وقع فيهم الوباء، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله فبنوا عليهم حائطاً حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل فقام عليهم فقال: ما شاء الله، فبعثهم الله له فأنزل الله في ذلك: ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. انتهى.

والأخوى: الذي لا يستطيع أن يركع أو يسجد بشكل طبيعي إلا بفتح قدميه ونحوه.. والرواية تدل على اهتمام اليهود بإيمان عمر بثقافتهم، ومحاولتهم التزلف إليه بادعاء أن شخصيته مذكورة في كتبهم، وأنه نبي يحيي الموتى مثل حزقيل!

. تاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ١١٠

لما قدم عمر رضي الله عنه من مكة في آخر حجة حجها أتاه كعب فقال: يا أمير المؤمنين إعهد فإنك ميت في عامك ! قال عمر رضي الله عنه وما يدريك يا كعب ؟ قال: وجدته في كتاب الله ! فقال: أنشدك الله يا كعب هل وجدتني باسمي ونسبي عمر بن الخطاب ؟ قال: اللهم لا، ولكني وجدت صفتك وسيرتك وعملك وزمانك!

. ورواه في ج ٣ ص ٨٨ وزاد فيه: فلما أصبح الغد غدا عليه كعب فقال عمر رضي الله عنه: يا كعب، فقال كعب: بقيت ليلتان، فلما أصبح الغد غدا عليه كعب . قال عبدالعزيز: فأخبرني عاصم بن عمر بن عبيد الله بن عمر قال: قال عمر رضي الله عنه:

يواعدني كعب ثلاثاً يعدُّها * ولا شك أن القول ما قاله كعبُ
وما بي لقاء الموت إني لميتٌ * ولكنما في الذنب يتبعه الذنبُ

فلما طعن عمر رضي الله عنه دخل عليه كعب فقال: ألم أنهك ؟!

قال: بلى، ولكن كان أمر الله قدراً مقدورا !! انتهى.

ولا يتسع المجال للرد على أفكار كعب التي تضمنتها رواياته، وقد أوردنا عدداً منها في سبب نشأة التجسيم في المجلد الثاني.

والواقع أن كعب الاَحبار من أكبر المصائب في مصادر إخواننا السنيين، حيث تجده مقيماً فيها، كامناً في المواقع الحساسة من أصول العقيدة والشريعة ! وهذا أمر يحتاج الى معالجات جريئة من علمائهم!

ولكن لابد من الإلفات هنا الى أن النصوص المتقدمة تدل بما لا يقبل الريب، على أن كعباً كان شريكاً في مؤامرة قتل عمر!

ولكن إخواننا السنيين ما زالوا يبرئون كعباً ويثقون به، كما برَّأَ المسيحيون اليهود من دم المسيح!

كما نشير الى أن كعباً أخطأ في تفسير أول سورة الحديد، لاَنه فسر (هو) بعلمه !!

ولكن الخليفة عمر يقبل منه كل مايقوله، بل يحدث به المسلمين على المنبر!

* *

الفصل الثامن

شفاعات وحرمانات غير معقولة روتها مصادر السنيين

النوع الأَول: شفاعة اثنين لصاحب الجنازة

ليس من السهل أن نعترض على الأَحاديث التي تحكم على نوع من الناس باستحقاق الجنة أو النار.. لأَن الخير والشر في داخل الإِنسان عالمٌ معقد، وما يظهر للعيان لا يجب أن يكون دائماً هو الحقيقة ! فرب عمل صغير نقوم به يكون في حساب الثواب والعقاب الإِلَهي كبيراً، وبالعكس.. ورب ظرف يجعل العمل السيء حسناً وبالعكس!

وبسبب هذه السعة والتعقيد في أعمال الناس وظروفها، لابد أن تكون أنظمة الجزاء عميقة واسعة حتى تستوعبها.

ولكنا مع ذلك نملك يقينيات من العقل والشرع تسمح لنا أحياناً بالحكم بإمكان هذا الجزاء الإِلَهي أو عدم إمكانه.. ومن هذه اليقينيات: لو أن شخصاً قاتلاً ظالماً جامعاً للصفات الشريرة، توفي وحملوا جنازته، فمر بها شخصان مسلمان فقالا:

رحمه الله كان مؤمناً تقياً، لأَنهما جاهلان بحاله أو متعمدان، فإن شهادتهما لا تغير شيئاً من قوانين المجازاة الإِلَهية!

لكن توجد (أحاديث) في مصادر السنيين تقول: إن مجرد شهادة اثنين بالخير لصاحب الجنازة تجعله من أهل الجنة ! كما أن شهادتهما له بالسوء تجعله من أهل النار !!

فكأن الشهادة على الجنازة في منطق هذه الأَحاديث وثيقة شرعية نهائية لا يقرأ الملائكة غيرها، أو ختم نهائي لا يقبل الله تعالى غيره!!

لقد جاءنا هذا المنطق من الثقافة اليهودية، ولكنه مهما كان مصدره، ليس منطقاً إسلامياً ! لأَن معناه السماح للمجرمين بأن يفعلوا ما شاؤوا ويهلكواالحرث والنسل، ثم يوصي أحدهم بأن يشهد على جنازته عشرة شهود كذباً وزوراً فيدخل الجنة!

والأَخطر من ذلك أن الإِنسان المؤمن الطيب الأَمين المستقيم مهما عمل من خير في حياته فإن عمله يتبخر بمجرد أن يرسل خصومه اثنين يشهدان على جنازته بأنه كان سيئاً، فيدخلانه النار!

ولو كانت هذه المقولة توجد في مصادرهم من الدرجة الثانية لكان الأَمر أسهل، ولكنها توجد في مصادر الدرجة الأولى مع الأَسف، وعن لسان أقدس الشخصيات عندهم بعد النبي صلى الله عليه وآله الأَمر الذي يتطلب من فقهائهم جرأةً في معالجتها:

. روى البخاري في صحيحه ج ٢ ص ١٠٠

عن أنس بن مالك قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت ؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأَرض.

ورواه في ج ٣ ص ١٤٨ وفيه (قال شهادة القوم المؤمنين شهداء الله في الأَرض.(

ورواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص ٥٣ وقد كرر فيه كلمة: وجبت وأنتم شهداء الله

ثلاث مرات.

ورواه النسائي ج ٤ ص ٥٠ ورواه الترمذي ج ٢ ص ٢٦١ وقال (وفي الباب عن عمر وكعب بن عجرة وأبي هريرة. قال أبو عيسى: حديث أنس حديث حسن صحيح.(

ورواه ابن ماجة في ج ١ ص ٤٧٨ وفيه (فقال: شهادة القوم والمؤمنون شهود الله في الأَرض). وفي هامشه (ويوافقه حديث عمر رواه الترمذي والنسائي وإسناد ابن ماجة صحيح ورجاله رجال الصحيحين.(

ورواه أبو داود في ج ٢ ص ٨٦ وفيه (إن بعضكم على بعض شهداء.(

ورواه أحمد في ج٣ ص١٧٩ و ج٢ ص٢٦١ وص٤٩٨ وص٥٢٨ وج٢ ص٤٦٦ وص٤٧٠ وفيه (بعضكم شهداء على بعض) وج٣ ص١٨٦ وكرر فيه وجبت ثلاث مرات مثل مسلم.

وفي رواية أخرى (قال شهادة القوم والمؤمنون شهداء الله في الأَرض) وفي ج٣ ص ١٩٧ وص ٢١١ وص ٢٤٥ وص ٢٨١

ورواه البيهقي في سننه ج٤ ص٧٥ وج ١٠ ص ١٢٣ وص ٢٠٩

* *

. وقال البخاري في صحيحه ج ٢ ص ١٠٠

عن أبي الأَسود قال: قدمت المدينة وقد وقع بها مرض فجلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمرت بهم جنازة فأثنى على صاحبها خيراً فقال عمر رضي الله عنه: وجبت. ثم مر بأخرى فأثنى على صاحبها خيراً، فقال عمر رضي الله عنه: وجبت. ثم مر بالثالثة فأثنى على صاحبها شراً، فقال: وجبت. فقال أبو الأَسود فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين ؟ قال: قلت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة قال: وثلاثة. فقلنا واثنان قال: واثنان. ثم لم نسأله عن الواحد!

. ورواه البخاري أيضاً في ج ٣ ص ١٤٩ والنسائي في ج ٤ ص ٥١ وفيه:

)فقلت وما وجبت يا أمير المؤمنين ؟ قال: قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما مسلم شهد له أربعة قالوا خيراً أدخله الله الجنة. قلنا: أو ثلاثة ؟ قال: أو ثلاثة. قلنا: أو اثنان ؟ قال: أو اثنان.

ورواه الترمذي في ج ٢ ص ٢٦١ وقال (قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وأبو الأَسود الدؤلي اسمه ظالم بن عمر بن سفيان.(

ورواه أحمد في ج ١ ص ٢١ وص ٢٢ وص ٢٧ وص ٣٠ وص ٤٥ وص ٤٦، والبيهقي في سننه ج ١٠ ص ١٢٤

* *

إلى هنا تجد أن هذه المقولة بمقاييس إخواننا السنيين تامة السند والدلالة.. ولكن توجد مؤشرات تفتح باب البحث حولها:

المؤشر الأَول:

أن الإمام أحمد روى أن بعض الذين سمعوا الحديث من الخليفة عمر شككوا فيه لغرابته عن منطق النبي صلى الله عليه وآله وظنوا أنه رأيٌ من عمر لا من قول النبي صلى الله عليه وآله فأكد له عمر أنه النبي هو الذي قال ذلك!

. قال أحمد في ج ١ ص ٥٤

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا وكيع ثنا عمر بن الوليد الشني عن عبد الله بن بريدة قال: جلس عمر رضي الله عنه مجلساً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه، فمر عليه الجنائز، قال فمروا بجنازة فأثنوا خيراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فأثنوا خيراً فقال:

وجبت. ثم مروا بجنازة فقالوا خيراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فقالوا هذا كان أكذب الناس، فقال: إن أكذب الناس أكذبهم على الله، ثم الذين يلونهم من كذب على روحه في جسده، قال قالوا: أرأيت إذا شهد أربعة ؟ قال: وجبت. قالوا: أو ثلاثة ؟ قال: وثلاثة، قال وجبت. قالوا: واثنين ؟ قال: وجبت، ولاَن أكون قلت واحد أحب إلي من حمر النعم. قال فقيل لعمر: هذا شيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: لا، بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم. انتهى.

والرواية تدل على أن الخليفة تفرد بهذه الرواية من دون الصحابة الحاضرين في ذلك المجلس الرسمي الذي كان يجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله وأنهم تعجبوا لاَنهم لم يسمعوا ذلك، وتجرؤوا أن يسألوا عمر رغم سطوته، فأكد لهم أنه سمع ذلك!

المؤشر الثاني:

يشير إلى أن الحادثة قضية شخصية في جنازة أشخاص معينين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وليست قاعدة كلية لكل جنازة..

فقد روى الحاكم في ج ١ ص ٣٧٧: عن أنس قال كنت قاعداً مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمر بجنازة فقال: ما هذه الجنازة ؟ قالوا جنازة فلان الفلاني كان يحب الله ورسوله ويعمل بطاعة الله ويسعى فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجبت وجبت وجبت. ومر بجنازة أخرى قالوا جنازة فلان الفلاني كان يبغض الله ورسوله ويعمل بمعصية الله ويسعى فيها، فقال: وجبت وجبت وجبت. فقالوا يا رسول الله قولك في الجنازة والثناء عليها ؟ أثني على الاَول خير وعلى الآخر شر فقلت فيها وجبت وجبت وجبت ؟ فقال: نعم يا أبا بكر إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ. انتهى.

فلو صح الحديث لكان معناه أن النبي صلى الله عليه وآله شهد، بما عرفه الله تعالى، بأن الملائكة نطقت على ألسنة أولئك المادحين والذامين.. وليس معناه أن الملائكة تنطق دائماً على ألسنة المسلمين.

المؤشر الثالث:

يدل على أن الخصوصية للشاهد أو الشافع في الجنازة.. ففي مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٢٦٨: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنت مع رسول الله صلى الله

عليه وآله في جنازة فينا في بني سلمة وأنا أمشي إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رجل: نعم المرء ما علمنا إن كان لعفيفاً مسلماً إن كان.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الذي تقول ؟ قال يا رسول الله ذاك بدا لنا والله أعلم بالسرائر. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجبت. قال وكنا معه في جنازة رجل من بني حارثة أو من بني عبد الأَشهل، فقال

رجل: بئس المرء ما علمنا إن كان لفظاً غليظاً إن كان.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الذي تقول ؟ قال يا رسول الله الله أعلم بالسرائر فأما الذي بدا لنا منه فذاك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجبت. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً. هذا حديث صحيح الإِسناد ولم يخرجاه، إنما اتفقا على وجبت فقط. انتهى.

فقد أكد النبي صلى الله عليه وآله على شخص القائل الذي لم تسمه الرواية فقال له: أنت الذي تقول ذلك وتشهد بهذه الشهادة لهذا الميت ؟ فقال نعم إني أشهد حسب ظاهر طحاله. فقال النبي إن الجنة قد وجبت له بشهادة ذلك الرجل، أو إن شهادته طابقت الواقع كما أوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله، فيحتمل أن تكون القضية شخصية كما في الرواية السابقة، وإذا وجد الإِحتمال بطل الإِستدلال، ولم يبق يقين بأنها قاعدة عامة.

المؤشر الرابع:

أنه توجد أحاديث معارضة تجعل دعاء مئة مسلم موحد أو أربعين بالشفاعة للميت موجباً للأَمل بأن الله تعالى يشفعهم فيه ويدخله الجنة.. وقد روت الصحاح رواية المئة، ورواية الأَربعين، وفي بعض رواياتها ثلاثة صفوف، وأمة من الناس، ونحوها.. الأَمر الذي يدل على أن وجود كثرة من المسلمين المؤمنين يصلون على جنازة الميت أو يدعون له، أمر مفيد له، وأن الله تعالى قد يستجيب دعاءهم.. ولكن ليس في هذه الاحاديث تلك الحتمية و (الأَتوماتيكية) التي في أحاديث (وجبت وجبت) المتقدمة!

. ففي صحيح مسلم ج ٣ ص ٥٢ عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه. انتهى وفي رواية أخرى: أربعون. ورواه في سنن البيهقي ج ٣ ص ١٨٠ . ١٨١

. وفي سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٧٧

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من صلى عليه مائة من

المسلمين غفر له. في الزوائد: قد جاء عن عائشة في الترمذي والنسائي مثله. وإسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين. انتهى. وما ذكره موجود في سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٤٧ وفي سنن النسائي ج ٤ ص ٧٥ بصيغة مائة وأمة من الناس.(

. وفي فردوس الأَخبار ج ٤ ص ٣٢٩ ح ٦٤٩٦

أنس وعائشة: ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغوا أن يكونوا مائة يشفعون له إلا شفعوا فيه.

. وفي ص ٣٧١ ح ٦٦٠٩: أبو هريرة: ماصف قوم صفوفاً ثلاث على ميت فيستغفرون له إلا شفعوا.

. وروى ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٤٧٧

عن كريب مولى عبدالله بن عباس قال: هلك ابن لعبد الله بن عباس فقال لي: يا كريب قم فانظر هل اجتمع لابني أحد ؟ فقلت نعم. فقال ويحك كم تراهم أربعين ؟ قلت: لا،بل هم أكثر. قال: فاخرجوا بابني فأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من أربعين من مؤمن يشفعون لمؤمن، إلا شفعهم الله.

. وروى ذلك أحمد بشروط أشد قال في ج ١ ص ٢٧٧

عن كريب مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال: يا كريب أنظر ما اجتمع له من الناس ؟ قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته، قال يقول هم أربعون ؟ قال نعم، قال أخرجوه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه. ورواها الديلمي في فردوس الأَخبار ج ٤ ص ٣١٨ ح ٦٤٦٩

المؤشر الخامس:

يشير إلى احتمال اختلاط الحديث بغيره..

. ففي مسند أحمد ج ٣ ص ٣٠٣ عن جابر قال: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن، وجبت له الجنة البتة. قال قيل يا

رسول الله فإن كانت اثنتين ؟ قال: وإن كانت اثنتين. قال فرأى بعض القوم أن لو قالوا له واحدة لقال واحدة. انتهى.

. وفي مسند أحمد ج ٤ ص ٢١٢

عن الحرث بن أفيش قال: كنا عند أبي برزة ليلة فحدث ليلتئذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من مسلمين يموت لهما أربعة أفراط، إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته. قالوا يا رسول الله وثلاثة ؟ قال: وثلاثة. قالوا: واثنان ؟ قال: واثنان. انتهى.

فيحتمل أن يكون الاَمر اشتبه على الخليفة فجعل أجر (وجبت الجنة) لمن ربي ثلاث بنات أو اثنتين . جعله لمن شهد ثلاثة أو اثنان على جنازته، لتشابه العدد فيهما ووحدة التعبير بـ (وجبت(

ولا يرد الإشكال على رواية تربية البنات تربية إسلامية كيف جعلت سبباً قطعياً لدخول الجنة، لاَنها تجعل الجزاء للاَب أو الاَم على عمل يقومان به، بينما رواية الشهادة للجنازة تجعل لصاحبها الجنة مجاناً مهما كان فاجراً بمجرد قول غيره!

كما تجعل له النار مجاناً بمجرد قول غيره، مهما كان صالحاً!!

على أنه يمكن القول إن الله تعالى جعل ثواب تربية ثلاث بنات أو اثنتين الجنة ليعالج مشكلة في مجتمع كانوا يئدون بناتهم، وإذا بشر أحدهم بالاَنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم.. وأن هذا الثواب قد يشمل في عصرنا الاَزواج الذين يئدون أطفالهم بطرق أخرى، خوفاً من الفقر أو طلباً للراحة من الاَطفال.

وفي أحاديث أهل البيت عن الإمام الصادق عليه السلام أن المسلمين قد سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن تربية البنت الواحدة كما تقدم، فقد روى في الكافي ج ٦ ص ٦ عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عالَ ثلاث بنات أو ثلاث أخوات

وجبت له الجنة. فقيل: يا رسول الله واثنتين ؟ فقال: واثنتين. فقيل: يا رسول الله وواحدة ؟ فقال: وواحدة. انتهى.

. وفي مسند أحمد ج ١ ص ٢٢٣

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ولدت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها يعني الذكر، أدخله الله بها الجنة. انتهى.

والنتيجة:

أن هذه المؤشرات تفتح باب البحث للشك في أحاديث (وجبت وجبت) للجنازة، وتضغط عليها لتكون منسجمةً مع اليقينيات العقلية والشرعية غير ناقضة لها.

ومادام الباب مفتوحاً للتخلص من منطقها اليهودي، فلا معنى للتشبث بها بحجة الدفاع عن البخاري وعن الخليفة عمر!!

رأي أهل البيت عليهم السلام في الشهادة للجنازة

لا أثر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام لروايات (وجبت) ولا لمنطقها ! بل نجد الترغيب في الدعاء للميت والشفاعة به إلى الله تعالى، والاَمل بأن يستجيب الله تعالى ويشمل هذا الميت برحمته.. كل ذلك على حسب قوانين الجزاء والشفاعة التي يعلمها عز وجل بأصولها وتفاصيلها وتطبيقاتها، ولا نعرف نحن منها إلا القليل.

. روى الكليني في الكافي ج ٣ ص ١٨٨

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن ثابت أبي المقدام قال: كنت مع أبي جعفر (الباقر) عليه السلام فإذا بجنازة لقوم من جيرته فحضرها وكنت قريباً منه، فسمعته يقول: اللهم إنك أنت خلقت هذه النفوس وأنت تميتها وأنت تحييها، وأنت أعلم بسرائرها وعلانيتها منا ومستقرها ومستودعها. اللهم وهذا عبدك ولا أعلم منه شراً وأنت أعلم به، وقد جئناك شافعين لبعد موته فإن كان مستوجباً فشفعنا فيه واحشره مع من كان يتولاه. انتهى.

ونحوه في الكافي ج ٣ ص ١٨٥، ورواه الشيخ في تهذيب الاَحكام ج ٣ ص ١٩٦ ورواه الحر العاملي في وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٣٧

وينبغي الإلتفات إلى عبارة (فإن كان مستوجباً فشفعنا فيه) فهي تدل على وجود قانون استحقاق الشفاعة وعدم استحقاقها. وعبارة (واحشره مع من كان يتولاه) التي تدل على قانون (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) وهما قانونان مترابطان.

أما منطق (وجبت) فيقول لو كان الميت فاجراً مثل فرعون ومدح كنازته شخصان، لوجب أن يصير من أهل الجنة ويحشر يوم القيامة إلى جنب الاَنبياء عليهم السلام!

. هذا، وقد روى في الكافي رواية صحيحة طريفة تتضمن أضواء مهمة على قانون الشفاعة قال في ج ٣ ص ١٨٧

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن كان مستضعفاً فقل: اللهم اغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، وإذا كنت لا تدري ما حاله فقل: اللهم إن كان يحب الخير وأهله فاغفر له وارحمه وتجاوز عنه، وإن كان المستضعف منك بسبيل فاستغفر له على وجه الشفاعة لا على وجه الولاية. انتهى.

وروى في نفس الصفحة عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: الترحم على جهتين: جهة الولاية وجهة الشفاعة. ورواه في وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٣٧

ففي هذا الرواية منطق دقيق في التعامل مع الميت والشهادة له.. إن كنت لا تدري ما حاله، أو كان مستضعفاً فكرياً لا يعرف الحق من الباطل، أو كان معانداً يعرف الحق وينكره.. أو كان ممن يبغض أهل البيت عليهم السلام وينصب العداوة لهم.. وادع له على نحو الولاية ووحدة الإمام الذي ستدعى أنت وإياه به يوم القيامة، أو على جهة الشفاعة لاَرحامك إن لم يكن عارفاً بحق أهل بيت نبيه.. إلى آخر النقاط المنسجمة مع اليقينيات العقلية والشرعية.

قد يقال: يوجد في روايات أهل البيت عليهم السلام شبيه لرواية (وجبت(

. فقد روى الكليني في الكافي ج ٣ ص ١٧٣ عن أبي علي الاَشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن ميسر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من تبع جنازة مسلم أعطي يوم القيامة أربع شفاعات ولم يقل شيئاً إلا وقال الملك: ولك مثل ذلك. انتهى.

ورواه الصدوق في من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٦١ والشيخ في تهذيب الاَحكام ج ١ ص ٤٥٥ والحر في وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٨٨ وقال: ورواه في المجالس عن محمد بن الحسن عن الصفار عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي بن فضال. ورواه الشيخ بإسناده عن أبي علي الاَشعري مثله. انتهى.

ولكن الفرق كبير بين رواية تعطي حق الشفاعة لشخص على عمل يقوم به، وبين رواية تعطي الجنة أو النار مجاناً بكلمة يقولها شخص أو اثنان بعد موته!!

وقد وجدنا في مصادر إخواننا السنيين رواية شبيهة بما مصادرنا في الدعاء للميت في الصلاة على جنازته رواها أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٥٦ قال: سمعت أبا هريرة ومر عليه مروان فقال: بعض حديثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو حديثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم رجع، فقلنا الآن يقع به قال: كيف سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يصلي على الجنائز ؟ قال سمعته يقول: أنت خلقتها وأنت رزقتها وأنت هديتها للاِسلام، وأنت قبضت روحها تعلم وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر لها. انتهى.

* *

النوع الثاني: شفاعة النبي للظالمين من الاَمة

قال الله تعالى: والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير. ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه

ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير. جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير. وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور. الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب. فاطر . ٣١ . ٣٥

اتفق الجميع على أن موضوع الآية: الذين اصطفاهم الله تعالى وأورثهم الكتاب بعد النبي صلى الله عليه وآله بقرينة أن السياق قبلها عن الكتاب الموحى إلى نبينا صلى الله عليه وآله.

واتفقوا على أن الاَقسام الثلاثة للذين اصطفاهم هم من أهل الجنة بدليل السياق حيث انتقل الكلام بعد المصطفين إلى الكافرين.

والذي يتصل بموضوعنا من ذلك تعيين هؤلاء المصطفين ورثة الكتاب الاِلَهي.. فقد ذهب السنيون إلى أنهم جميع المسلمين، وأنهم جميعاً في الجنة إما بالاِستحقاق أو بالشفاعة.

ومذهبنا أن هؤلاء المصطفين ورثة الكتاب هم ذرية النبي صلى الله عليه وآله من ابنته فاطمة عليها السلام وأن السابقين بالخيرات منهم هم الاَئمة المعصومون عليهم السلام والمقتصدين أتباعهم، والظالمين لاَنفسهم مخالفوهم.. وفيما يلي تفصيل هذه الآراء:

قال كعب الاَحبار هم جميع المسلمين وهم في الجنة

الظاهر أن أقدم القائلين بهذا الرأي كعب الاَحبار وأنه اعتمد على استنتاجه الشخصي وليس على رواية عن النبي صلى الله عليه وآله فقد قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص٢٥٢: وأخرج عبد بن حميد عن صالح أبي الخليل قال قال كعب: يلومني أحبار بني اسرائيل أني دخلت في أمة فرقهم الله ثم جمعهم ثم أدخلهم الجنة ! ثم تلا هذه الآية: ثم

أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، حتى بلغ جنات عدن يدخلونها قال قال: فأدخلهم الله الجنة جميعاً.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عبد الله بن

الحارث أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا.. الآية، قال: نجوا كلهم. ثم قال: تحاكت مناكبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

. وفي تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٨٨، عن كعب:

إن الظالم لنفسه من هذه الاَمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة، ألم تر أن الله قال: ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا...الخ. وروى أيضاً بعض ما تقدم في الدر المنثور.

وقال الخولاني إنه قرأ ذلك في كتب اليهود

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢

وأخرج عبد بن حميد عن أبي مسلم الخولاني قال: قرأت في كتاب الله أن هذه الاَمة تصنف يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف منهم يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبهم الله حساباً يسيراً ويدخلون الجنة، وصنف يوقفون ويؤخذ منهم ما شاء الله، ثم يدركهم عفو الله وتجاوزه.

عائشة وعثمان يوافقان كعباً على تفسيره

. روى الحاكم أن عائشة وافقت كعباً على تفسيره قال في المستدرك ج ٢ ص ٤٢٦

عقبة بن صهبان الحراني قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين أرأيت قول الله عز وجل: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: أما السبَّاق فمن مضى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فشهد له بالحياة والرزق. وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بأعمالهم حتى يلحق بهم. وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك ومن اتبعنا، وكل في الجنة !! صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انتهى. ورواه في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩٦. وقال عنه السيوطي في الدر المنثور ج ٥

ص٢٥١: وأخرج الطيالسي وعبد ابن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الأَوسط والحاكم وابن مردويه عن عقبة بن صهبان قلت لعائشة...الخ.

. وروى السيوطي في الدر المنثور أن الخليفة عثمان أيضاً وافق كعباً على تفسيره قال في ج ٥ ص ٢٥٢:

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان أنه نزع بهذه الآية قال: إن سابقنا أهل جهاد، ألا وإن مقتصدنا ناج أهل حضرنا، ألا وإن ظالمنا أهل بدونا. انتهى. ورواه في كنز العمال ج ٢ ص ٤٨٥

وواضح من الروايتين أن عائشة وعثمان اعتمدا على كعب الأَحبار، أو على فهمهما للآيات، ولم يذكرا رواية عن النبي صلى الله عليه وآله.

الحسن البصري يرد تفسير كعب الأَحبار

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي عن كعب الأَحبار أنه تلا هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، إلى قوله لغوب، قال: دخلوها ورب الكعبة. وفي لفظ قال: كلهم في الجنة، ألا ترى على أثره والذين كفروا لهم نار جهنم، فهؤلاء أهل النار. فذكر ذلك للحسن فقال: أبت ذلك عليهم الواقعة !. وأخرج عبد بن حميد عن كعب في قوله: جنات عدن يدخلونها قال: دخلوها ورب الكعبة، فأخبر الحسن بذلك فقال: أبت والله ذلك عليهم الواقعة. انتهى.

ويقصد الحسن البصري بذلك أن التقسيم الثلاثي للناس الذي ورد في سورة الواقعة يردُّ تفسير كعب وهو قوله تعالى: وكنتم أزواجاً ثلاثة. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة. والسابقون السابقون. أولئك المقربون. الواقعة ٧ . ١١

وكلام البصري قوي لأَن الخطاب عنده في الآية للمسلمين، ولو كان المقصود

بالمصطفيْن الذين أورثهم الله الكتاب كل المسلمين لكانوا جميعاً من أهل الجنة، ولما بقي معنى لتقسيمات القرآن لهم في سورة الواقعة إلى أصحاب يمين وشمال وسابقين. فهذا التقسيم يدل على أن من المسلمين من يدخل النار.

وإن ناقشنا في استدلال الحسن البصري، فتدل على رأيه الأَحاديث والأَدلة المتقدمة في الرد على مذاهب توسيع الشفاعة!

الخليفة عمر يميل إلى تفسير كعب

. روى السيوطي في الدر المنثور عن الخليفة عمر أنه خالف تفسير كعب الأَحبار، وأن رأيه كان كما قال الحسن البصري.. قال في ج ٥ ص ٢٥٢:

وأخرج ابن مردويه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فمنهم ظالم لنفسه قال: الكافر. انتهى.

ويحتمل أن تكون هذه الرواية تفسيراً للآية ٣٢ من سورة لقمان وهي قوله تعالى: وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور. ولكنها على أي حال تنطبق على موضوعنا لأَنها تفسر معنى (الظالم لنفسه.(

ولكن من البعيد أن تصح هذه الرواية، لأَنه ورد عن عمر أنه كان يردد تفسير كعب، إلا أن نقول إنه كان يفسرها بذلك قبل أن يسمع تفسيرها من كعب!

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية قال: ألا إن سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له. انتهى. (والشوكاني في فتح القدير ج ٤ ص ٤٤١، ورواه في كنز العمال ج ٢ ص ٤٨٥

وقال في هامشه: نزع بهذه الآية... ومنه الحديث: لقد نزعت بمثل ما في التوراة،

أي: جئت بما يشبهها اهـ. قلت: فكأن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يأتي برأيه بما يشبه ظاهر الآية، ولا عجب فقد نزلت آيات توافق رأيه. انتهى.

غير أن معنى نزع بالآية: شرع فيها فقرأها أو فسرها، لا أنه أتى بشبيهها، كما زعم مهمش كنز العمال، وأين الشبيه الذي أتى به عمر!

وغرضنا هنا تفسير عمر للآية بأن الظالم مغفور له، وهو مؤشرٌ على أنه قبل تفسير كعب بأن المقصود بالآية كل المسلمين.

وتوجد رواية نقلها السيوطي قد يفهم منها أن عمر روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله

. قال في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢:

وأخرج العقيلي وابن هلال وابن مردويه والبيهقي من وجه آخر عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، وقرأ عمر: فمنهم ظالم لنفسه الآية. انتهى.

وروى السيوطي نحوها عن أنس، ورواها في كنز العمال ج ٢ ص ١٠ وفي ص ٤٨٥ عن عمر وأضاف إلى رواتها: الديلمي في الفردوس والبيهقي في البعث والنشور. انتهى.

ولكن عمر لم يصرح فيها بأن النبي صلى الله عليه وآله كان يقصد كل الاَمة، فقد يكون صلى الله عليه وآله قصد بقوله: سابقنا ومقتصدنا وظالمنا، ذريته وأهل بيته الذين أورثهم الله الكتاب كما أورثه آل ابراهيم وآل عمران، من نوع قوله صلى الله عليه وآله: المهدي منا، بنا فتح الله وبنا يختم، وشهيدنا خير الشهداء..الخ. وهو في كلامه كثير صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا الاِحتمال يبطل الاِستدلال بأن المقصود بورثة الكتاب كل الاَمة، لاَنه يحتمل أن يكونوا بعضها.. خاصة بعد أن نصت أن بعض الاَحاديث على أنهم بعض الاَمة وليس كلها:

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥١:

وأخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: فمنهم ظالم لنفسه

ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلهم من هذه الاَمة، وكلهم في الجنة. انتهى. ونقله في كنز العمال ج ٢ ص ٤٨٦

ويؤيد ذلك ما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩٦ عن أسامة بن زيد قال: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد، الآية، قال النبي صلى الله عليه وسلم: كلهم من هذه الاَمة. رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ. انتهى.

وتعبير كلهم من الاَمة يدل على أنهم ليسوا كل الاَمة، ويكون هذا الحديث من ابن أبي ليلى السيء الحفظ على حد تعبير الهيثمي معقولاً أكثر من كلام غيره!

* *

إلى هنا يبدو أنه لا مشكلة في تفسير ورثة الكتاب ببعض الاَمة وهم ذرية النبي صلى الله عليه وآله.. وأن هؤلاء الذرية كلهم مقبولون بشرط أن لا يدعوا الناس إلى أنفسهم كما سيأتي، وأن الذين يمثلون خط جدهم هم السابقون منهم صلى الله عليه وعليهم.

لكن تبقى مجموعة روايات في مصادر السنيين تؤكد على تفسير كعب وتنسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله ! لكنها تصطدم بسورة الواقعة على حد قول الحسن البصري، كما تصطدم بحكم العقل والاَدلة المتقدمة التي لا تسمح بالقول إن كل مسلم في الجنة!!

وأول سؤال عن هذه الروايات: أين كانت عندما فسر كعب وعائشة وعثمان وعمر آيات ورثة الكتاب الإلَهي، وكانت موضوعاً مهما يطرحه كعب الاَحبار مع اليهود، ويطرحه الخليفة عمر في مجلسه أو على منبر الجمعة ؟!

إن عدم احتجاج أحد بها، يوجب الشك في سندها، أو القول بأن النبي صلى الله عليه وآله كان يتحدث عن اصطفاء الله تعالى لذريته من أولاد فاطمة وورثة خطه في الاَمة عليهم السلام وقال كلهم من هذه الاَمة، فرواها الراوي (كل هذه الاَمة) ويوجد لذلك نظائر ! فكم من ميزة للعترة الطاهرة جعلت بسبب بساطة الرواة، لكل الاَمة!

ومما يؤيد ذلك وجود روايات مترددة في جعل هؤلاء المصطفين مجموع الاَمة..

. كالذي رواه أحمد ج ٣ ص ٧٨: عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة !ورواه الترمذي في ج ٥ ص ٤١ وقال (هذا حديث غريب حسن) ورواه في الدر المنثور ج ٥ ص٢٥١ عن الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري... انتهى.

. وقريب منه ما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٧٨ والطبراني كما في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢ عن ابن عباس، وكذا شهادة البراء بن عازب التي نقلها الهيثمي عن سعيد بن منصور، والبيهقي في البعث وجاء فيها (أشهد على الله أنه يدخلهم الجنة جميعاً.(

فكل هذه الروايات تنص على أنهم من أهل الجنة، وأنهم من هذه الاَمة لا كلها..
الاَمر الذي يوجب الشك في تعبير أنهم: كل الاَمة!

هذا، وقد ارتكب الحاكم خطأً في ميله إلى تصحيح حديث نسبوه إلى أبي الدرداء في تفسير الآية يقول إن الظالمين من المسلمين يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة بالشفاعة!

. قال في المستدرك ج ٢ ص ٤٢٦:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في قوله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، قال: السابق والمقتصد يدخلان الجنة بغير حساب، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة.
ثم قال الحاكم: وقد اختلفت الروايات عن الاَعمش في إسناد هذا الحديث فروي عن الثوري، عن الاَعمش، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقيل عن شعبة، عن

الاَعمش، عن رجل من ثقيف، عن أبي الدرداء. وقيل، عن الثوري أيضاً، عن الاَعمش قال: ذكر أبو ثابت، عن أبي الدرداء. وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلاً. انتهى.

وحسب ماذكره السيوطي فقد ارتكب البيهقي نفس الخطأ أيضاً قال في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥١: وأخرج الفريابي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن أبي الدرداء... ثم قال السيوطي: قال البيهقي: إن كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلاً.

والخطأ هو تطبيق قاعدة أن (كثرة الروايات في إسناد حديث تدل على أن له أصلاً) على هذا الحديث الذي نسب بثلاث نسب إلى أبي الدرداء كلها بلفظ قيل، وإحداها عن رجل من ثقيف عن أبي الدرداء، أو رجل لم يسم ! فهذا ليست كثرة إسناد، بل كثرة تردد في الإسناد وعدم قطع به، وكثرة الإحتمالات من هذا النوع ككثرة أسماء السنور لا تزيد في قيمته!

وقد كان الهيثمي أدق من الحاكم عندما علق صحة الحديث على احتمال أن يكون الرجل المجهول ابن عمير فقال في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩٦: رواه الطبراني عن

الأَعمش عن رجل سماه، فإن كان هو ثابت بن عمير الأَنصاري كما تقدم عند أحمد فرجال الطبراني رجال الصحيح. انتهى.

وقصده بما تقدم ماذكره في نفس المجلد ص ٩٥ حيث قال (رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، وهي هذه إن كان علي بن عبد الله الأَزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي) انتهى.

فأين كثرة الأَسانيد إلى أبي الدرداء ! بل أين السند الواحد القطعي!

وأخيراً، نلاحظ في بعض روايات تفسير الآية بكل الأَمة ضعفاً لا يتفق مع بلاغة الحديث النبوي وقوة منطقه، كحديث عوف بن مالك الذي سيأتي في نظرية الفداء المزعومة من النار.

قال أهل البيت عليهم السلام لا يمكن أن تشمل الآية كل الأَمة

. الإعتقادات للصدوق ص ٨٧

وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، قال: الظالم لنفسه هنا من لم يعرف حق الإمام، والمقتصد من عرف حقه، والسابق بالخيرات بإذن الله هو الإمام.

وسأل إسماعيل أباه الصادق عليه السلام قال: ما حال المذنبين منا ؟ فقال عليه السلام: ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا.

. الإحتجاج ج ٢ ص ١٣٨

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ؟ قال: أي شيء تقول ؟ قلت: إني أقول إنها خاصة لولد فاطمة. فقال عليه السلام: أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم فليس بداخل في الآية، قلت: من يدخل فيها ؟ قال: الظالم لنفسه الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد منا أهل البيت هو العارف حق الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام.

. بصائر الدرجات ص ٤٤

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن ميسر، عن سورة بن كليب، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا.. الآية، قال: السابق بالخيرات الإِمام فهي في ولد علي وفاطمة عليهم السلام.

. شرح الاَخبار ج ٢ ص ٥٠٥

حماد بن عيسى بإسناده، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه سئل عن قول

الله عز وجل: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات. قال: فينا أنزلت أورث الله عز وجل الكتاب الاَئمة منا، وقوله: فمنهم ظالم لنفسه يعني منهم من لا يعرف إمام زمانه ولا يأتم به فهو ظالم لنفسه بذلك، وقوله: ومنهم مقتصد، يعني من هو منهم في النسب ممن عرف إمام زمانه وائتم به واتبعه فاقتصد سبيل ربه بذلك، والسابق بالخيرات هو الإِمام منا.

. شرح الاَخبار ج ٣ ص ٤٧٢

الرازي قال: قال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: ما يقول من قبلكم في هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها...؟ قال قلت يقولون: نزلت في أهل القبلة. قال: كلهم ؟ ! قلت كلهم. قال فينبغي أن يكونوا قد غفر لهم كلهم ؟ ! قلت: يابن رسول الله فيمن نزلت ؟ قال: فينا. قلت: فما لشيعتكم ؟ قال: لمن اتقى وأصلح منهم الجنة، بنا يغفر الله ذنوبهم، وبنا يقضي ديونهم، ونحن باب حطتهم كحطة بني إسرائيل.

. الثاقب في المناقب ص ٥٦٦

وعنه قال: كنت عند أبي محمد عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ؟ فقال عليه السلام: كلهم من آل محمد عليهم السلام الظالم لنفسه الذي لا يقر بالإِمام، والمقتصد العارف بالإِمام والسابق بالخيرات بإذن الله: الإِمام.

. البحار ج ٢٣ ص ٢١٨

روى السيد ابن طاووس في كتاب سعد السعود من تفسير محمد بن العباس بن مروان قال: حدثنا علي بن عبدالله بن أسد، عن إبراهيم بن محمد، عن عثمان بن سعيد، عن إسحاق بن يزيد الفراء، عن غالب الهمداني، عن أبي إسحاق السبيعي قال: خرجت حاجاً فلقيت محمد بن علي فسألته عن هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب..

الآية ؟ فقال: ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق ؟ يعني أهل الكوفة، قال: قلت يقولون إنها لهم، قال: فما يخوفهم إذا كانوا من أهل الجنة ؟ ! قلت: فما تقول أنت جعلت فداك ؟ فقال: هي لنا خاصة يا أبا إسحاق، أما السابق بالخيرات فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين والشهيد منا أهل البيت، وأما المقتصد فصائم بالنهار وقائم بالليل، وأما الظالم لنفسه ففيه ما جاء في التائبين وهو مغفور له.

يا أبا إسحاق بنا يفك الله عيوبكم، وبنا يحل الله رباق الذل من أعناقكم، وبنا يغفر الله ذنوبكم، وبنا يفتح الله وبنا يختم لا بكم، ونحن كهفكم كأصحاب الكهف، ونحن سفينتكم كسفينة نوح، ونحن باب حطتكم كباب حطة بني إسرائيل.

. وقال ابن شعبة الحراني في تحف العقول ص ٤٢٥

لما حضر علي بن موسى عليهما السلام مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان. فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا.. الآية ؟

فقالت العلماء: أراد الله الاَمة كلها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن ؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة عليهم السلام.

فقال المأمون: وكيف عنى العترة دون الاَمة ؟

فقال الرضا لنفسه: ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير. ثم جعلهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم. ثم قال الرضا عليه السلام: هم الذين وصفهم الله في كتابه فقال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وهم الذين قال

رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، يا أيها الناس لا تعلموهم

فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الآل أو غير الآل ؟

فقال الرضا عليه السلام: هم الآل.

فقالت العلماء: فهذا رسول الله يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض (!!) الذي لا يمكن دفعه: آل محمد أمته!

فقال الرضا عليه السلام: أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمد ؟

قالوا: نعم.

قال عليه السلام: فتحرم على الاَمة ؟

قالوا: لا.

قال عليه السلام: هذا فرق بين الآل وبين الاَمة، ويحكم أين يذهب بكم أصرفتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون، أما علمتم أنما وقعت الرواية في الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم!

قالوا: من أين قلت يا أبا الحسن ؟

قال عليه السلام: من قول الله: لقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون، فصارت وراثة النبوة والكتاب في المهتدين دون الفاسقين. أما علمتم أن نوحاً سأل ربه فقال: رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، وذلك أن الله وعده أن ينجيه وأهله، فقال له ربه تبارك وتعالى: إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين.

فقال المأمون: فهل فضل الله العترة على سائر الناس ؟

فقال الرضا عليه السلام: إن الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابهُ.

قال المأمون: أين ذلك من كتاب الله ؟

قال الرضا عليه السلام: في قوله تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران

على العالمين ذرية بعضها من بعض، وقال الله في موضع آخر: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً، ثم رد المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الاَمر منكم يعني الذين أورثهم الكتاب والحكمة وحسدوا عليهما بقوله: أم يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً، يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين، والملك هاهنا الطاعة لهم.

قالت العلماء: هل فسر الله تعالى الإِصطفاء في الكتاب ؟

فقال الرضا عليه السلام: فسر الإِصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موضعاً. فأول ذلك قول الله: وأنذر عشيرتك الاَقربين، وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فهذه واحدة.

والآية الثانية في الإِصطفاء قول الله: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وهذا الفضل الذي لا يجحده معاند، لاَنه فضل بين.

والآية الثالثة، حين ميز الله الطاهرين من خلقه أمر نبيه في آية الإِبتهال فقال: قل يا محمد تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، فأبرز النبي صلى الله عليه وآله علياً والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرون ما معنى قوله: وأنفسنا وأنفسكم ؟

قالت العلماء: عنى به نفسه.

قال أبو الحسن عليه السلام: غلطتم، إنما عنى به علياً عليه السلام، ومما يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله حين قال: لينتهين بنو وليعة أو لاَبعثن إليهم رجلاً كنفسي، يعني علياً عليه السلام. فهذه خصوصية لا يتقدمها أحد، وفضل لا يختلف فيه بشر، وشرف لا يسبقه إليه خلق، إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه، فهذه الثالثة.

وأما الرابعة: فإخراجه الناس من مسجده ما خلا العترة، حين تكلم الناس في

ذلك وتكلم العباس فقال: يارسول الله تركت علياً وأخرجتنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله تركه وأخرجكم. وفي هذا بيان قوله لعلي عليه السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى.

قالت العلماء: فأين هذا من القرآن ؟

قال أبوالحسن عليه السلام: أوجدكم في ذلك قرآناً أقرؤه عليكم.

قالوا: هات.

قال عليه السلام: قول الله عز وجل: وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة، ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضاً منزلة علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ومع هذا دليل ظاهر في قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله

فقالت العلماء: هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معشر أهل بيت رسول الله!

قال أبو الحسن عليه السلام: ومن ينكر لنا ذلك ؟ ! ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها، ففيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والإِصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند، ولله عز وجل الحمد على ذلك. فهذه الرابعة.

وأما الخامسة، فقول الله عزوجل: وآت ذا القربى حقه، خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها، واصطفاهم على الاَمة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أدعوا لي فاطمة فدعوها له فقال: يا فاطمة، قالت: لبيك يا رسول الله، فقال: إن فدكاً لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصة دون المسلمين. وقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذيها لك ولولدك، فهذه الخامسة.

وأما السادسة: فقول الله عز وجل: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى فهذه خصوصية للنبي صلى الله عليه وآله دون الاَنبياء، وخصوصية للآل دون غيرهم. وذلك أن الله

حكى عن الاَنبياء في ذكر نوح عليه السلام: يا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون، وحكى عن هود عليه السلام قال: لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون، وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى.

ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون إلى ضلالة أبداً... إلى آخر الحديث.

ورواه في بشارة المصطفى ص ٢٢٨ وفي بحار الاَنوار ج ٢٥ ص ٢٢٠

* *

النوع الثالث: نظرية فداء المسلمين باليهود والنصارى!

. روى مسلم في ج ٨ ص ١٠٤

عن أبي موسى الأَشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار !! ورواه ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٣٤ عن أنس وزاد في أوله (إن هذه الأَمة مرحومة عذابها بأيديها) وقال في هامشه: في الزوائد: له شاهد في صحيح مسلم من حديث أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه. وقد أعلَّه البخاري.

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥١

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمتي ثلاثة أثلاث، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكسفون، ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إلَه إلا الله وحده فيقول الله: أدخلوهم الجنة بقولهم لا إلَه إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب، وهي التي قال الله:

وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وتصديقاً في التي ذكر الملائكة قال الله تعالى: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فجعلهم ثلاثة أنواع فمنهم ظالم لنفسه، فهذا الذي يكسف ويمحص، ومنهم مقتصد وهو الذي يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم سابق بالخيرات فهو الذي يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب بإذن الله، يدخلونها جميعاً لم يفرق بينهم، يحلون فيها من أساور من ذهب إلى قوله لغوب. انتهى. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩٥ وقال: رواه الطبراني وفيه سلامة بن رونج وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات.

. وقال النبهاني في جامع الثناء على الله ص ٤١

روى الإمام أحمد، عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجمع الله الأَمم في صعيد واحد يوم القيامة، فإذا بدأ الله يصدع بين خلقه مثَّل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونه حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم ؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون ؟ فنقول: ننتظر ربنا ! فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فنقول: نعم، فيقول كيف تعرفونه ولم تعرفوه ؟ فنقول: نعم، إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكاً !! فيقول: أبشروا يا معشر الاسلام فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهودياً أو نصرانياً مكانه !! انتهى

وما ذكره النبهاني رواه أحمد في ج ٤ ص ٤٠٧ و ٤٠٨ ورواه أيضاً في ج ٤ ص ٣٩١ وص٣٩٨ وص ٤٠٢ وص ٤١٠ بروايات متعددة، وفي كنز العمال ج ١ ص ٧٣ وص ٨٦ وج١٢ ص ١٥٩ وص ١٧٠ . ١٧٢ وج ٤ ص ١٤٩ عن مصادر متعددة.

وما تدعيه هذه الروايات من رفع جرائم أحد ووضعها على ظهر أحد لا علاقة له بجرمه.. أمرٌ لا يقبله دينٌ ولا عقل، ويرده قوله تعالى (لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى.(

أما الذين قال الله تعالى إنهم يحملون أثقالاً مع أثقالهم، فإنهم الُمضِلُّون الذين يحملون من أثقال الذين أضلوهم، لأنهم شركاء في كفرهم ومعاصيهم، ثم لا ينقص

من أثقال الضالين شيء، لا أن جرائمهم تسقط كما تدعي هذه الرواية!!

والظاهر أن هذه المقولات ردةُ فعلٍ من بعض المسلمين على زعم اليهود بأنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة ثم يخلفهم فيها المسلمون، كما تقدم في فصل الشفاعة عند اليهود ! فاخترع لهم أبو موسى الأشعري أو غيره نظرية فداء المسلم من النار بيهودي أو نصراني ! كما يفعل المجرم الشاطر فيفدي نفسه من مشكلة تحصل له في الدنيا بأن يجعلها في رقبة غيره زوراً وبهتاناً! !

النوع الرابع: إسقاط المحرمات عن أهل بدر

. قال البخاري في صحيحه ج ٥ ص ١٠

عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد والزبير وكلنا فارس قال: إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: الكتاب ! فقالت: ما معنا كتاب ! فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ماحملك على ما صنعت ؟ قال حاطب: والله مابي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أردت أن تكون لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال: صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاَضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر ؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم. فدمعت عينا

عمر وقال: الله ورسوله أعلم. انتهى.

ورواه مسلم في صحيحه ج ٧ ص ١٦٨ وقال (وليس في حديث أبي بكر وزهير ذكر الآية وجعلها إسحاق في روايته من تلاوة سفيان(

ورواه أبو داود في سننه ج ١ ص ٥٩٧ وج ٢ ص ٤٠٣ والترمذي ج ٥ ص ٨٣ والحاكم ج ٣ ص ١٣٤ وص ٣٠١ وج ٤ ص ٧٧ والبيهقي في سننه ج ٩ ص ١٤٦ والدارمي في ج ٢ ص ٣١٣ ورواه أحمد في ج ١ ص ٨٠ وص ١٠٥وص ٣٣١ وج ٢ ص ١٠٩ وص ٢٩٥... الخ.

. ورواه البخاري أيضاً في مواضع عديدة أخرى وجدنا منها سبعة: في ج ٤ ص ١٩ وقال بعده (قال سفيان وأي إسناد هذا !) وفي ج ٤ ص ٣٩ وفي ج ٥ ص ٨٩ وفي ج ٦ ص ٦٠ وفيه (قال عمرو ونزلت فيه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي عدوكم. قال لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو) وفي ج ٧ ص ١٣٤ وفي ج ٨ ص ٥٥.

والموضعان الآخران روى البخاري فيهما طعناً على علي عليه السلام قال في ج ٤ ص ٣٨:

عن أبي عبد الرحمن وكان عثمانياً فقال لابن عطية وكان علوياً: إني لأعلم ما الذي جرأ صاحبك على الدماء ! سمعته يقول: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم والزبير فقال إئتوا روضة كذا وتجدون بها امرأة أعطاها حاطب كتاباً... فقال: وما يدريك لعل الله اطلع

على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم ! فهذا الذي جرأه. انتهى.وروى نحوه في ج ٨ ص ٥٤

ومن الواضح أن البخاري أعجبه قول أبي عبد الرحمان العثماني حتى رواه مرتين بدون تعليق!

وجوابه:

أن علياً عليه السلام لم يكن يعتقد بهذه المقولة التي نسبوها الى النبي صلى الله عليه وآله عن أهل بدر.. وأن حروبه الداخلية الثلاثة على تأويل القرآن كانت بعهدٍ معهودٍ اليه من رسول الله صلى الله عليه وآله كما رواه البخاري نفسه وغيره!

بل ثبت عندنا أن كل مواقفه وأعماله كانت بعهد ووصية من النبي صلى الله عليه وآله.

وعلى فرض تسليمنا مايراه البخاري، فالسؤال موجهٌ اليه: مادام الذي جرَّأَ علياً عليه السلام على سفك دماء المسلمين بزعمك، أنه رفع القلم عن أهل بدر، وأن علياً عليه السلام معذورٌ لذلك!

فما هو عذر عدوه معاوية في خروجه على الخليفة الشرعي وقتاله إياه وسفكه لدماء المسلمين ؟

وما عذرك في الدفاع عن معاوية وتوثيقه والرواية عنه ؟

إلا أن يكون البخاري قد عدَّ معاوية بدرياً لاَنه شهدها مع أبيه أبي سفيان في صف المشركين!!

ومن أشرف المواقف السنية في هذا الموضوع موقف الحافظ ابن الجوزي، حيث رد مقولة المغفرة المطلقة لاَهل بدر، وفسرها بأنها مغفرة مامضى من ذنوبهم لا ما سيأتي، ثم رد على رواية البخاري بقوله:

ثم دعنا من معنى الحديث، كيف يحل لمسلم أن يظن في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فعل ما لا يجوز اعتماداً منه على أنه سيغفر له ؟ ! حوشي من هذا، وإنما قاتل بالدليل المضطر له الى القتال، فكان على الحق، ولا يختلف العلماء أن علياً لم يقاتل أحداً إلا والحق مع علي، كيف وقد قال رسول الله (ص): اللهم أدر الحق معه كيفما دار ! فقد غلط أبو عبد الرحمن غلطاً قبيحاً، حمله عليه أنه كان عثمانياً ! انتهى. (الصحيح في السيرة ج ٥ ص ١٤١ عن صيد الخاطر ص ٣٨٥(

* *

وينبغي أن نشير أولاً إلى أن ما رووه من قول النبي صلى الله عليه وآله (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم) معناه القطع بذلك وليس الإحتمال والرجاء.. فعلى هذا تعامل العلماء السنيون مع الحديث، وقد صرح بالقطع واليقين حديث آخر رواه الحاكم وصححه قال في المستدرك ج ٤

ص٧٧: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. هذا حديث صحيح الإِسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ على اليقين (إن الله اطلع عليهم فغفر لهم) إنما أخرجاه على الظن وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر. انتهى.

وروى مفاده في دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ١٥٣ قال: عن جابر بن عبد الله: أن عبداً لحاطب بن بلتعة جاء إلى رسول الله يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ! فقال رسول الله (ص): جُذِبْت، لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية !. انتهى.

ولكن هذه الاَحاديث الصحيحة عندهم بمقاييس الجرح والتعديل وأحكامه، يواجهها حكم العقل وآيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله القطعية المتفق عليها عند الجميع ! إذ لا يمكن لعاقل أن يقبل أن الصحابة من أهل بدر أو كل الصحابة كما تقول روايات أخرى.. مبشرون بالجنة، وأعمالهم مغفورة مهما كانت، وولايتهم فريضة من الله تعالى على المسلمين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله صلى الله عليه وآله ! وأن من لايتولاهم أو ينتقصهم فهو في النار محروم من الشفاعة والجنة ورائحة الجنة، وخارج عن ربقة الإِسلام... إلى آخر الاَحكام التي ذكروها للصحابة، وجعلوها جزء من شريعة الإِسلام المقدسة، بل جزء من عقائده الاَساسية!!

تقول لهم: يا إخواننا إن الصحابة أنفسهم قد سبَّ بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم من بعضهم، وكفَّر بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضا وقتل بعضهم بعضاً ! فمن المحق ومن المبطل ؟ ومن المظلوم ومن الظالم ؟ ومن يستحق الشفاعة منهم ومن يستحق الحرمان ؟

فيقولون: لا تخوضوا في موضوع الصحابة، فكلهم عدول وكلهم في الجنة!

تقول لهم: لقد علَّمنا النبي صلى الله عليه وآله أن نخوض في أمرهم، فقد ثبت في الصحاح أنه صلى الله عليه وآله أخبر بأن بعضهم يدخل النار وأنهم لا يرونه ولا يراهم في الآخرة، وأن

بعضهم يردون عليه الحوض، فيذودهم عنه ويطردهم كما تطرد الاَباعر الغريبة!!
فيقولون: لا تخوضوا في موضوع الصحابة، فكلهم عدول وكلهم في الجنة!
وترجمة كلامهم: أنك يجب عليك في موضوع الصحابة أن تعطل عقلك، وتعطل آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله حتى تحافظ على إيمانك بالصحابة وتتمسك بهم!

ولكن التناقض لا فرق فيه بين صغير وكبير، فإذا قبلنا به لحل مشكلة الصحابة، فلنقبل به لحل مشكلة الاَديان، ولنقل بصحة التثليث والتوحيد، والإيمان والكفر، والوثنية والاِسلام.. ولنحلَّ به مشكلة إبليس ونقول إنه عدو الله وولي الله معاً!!

العقل يقول: إذا تناقض أمران أو شخصان في القول ولم يمكن الجمع بين قوليهما، فلا يمكن أن يكون كلا القولين حقاً، لاَنه تناقض مستحيل.

وإذا تناقضا في الفعل واقتتلا فلا يمكن أن يكون كل منهما على الحق، لاَنه تناقض مستحيل.. ولا معنى للقبول بالتناقض إلا تعطيل العقل والتنازل عن قوانين العلية والبدهيات ! وإذا عطلنا العقل، فلا يبقى إيمان بالله ورسله وكتبه، ولا صحابة ولا مصحوبون!

إن ما ننعاه على اليهود والنصارى بأن عندهم عقائد لا يقبلها العقل، وأنهم يقبلون ما يناقض عقولهم من أجلها.. يجب أن ننعاه على أنفسنا، لاَننا نزعم أن الله تعالى أمرنا بإطاعة صحابة نبينا المتناقضين في أقوالهم وأفعالهم، إلى حد كسر العظم وقطع الرقاب !

ولاَننا نقرأ قول الله تعالى (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل..) ثم ندعي أن الله تعالى قد سلَّمَ أمة نبيه صلى الله عليه وآله من بعده الى صحابة متشاكسين في الفقه والعقائد والسياسة الى حد التناقض والتكفير والحرب!!

. قال المفيد في الإفصاح ص ٤٩

فإن قال: أليس قد روى أصحاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: خير القرون

القرن الذي أنا فيه، ثم الذين يلونه (١.(

وقال عليه السلام: إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (٢). وقال عليه السلام: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم (٣).

فكيف يصح مع هذه الاَحاديث أن يقترف أصحابه السيئات أو يقيموا على الذنوب والكبائر الموبقات ؟!

قيل له:

هذه أحاديث آحاد، وهي مضطربة الطرق والإِسناد، والخلل ظاهر في معانيها والفساد، وما كان بهذه الصورة لم يعارض الإِجماع، ولا يقابل حجج الله تعالى وبيناته الواضحات، مع أنه قد عارضها من الاَخبار التي جاءت بالصحيح من الإِسناد، ورواها الثقات عند أصحاب الآثار، وأطبق على نقلها الفريقان من الشيعة والناصبة على الإِتفاق، ما ضمن خلاف ما انطوت عليه فأبطلها على البيان:

فمنها: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم. فقالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: فمن إذن ؟ ! (٤).

وقال صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه: أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الاَولى (٥).

وقال صلى الله عليه وآله في حجة الوداع لاَصحابه: ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ألا لاَعرفنكم ترتدون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إني قد شهدت وغبتم (٦).

وقال عليه السلام لاَصحابه أيضاً: إنكم محشورون إلى الله تعالى يوم القيامة حفاة عراة، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (٧).

وقال عليه السلام: أيها الناس بينا أنا على الحوض إذ مُرَّ بكم زمراً، فتفرق بكم الطرق فأناديكم: ألا هلموا إلى الطريق، فيناديني مناد من ورائي: إنهم بدلوا بعدك،

فأقول:ألا سحقاً ألا سحقاً (٨).

وقال عليه السلام: ما بال أقوام يقولون: إن رحم رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنفع يوم القيامة ؟ ! بلى والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرطكم

على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل منكم: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، وقال الآخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدي فارتددتم القهقرى (٩).

وقال عليه السلام وقد ذكر عنده الدجال: أنا لفتنة بعضكم أخوف مني لفتنة الدجال (١٠).

وقال عليه السلام: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن يفارقني (١١).

في أحاديث من هذا الجنس يطول شرحها، وأمرها في الكتب عند أصحاب الحديث أشهر من أن يحتاج فيه إلى برهان، على أن كتاب الله عز وجل شاهدٌ بما ذكرناه، ولو لم يأت حديث فيه لكفى في بيان ما وصفناه: قال الله سبحانه وتعالى: وما محمدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزى الله الشاكرين، فأخبر تعالى عن ردتهم بعد نبيه صلى الله عليه وآله على القطع والثبات، وقال جل اسمه: واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب، فأنذرهم الله سبحانه من الفتنة في الدين، وأعلمهم أنها تشملهم على العموم إلا من خرج بعصمة الله من الذنوب.

وقال سبحانه وتعالى: أ.ل.م. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين. أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون. وهذا صريح في الخبر عن فتنتهم بعد النبي صلى الله عليه وآله بالإختبار، وتمييزهم بالأَعمال.

وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه.. إلى آخر الآية، دليل على ما ذكرناه.

وقوله تعالى: أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، يزيد ما شرحناه.

ولو ذهبنا إلى استقصاء ما في هذا الباب من آيات القرآن والأَخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله لانتشر القول فيه، وطال به الكتاب.

وفي قول أنس بن مالك: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فأضاء منها كل شيَ، فلما مات عليه السلام أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وآله الأَيدي ونحن في دفنه حتى أنكرنا قلوبنا. (١٢) شاهد عدل على القوم بما بيناه.

مع أنا نقول لهذا السائل المتعلق بالأَخبار الشواذ المتناقضة ما قدمنا حكايته وأثبتنا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين توهمت أنهم لا يقارفون الذنوب ولا يكتسبون السيئات، هم الذين حصروا عثمان بن عفان وشهدوا عليه بالردة عن الإِسلام وخلعوه عن إمامة الأَنام... إلى آخر كلامه المفيد رحمه الله

وقال في هامشه:

(1)مسند أحمد ٢: ٢٢٨ سنن أبي داود ٤: ٢١٤ | ٤٦٥٧ صحيح مسلم ٤: ١٩٦٢ | ٢١٠ وفيها: خير أمتي القرن..

(2)مسند أحمد ١: ٨٠ و ٢: ٢٩٥ صحيح مسلم ٤: ١٩٤١ | ١٦١ صحيح البخاري ٦: ٣٦٣ | ٣٨٣ سنن الدرامي ٢: ٣١٣

(3)لسان الميزان ٢: ١٣٧ تفسير البحر المحيط ٥: ٥٢٨ أعلام الموقعين ٢: ٢٢٣ كنزالعمال ١: ١٠٠٢/١٩٩ كشف الخفاء ومزيل الأَلباس ١ | ١٣٢. وانظر تلخيص الشافي ٢: ٢٤٦

(4)مسند أحمد ٢: ٥١١ سنن ابن ماجة ٣٩٩٤/٢:٣٢٢ صحيح البخاري ٤: ٣٢٦ |٢٤٩

(5)مسند أحمد ٣: ٤٨٩ مجمع الزوائد ٩: ٢٤ سنن ابن ماجة ٢: ١٣١٠ | ٣٩٦١.

(6)الجامع الصحيح للترمذي ٤: ٤٦١ | ٢١٥٩ و ٤٨٦ | ٢١٩٣ صحيح البخاري ٧ : ١٨٢ و ٨: ١٤/٢٨٥ و ٩: ٩٠|٢٧ صحيح مسلم ٣: ١٣٠٥ | ٢٩ . ٣١ سنن أبي داود ٤ : ٢٢١ | ٤٦٨٦ قطعة منه مسند أحمد ١: ٢٣٠ سنن النسائي ٧: ١٢٧ قطعة منه سنن الدارمي ٢: ٦٩ قطعة منه.

(7)صحيح البخاري ٦: ١٠٨ صحيح مسلم ٤: ٢١٩٤ | ٥٨ الجامع الصحيح للترمذي ٤:

2423 | 615سنن النسائي ٤: ١١٧

(8)مسند أحمد ٦: ٢٩٧.

(9)مسند أحمد ٣: ١٨ و ٦٢ قطعة منه.

(10)كنز العمال ١٤: ٣٢٢ | ٢٨٨١٢

(11)مسند أحمد ٦: ٣٠٧.

(12)الجامع الصحيح للترمذي ٥: ٥٨٨ | ٣٦١٨ مسند أحمد بن حنبل ٣: ٢٢١ | ٢٦٨ سنن ابن ماجة ١: ٥٢٢ | ١٦٣١. انتهى.

* *

النوع الخامس: حرمان من سب الصحابة من الشفاعة

. روى الديلمي في فردوس الأَخبار ج ٢ ص ٤٩٨ ح ٣٣٩٨

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: شفاعتي مباحة إلا لمن سب أصحابي.

. وفي ج ١ ص ٩٨ ح ١٩٦

عن عبد الرحمن بن عوف أيضاً وفيه: فشفاعتي محرمة على من شتم أصحابي.

ورواه أبو نعيم في حلية الأَولياء كما ذكر في كنز العمال ج ١٤ ص ٣٩٨

. وروى الشيرازي في الأَلقاب وابن النجار كما ذكر كنز العمال ج ١٤ ص ٦٣٥:

عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم الرجل أنا لشرار أمتي! فقال له رجل من مزينة: يا رسول الله أنت لشرارهم فكيف لخيارهم ؟ قال: خيار أمتي يدخلون الجنة بأعمالهم، وشرار أمتي ينتظرون شفاعتي. ألا إنها مباحةٌ يوم القيامة لجميع أمتي إلا رجل ينتقص أصحابي ! ونقله كاندهلوي في حياة الصحابة ج ٣ ص ٤٥

ولا نقصد بنقد هذه الروايات الدفاع عن الذين يسبون بعض الصحابة، فالسب والشتم وكل أنواع البذاءة في المنطق لا يمكن لعاقل أن يدافع عنها، بل لا يرتكبها

عاقل في حالة سيطرة عقله على منطقه، فضلاً عن الأَتقياء الأَبرار.

وإنما غرضنا بيان تهافت منطق هذه الأَحاديث في منح الشفاعة والحرمان منها ! فهذا المنطق يقول: يجوز للصحابي أن يحكم بفسق الصحابي الآخر أو كفره، وأن يسبه ويهينه ويضربه ويحبسه ويشهر عليه سيفه ويقتله، أو يكيد به ويقتله بالسم أو بالإِغتيال، ويجوز له أن يستعمل كل أساليب السياسة والمناورة والمخادعة ضده، وأن يجمع حوله الناس بالرشوة والتهديد.. وأن يخرج على إمام زمانه ويسبب انشقاقاً في الأَمة وحروبا يقتل فيها عشرات ألوف المسلمين، وأن يرتكب كل المحرمات.. ولا بأس بذلك كله، لأَنه مغفورٌ له مشمولٌ بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله أو مستحق للجنة بدون شفاعة!!

أما غير الصحابة من المسلمين فلو انتقد صحابياً ولو انتقاداً صغيراً.. فقد شمله مرسوم الحرمان النبوي من الشفاعة وصار مخلداً في النار!!

إنه منطق يستشكل في الحبة ويأكل القبة ! ولا يمكن أن يكون مما أنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله!

بل إن صيغة الحديث (لا تسبوا أصحابي) وأمثاله يصعب تعقل صدورها عن النبي صلى الله عليه وآله لاَن مخاطبيه هم أصحابه، فكيف يقول لهم: لا تسبوا أصحابي أو اقتدوا بأصحابي!

* *

وأخيراً، فإن أحاديث فضل الصحابة ووجوب مودتهم وموالاتهم وحرمة بغضهم وانتقاصهم وانتقادهم.. يصعب فهمها بل لايمكن فهمها إلا بالمقارنة مع الآيات والاَحاديث المشابهة الواردة في حق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله مثل قوله تعالى: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، وقوله: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.. وأحاديث: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي

أهل بيتي، وأهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، ولا يؤمن أحدكم حتى يحبهم لحبي، وعشرات غيرها متفق على صدورها عن النبي صلى الله عليه وآله وقد ركز فيها الاِسلام مكانة عترة النبي من بعده حتى أنه حرم عليهم الصرف من المصارف العامة وجعل لهم مالية خاصة هي الخمس!

والباحث المتتبع يجد أن كل حديث قاله النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته.. نبت مقابله حديث في أصحابه ! حتى أن حديث الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، نبت مقابله: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة، وحديث إحفظوني في أهل بيتي نبت مقابله: إحفظوني في أصحابي..

وقانون الحرمان من الشفاعة لمن ينتقص الصحابة، ما هو إلا نبتةٌ قريشية مقابل قانون حرمان النواصب من الشفاعة الذي ثبت عند الجميع، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

* *

النوع السادس: الدخول الى جهنم لتحليل القسم الاِلَهي بأن يملأها

. روى البخاري في صحيحه ج ٢ ص ٧٢

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار، إلا تحلة القسم. ورواه أيضاً في ج ٧ ص ٢٢٤

ورواه مسلم ج ٨ ص ٣٩ وفيه (فتمسه النار(

ورواه ابن ماجة ج ١ ص ٥١٢ والنسائي ج ٤ ص ٢٢ و٢٥ بعدة روايات وفي بعضها: فتمسه النار.. والترمذي ج ٢ ص ٢٦٢ وأحمد ج ٢ ص ٢٤٠ وص ٢٧٦ وص ٤٧٣ وص ٤٧٩ والبيهقي في سننه ج ٤ ص ٦٧ وج ٧ ص ٧٨ والهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦٣ وج ٥

ص ٢٨٧ والهندي في كنزالعمال ج ٣ ص ٢٨٤ وص ٢٩٣ وج ٤ ص ٣٢٣ وج ١٠ ص ٢١٦ والسيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ٢٨٠ وفي عدد من رواياته: تمسه النار. وفي عدد آخر: يلج النار وفي أكثرها (تحلة القسم.(

ورغم التفاوت في صيغ هذه الروايات إلا أنها تتفق على أن هذا الوالد الذي تحمل ألم خسارة أولاده الثلاثة يستحق الجنة حتى لو كان مذنباً، لكن يجب على هذا المسكين أن يدفع ضريبة يمين الله تعالى، ويدخل النار مدة قليلة تحلةً لقسم الله تعالى حتى لا يكون الله حانثاً بقسمه، ثم له من الله تعالى وَعْدُ شَرَفٍ أن ينقله الى الجنة!!

فما هي قصة هذا القسم ؟ وما ذنب هذا الوالد وغيره من المساكين الذين أدخلتهم صحاح السنيين في جهنم لا لشيء إلا لتحليل يمين الله تعالى!

حاولت بعض الروايات أن تجعل القسم قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) مريم ٧٠ . ٧١ وقالوا إن هذا القضاء الإلَهي الحتمي هو القسم وهو عام للجميع.

ولكنه تفسير من الرواة لأن الصحاح لم ترو حديثاً يفسر القسم بذلك!

. قال البيهقي في سننه ج ١٠ ص ٦٤:

قال أبو عبيد: نرى قوله تحلة القسم يعني قول الله تبارك وتعالى: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً، يقول فلا يردها إلا بقدر ما يبر الله قسمه فيه. وفيه: أنه أحل للرجل يحلف ليفعلن كذا وكذا ثم يفعل منه شيئاً دون شيَ، يبري في يمينه. انتهى.

ولكن تفسيرهم هذا لا يصح:

أولاً

، لما ذكره البيهقي من أنه يفتح الباب للناس للتلاعب بأيمانهم، ولا تبقى قيمة ليمين ! فإذا كان الله تعالى يستعمل الحيلة الشرعية للتحلل من يمينه ويسميها)

تحلة القسم) فلا حرج على عباده أن يلعبوا بأيمانهم!!

وثانياً

، لا يوجد في آية الورود قسم، بينما ورد في كل روايات الصحاح أن سبب دخول هذا الأَب (تحلَّةَ القسم.(

وثالثاً

، إن المؤمنين الذين يردون جهنم ويشرفون عليها في طريق عبورهم الى الجنة لا تمسهم نارها، بينما ورد في عدد من صيغ الحديث التعبير بتمسه النار تحلة القسم.

ورابعاً

، أن الورود المذكور في الآية أمرٌ عامٌ شاملٌ، وليس من البلاغة استثناء هذا الوالد من استحقاق الجنة، مع أن حال في الورود حال غيره!!

وخامساً

، ورد في صيغة البخاري وغيره تعبير بالولوج وهو الدخول المحقق في النار، بينما الورود أعم من الدخول في النار والإِشراف عليها عند المرور على الصراط.

. قال في تفسير التبيان ج ٧ ص ١٤٣

واختلفوا في كيفية ورودهم اليها فقال قوم وهو الصحيح: إن ورودهم هو وصولهم إليها وإشرافهم عليها من غير دخول منهم فيها، لأَن الورود في اللغة هو الوصول إلى المكان، وأصله ورود الماء وهو خلاف الصدور عنه. ويقال: ورد الخبر بكذا تشبيهاً بذلك.

ويدل على أن الورود هو الوصول إلى الشيء من غير دخول فيه قوله تعالى: ولما ورد ماء مدين، وأراد وصل اليه. وقال زهير:

فلما وردنَ الماء زرقاً جمامَه * وضعنَ عِصِيَّ الحاضرِ المتخيمِ

وقال قتادة وعبدالله بن مسعود: ورودهم إليها هو ممرهم عليها.

وقال عكرمة: يردها الكافر دون المؤمن، فخص الآية بالكافرين.

وقال قوم شذاذ: ورودهم إليها دخولهم فيها ولو تحلة القسم. روي ذلك عن ابن عباس وكان من دعائه: اللهم أزحني من النار سالماً وأدخلني الجنة غانماً. وهذا

الوجه بعيد، لاَن الله قال: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون، فبين تعالى أن من سبقت له الحسنى من الله يكون بعيداً من النار، فيكف يكون مبعداً منها مع أنه يدخلها وذلك متناقض. فإذاً المعني بورودهم: إشرافهم عليها ووصولهم إليها. انتهى.

وعلى هذا يتعين أن يكون المقصود بتحلة القسم في هذه الاَحاديث المزعومة: قسمه تعالى بأن يملأ جهنم من الجنة والناس في قوله تعالى: ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم، وتمت كلمة ربك لاَملاَن جهنم من الجنة والناس أجمعين. هود ١١٨ . ١١٩ ويكون معنى الحديث: أن هذا الوالد يستحق الجنة، ولكن بما أن الله تعالى أقسم أن يملأ النار، وليس عنده ما يكفي لملئها، فإن على هذا الوالد المسكين أن يدفع الضريبة من جلده!!

إن منطق هذا الحديث يصور الله تعالى كأنه حاكم دنيوي بنى سجناً وأقسم أن يملأه من المجرمين، وعندما وجد أن السجن كبيرٌ لم يمتليَ بالمجرمين الموجودين، أمر شرطته أن يقبضوا على الناس من الشارع ويضعوهم في السجن حتى يملاَوه ويفي حضرة الحاكم بيمينه، ولا يكون كاذباً!

وهو تصورٌ نجده عن الله تعالى في التوراة ولا نجده في القرآن.. الاَمر الذي يجعلنا نطمئن بأن فكرة إدخال الناس إلى النار لتحلة القسم فكرة توراتية أخذها المسلمون من اليهود ففي تفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٤٧، جاء في رد مقولات اليهود التي منها (أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم!!)

ولكن أين هذا المنطق من قوانين الحق والعدل الإلَهي التي أقام الله تعالى عليها الكون والحياة، وأنزلها في كتابه وأوحى بها إلى رسوله صلى الله عليه وآله فخضع لها العلماء والفلاسفة والمفكرون!

* *

النوع السابع: حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر

يمكن للباحث أن يتفهم أحاديث الحرمان من الشفاعة لمن ينتقد الصحابة، ويفسرها بأنها محاولة لتسكيت المسلمين عن الصحابي الحاكم وجماعته. ولكن بعض الحرمانات

الواردة في الصحاح لا يستطيع أن يفهم لها علة ولا معنى، إلا بعد جهد جهيد، مثل حرمانهم الذي يصبغ شعره ولحيته بالسواد من الشفاعة والجنة!

فقد روت ذلك الصحاح كما في النسائي ج ٨ ص ١٣٨ قال: عن ابن عباس رفعه أنه قال قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة. انتهى.

ورواه أبو داود في ج ٢ ص ٢٩١

وأحمد في ج ١ ص ٢٧٣

والبيهقي في سننه ج ٧ ص ٣١١

. وروى الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٦٣ روايةً شديدةً على المجرم الذي يصبغ شعره ولحيته بالسواد، وقال إنها موثقة عند ابن حنبل وابن معين وابن حبان قال: عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من خضب بالسواد سوَّد الله وجهه يوم القيامة. رواه الطبراني وفيه الوضين بن عطاء وثقه أحمد وابن معين وابن حبان، وضعفه من هو دونهم في المنزلة وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وقد تحير في ذلك بعض أصحاب الصحاح.. ومن حقهم أن يتحيروا.. فمع أنهم عاشوا في القرن الثالث ولم يشهدوا القرن الأول ولا الثاني، ولكن عهدهم كان قريباً نسبياً، والمسألة واضحةٌ وضوح اللحى ! ومع ذلك وصلت اليهم أحاديث متناقضة فيها ! فمنها أحاديث تقول إن النبي صلى الله عليه وآله أمر بتغيير الشيب ومخالفة اليهود الذين يحرمون صبغ الشيب، وأحاديث تقول إنه أمر بصبغه بالحناء، أي باللون الاَحمر الذي تصبغ به العرب ونهى عن السواد لاَنه خضاب الكفار ! وأخرى تقول إنه أمر

بالسواد، وأخرى تقول بالكتم والوسم الاَصفر! ...

واختلفت رواياتهم في أن النبي صلى الله عليه وآله هل صبع شيبه أم لا، فروايةٌ تقول إنه صبغه بالحناء، ولكنهم رجحوا أخرى تقول لم يدركه الشيب إلا شعرات قليلة ولم يصبغها،

. قال مسلم في صحيحه ج ٧ ص ٨٤ و٨٥: قال سئل أنس بن مالك عن خضاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت وقال: لم يختضب وقد اختضب أبو بكر وعمر بالحناء والكتم واختضب عمر بالحناء بحتا. انتهى.

. وقد روى الجميع خضاب أبي بكر وعمر بالحناء والكتم كما في مسند أحمد ج ٣ ص ١٠٠ وج٣ ص ١٠٨ وص ١٦٠ وص ١٧٨

ولكن تحير أصحاب الصحاح كان على مستوى الرواية فقط، أما الرأي السائدالمتبع عندهم فهو النهي المشدد عن الخضاب بالسواد، لأَنه رأي الدولة من زمن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية.. إلى آحر الخلافة الأموية!

ولذا جعل النسائي عنوان المسألة: النهي عن الخضاب بالسواد وقال في ج ٨ ص ٣٨

عن ابن عباس رفعه أنه قال: قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة.

عن أبي الزبير عن جابر قال أتي بأبي قحافة يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد... ثم قال النسائي: والناس في ذلك مختلفون، والله تعالى أعلم، لعل المراد الخالص، وفيه أن الخضاب بالسواد حرامٌ أو مكروهٌ، وللعلماء فيه كلام، وقد مال بعض إلى جوازه للغزاة، ليكون أهيب في عين العدو، والله تعالى أعلم.

أما الفقهاء فقد قننوا المسألة وأعطوها صيغتها الشرعية، وأجمعوا على ذم الحضاب بالسواد، ذمَّ تحريمٍ، وربما وجد فيهم نادرٌ يقول بأنه ذم تنزيه!

. قال النووي في المجموع ج ١ ص ٢٩٤

)فرع) اتفقوا على ذم خضاب الرأس أو اللحية بالسواد، ثم قال الغزالي في الإحياء والبغوي في التهذيب وآخرون من الأَصحاب هو مكروه، وظاهر عباراتهم أنه كراهة تنزيه، والصحيح بل الصواب أنه حرام. وممن صرح بتحريمه صاحب الحاوي في باب الصلاة بالنجاسة، قال إلا أن يكون في الجهاد، وقال في آخر كتابه الأَحكام السلطانية: يمنع المحتسب الناس من خضاب الشيب بالسواد إلا المجاهد.

ودليل تحريمه حديث جابر رضي الله عنه قال: أتي بأبي قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غيروا هذا واجتنبوا السواد. رواه مسلم في صحيحه، والثغامة بفتح الثاء المثلثة وتخفيف الغين المعجمة نبات له ثمر أبيض. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل

الحمام لا يريحون رائحة الجنة. رواه أبو داود والنسائي وغيرهما، ولا فرق في المنع من الخضاب بالسواد بين الرجل والمرأة، هذا مذهبنا. انتهى.

. وقال ابن قدامة في المغني ج ١ ص ٧٦

وعن الحكم بن عمر الغفاري قال: دخلت أنا وأخي رافع على أمير المؤمنين عمر وأنا مخضوب بالحناء وأخي مخضوب بالصفرة، فقال عمر بن الخطاب: هذا خضاب الإسلام، وقال لأخي رافع: هذا خضاب الإيمان. ويكره (وكره) الخضاب بالسواد. قيل لأَبي عبدالله تكره الخضاب بالسواد قال إي والله... ! انتهى.

. وروى الحاكم قصة أخرى مشابهة وجعل رأي الخليفة عمر حديثاً مسنداً قال في المستدرك ج ٣ ص ٥٢٦ قال:

دخل عبدالله بن عمر على عبدالله بن عمرو وقد سوَّدَ لحيته، فقال عبدالله بن عمر: السلام عليك أيها الشويب ! فقال له ابن عمرو: أما تعرفني يا أبا عبدالرحمن ؟

قال بلى أعرفك شيخاً فأنت اليوم شاب ! إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الصفرة خضاب المؤمن، والحمرة خضاب المسلم، والسواد خضاب الكافر. انتهى.

وقال عنه في مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٦٣: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه. انتهى.

. وقد سئل الشيخ ابن باز في كما في فتاويه ج ٤ ص ٥٨ طبعة مكتبة المعارف بالرياض:

. مامدى صحة الأَحاديث التي وردت في صبغ اللحية بالسواد، فقد انتشر صبغ اللحية بالسواد عند كثير ممن ينتسبون الى العلم ؟

فقال في جوابه: في هذا الباب أحاديث صحيحة كثيرة، وذكر حديث حواصل الحمام، وقال بعده: وهذا وعيدٌ شديد، وفي ذلك أحاديث أخرى، كلها تدل على تحريم الخضاب بالسواد، وعلى شرعية الخضاب بغيره. انتهى.

* *

والمتتبع لنصوص المسألة يصل إلى قناعة بأن مرسوم الحرمان من الجنة مرسومٌ قرشي.. وسببه أن العرب ومنهم قريش كانوا يصبغون شيبهم بالحناء الذي يأتيهم من الهند، وبعضهم يصبغونه بالورس والزعفران الذي يأتيهم من اليمن وإيران (لاحظ مغني ابن قدامة ج ١ ص ٧٦)

وأول من خضب بالسواد من العرب عبد المطلب كما نص السهيلي في الروض الأَنف ج ١ ص ٧ ونقله عنه النووي في المجموع ج ١٨ ص ٢٥٤

ولا يبعد أنه صار بعد عبد المطلب رمزاً لبني هاشم. وسيأتي أن الإِسلام أقر عدة تشريعات سنَّها عبد المطلب بإلهامٍ من الله تعالى مثل: الطواف سبعاً، والدية، ومنها سنَّة الخضاب بالوسم.

ماذا يصنع رواة الخلافة القرشية بهذه الأَحاديث

تدل الأَحاديث من مصادر الجميع على أن الإِسلام أقر سنَّة عبد المطلب في صبغ الشيب بالسواد فقد روى ابن ماجة في سننه ج ٢ ص ١١٩٧ عن صهيب قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أحسن ما اختضبتم به لَهَذَا السواد، أرغب لنسائكم فيكم، وأهيب لكم في صدور عدوكم. انتهى.

وقالوا بعده: هذا الحديث معارض لحديث النهي عن السواد، وهو أقوى إسناداً وأيضاً النهي يقدم عند المعارضة، وفي الزوائد: إسناده حسن. انتهى.

وإذا صح ما ذكره رواة قريش من أن النهي دائماً أقوى من الرخصة، وأن الخضاب بالسواد حرام وصاحبه لا يشم رائحة الجنة ! فهل يلتزمون بأن الإِمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة لا يشم رائحتها!

. فقد روى البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٢١٦

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي فجعل في طست فجعل ينكته وقال في حسنه شيئاً فقال أنس: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مخضوباً بالوسمة ! انتهى. والوسمة هي السواد.

. وفي مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٦٢

عن محمد بن علي أنه رأى الحسن بن علي رضي الله عنه مخضوباً بالسواد على فرس ذنوب. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، خلا محمد بن إسماعيل بن رجاء وهو ثقة. وعن سليم قال: رأيت جرير بن عبدالله يخضب رأسه ولحيته بالسواد. رواه الطبراني وسليم والراوي عنه لم أعرفهما.

وعن محمد بن علي أن الحسين بن علي رضي الله عنه كان يخضب بالسواد. رواه الطبراني ورجاله رجال الذي قبله، وقد روى عنهما من طرق وهذه أصحها ورجالها رجال الصحيح.

وعن عبد الرحمن بن بزرج قال: رأيت الحسن والحسين ابني فاطمة يخضبان بالسواد، وكان الحسين يدع العنفقة. رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

وعن عبدالله بن أبي زهير قال: رأيت الحسين بن علي يخضب بالوسمة. رواه الطبراني وعبد الله بن أبي زهير لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وجرير بن عبدالله المذكور هو البجلي من كبار أصحاب علي عليه السلام ومن قادة جيشه وقد حمل عدداً من رسائله إلى معاوية.

فيتضح من ذلك أن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم كانوا يخضبون شيبهم بالسواد. وأن النهي عن السواد نهي قرشي لا نبوي، وغرضه إبعاد الناس عن التشبه ببني هاشم المعارضين للدولة!

بل ماذا يصنع الشيخ ابن باز بإمامه الزهري الذي روى عنه البخاري نحو ١٢٠٠ رواية في صحيحه، فقد كان ـ بعد أن خفَّت حدة المسألة في القرن الثاني ـ يصبغ شيبه بالسواد، ويقول إن النبي أمر بتغيير الشيب ولم يحدد لون الصبغ!

ـ قال أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٠٩:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن اليهود والنصارى لا يصبعون فخالفوهم. قال عبد الرزاق في حديثه: قال الزهري: والاَمر بالإِصباغ، فأحلكها أحب الينا. قال معمر: وكان الزهري يخضب بالسواد. انتهى.

رأي أهل البيت عليهم السلام

ـ روى الكليني في الكافي ج ٦ ص ٤٨١

عن: أحمد بن محمد، عن سعيد بن جناح، عن أبي خالد الزيدي، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل قوم على الحسين بن علي صلوات الله عليهما فرأوه مختضباً بالسواد فسألوه عن ذلك، فمد يده إلى لحيته ثم قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة غزاها أن يختضبوا بالسواد، ليقووا به على المشركين.

. وفي الكافي ج ٦ ص ٤٨٣

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن عدة من أصحابه، عن علي بن

أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: قتل الحسين صلوات الله عليه وهو مختضب بالوسمة.

. وفي الكافي ج ٦ ص ٤٨٠

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن مسكين بن أبي الحكم، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فنظر إلى الشيب في لحيته فقال النبي صلى الله عليه وآله: نورٌ، ثم قال: من شاب شيبةً في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة. قال فخضب الرجل بالحناء ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما رأى الخضاب قال: نورٌ وإسلامٌ، فخضب الرجل بالسواد، فقال النبي صلى الله عليه وآله: نورٌ وإسلامٌ وإيمانٌ، ومحبةٌ إلى نسائكم، ورهبةٌ في قلوب عدوكم.

. وفي الكافي ج ٦ ص ٤٨٠

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: دخلت على أبي الحسن (الرضا) عليه السلام وقد اختضب بالسواد فقلت: أراك قد اختضبت بالسواد ؟ فقال: إن في الخضاب أجراً، والخضاب والتهيئة مما يزيد الله عز وجل في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن لهن التهيئة!

. وفي من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٢٢

قال الصادق عليه السلام: الخضاب بالسواد أنسٌ للنساء، ومهابةٌ للعدو.

. وفي وسائل الشيعة ج ١ ص ٤٠٣

محمد بن الحسين الرضي الموسوي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود فقال: إنما قال ذلك والدين قلٌّ، وأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه فامرؤٌ وما اختار. انتهى.

ويفهم من هذا الحديث أن الأمر بتغيير الشيب ليس للوجوب، بل هو لإثبات الرخصة في مورد توهم الحظر والتحريم، كما يعتقد اليهود .

خلاصة المسألة

والخلاصة:

أن الخضاب بالسواد سنة لعبد المطلب رضوان الله عليه، خالف فيها اليهود، وخالف فيها الخضاب بالاَحمر والاَصفر المستعمل عند العرب، وقد أقر الإِسلام هذه السنة وجعلها مستحبة، ولم يحرم الخضاب بغيرها. بل لم يوجب في الاَصل تغيير لون الشيب، وإنما جعله مستحباً في بعض الحالات.

ولكن دخلت قريش على الخط لتمسكها من جهةٍ بالخضاب الاَحمر والاَصفر، وحساسيتها من جهةٍ أخرى من عبد المطلب وأولاده الذين لم يعترفوا بخلافتها.. فنتج عن ذلك تحريم الخضاب بالسواد، وحرمان صاحبه من الجنة والشفاعة، وتسويد وجهه يوم القيامة! !

ولكن العباسيين أولاد عبد المطلب ثأروا لخضاب جدهم، فجعلوا راياتهم سوداء حتى سماهم الناس (المُسَوِّدَة) وبعد انتصارهم فرضوا لبس السواد على جميع المسلمين، خاصة أتباع الدولة، وجعلوه شعاراً لهم ! فكان ذلك إفراطاً في الإِنتصار لخضاب عبد المطلب!

لذلك رأينا أن الاَئمة من أهل البيت عليهم السلام نهوا عن لبس السواد إلا في الحرب، والحزن، خاصةً لمصاب الإِمام الحسين عليه السلام، وفضلوا في الحالات العادية اللون الاَخضر الذي كان يفضله النبي صلى الله عليه وآله.

وعندما أراد المأمون أن يتقرب إلى الاَئمة من أهل البيت عليهم السلام ويغيض العباسيين الذين خلعوه، نقل ولاية العهد من العباسيين وأوصى بها للإِمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وأمر بتغيير اللباس الاَسود في الدولة إلى اللباس الاَخضر.. وبذلك استقر اللون الاَخضر شعاراً لبني هاشم، ثم شعاراً للعرب، والحمد لله.

* *

وأخيراً لا يفوتنا أن نشير إلى حديث الرايات السود الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله في علامات ولده المهدي الموعود عليه السلام وأن العباسيين حرصوا على مصادرته وتطبيقه على راياتهم وثورتهم، وسموا أحد خلفائهم بالمهدي، وأشهدوا كبار قضاتهم وفقهائهم على أنه المهدي الموعود المبشر به من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولكن المهدي العباسي لم يملأَ الأَرض قسطاً وعدلاً، ولم يعط المال للناس حثياً بدون عدٍّ كما ورد في صفات المهدي عليه السلام.

فقد ورد في سيرة هذا المهدي العباسي أن قصره كان خالياً من التقوى والعدل، وأنه كان يصادر أموال الناس أحياناً حثياً أو حثواً من غير عد!!

* *

النوع الثامن: مرسوم بحرمان الزوجة التي تطلب الطلاق

ومن مراسيم الصحاح في الحرمان من الشفاعة مرسومٌ مفيدٌ للرجال في حق الزوجة التي تطلب الطلاق من زوجها بدون سبب..

. ففي سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٦٢:

ومن مراسيم الصحاح في الحرمان من الشفاعة مرسومٌ مفيد للرجال في حق الزوجة التي تطلب الطلاق زوجها بدون سبب..

. ففي سنن ابن ماجة ج ١ص ٦٦٢:

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تسأل المرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فتجد ريح الجنة. وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً.

ورواه الترمذي في ج ٢ص ٣٢٩

وأبو داود ج ١ ص ٤٩٦

وأحمد ج ٥ ص ٢٧٧ وص ٢٨٣

والدارمي ج ٢ ص ١٦٢

والحاكم في ج ٢ ص ٢٠٠

والبيهقي في سننه ج ٧ ص ٣١٦

والهندي في كنز العمال ج ١٦ ص ٣٨٢ عن أحمد وأبي داود والترمذي وابن حبان وابن عساكر.

وفي بعض روايات الحديث: بدون عذر، والمقصود منه العذر القوي الذي يقبله المجتمع.

ولكنه تشديد مبالغ فيه، فلا نعرف أحداً من الفقهاء يفتي بأن قولها لزوجها طلقني يعتبر جريمة تستحق عليها العقوبة الدنيوية أو الأخروية، فإن أصل الطلاق مكروهاً أو منافياً للأخلاق، أو يجعله حراماً، أو واجباً.

وإذا حدث أن صار حراماً شرعاً، فلا يصير من المعاصي الكبائر التي يستحق صاحبها عقاب الدخول في جهنم، والحرمان من الجنة ومن شفاعة نبيه صلى الله عليه وآله!!

وقد حاول بعض الفقهاء أن يتخلصوا من الحديث بتضعيفه، وساعدهم على ذلك أن الشيخين البخاري ومسلماً لم يروياه، فقد ذكروا بعد روايته في ابن ماجة أن الهيثمي في جميع الزوائد ضعّف إسناده.. ولكن ذلك لا يحل المشكلة لأن الحاكم قال عنه في المستدرك : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وحاولوا محاولةً أخرى أن يجعلوا الحديث في طلب الزوجة الطلاق الخلعي من زوجها بسبب كرهها له، فقد وضع ابن ماجة الحديث تحت عنوان (باب كراهية الخلع للمرأة) ولكن واجههم قوله تعالى(فلا جناح عليهما فيما افتدت به) حيث نصت الآية على جواز اقتداء المرأة نفسها من زوجها ببذل مهرها وطلب الطلاق الخلعي.. فاضطروا أن يحملوا الحديث على كلبها الخلع بدون سبب ويجعلوه مكروهاً لا حراماً!

. وهكذا فعل ابن قدامة في المغني ج ٨ ص ١٧٦

قال شارحاً قول الماتن (ولو خالعته لغير ما ذكرنا كره لها ذلك ووقع الخلع:(

والظاهر أنه أراد إذا خالعته لغير بغض وخشية من أن لا تقيم حدود الله، لأنه لو أراد الأول لقال كره له، فلما قال كره لها دل على أنه أراد مخالعتها له والحال عامرة والأخلاق ملتئمة، فإنه يكره لها ذلك، فإن فعلت صح الخلع في قول أكثر أهل العلم منهم أبو حنيفة والثوري ومالك والأوازعي والشافعي، ويحتمل كلام أحمد تحريمه فإنه قال: الخلع مثل حديث سهلة تكره الرجل فتعكيه المهر فهذا الخلع، وهذا يدل على أنه لا يكون الخلع صحيحاً إلا في هذه الحال، وهذا قول ابن المنذر وداود. وقال ابن المنذر : وروي معنى ذلك عن ابن عباس وكثير من أهل العلم، وذلك لأن الله تعالى قال (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله

فلا جناح عليهما فيما افتدت به) فدل بمفهومه على أن الجناح لا حق بهما إذا افتجت من غير خوف، ثم غلظ بالوعيد فقال (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وروى ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة) رواه أبو داود. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (المختلعات والمنتزعات هن المنافقات) رواه أبو حفص ورواه أحمد في المسند وذكره محتجاً، به وهذا يدل على تحريم المخالعة لغير حاجة، ولأنه إضرار بها وبزوجها وإزالة لمصالح النكاح من غير حاجة ' فحرم لقوله عليه السلام (لا ضرر ولا ضرار). واحتج من أجازة بقول الله سبحانه (فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) انتهى.

ولكن كل ذكاء هؤلاء الفقهاء لا يحل مشكلة الحديث أيضاً:

أولاً

، لأن الحدديث في مجرد طلب الطلاق، وليس في بذل المهر وطلب الخلع، وقد اعترف بذلك ابن حزم قال في المحلى ج ١٠ ص ٢٣٦ حيث قال: قال أبو محمد (يعني نفسه): واحتج من ذهب إلى هذا (حرمة الخلع) بما حدثناه عبدالله بن ربيع نا محمد بن اسحاق بن السليم نا ابن الأعرابي نا محمد بن إسماعيل الصائغ نا غفان بن

مسلم نا حماد نا أيوب السختياني عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة.

وبما روينا من طريق أحمد بن شعيب نا إسحق ب ابراهيم . هو ابن راهويه . أنا المخزومي هو المغيرة بن سلمة . نا وهيب عن أيوب السختياني عن الحسن البصري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: المنتزعات والمختلعات هن المنافقات. قال الحسن: لم أسمعه من أبي هريرة.

قال أبو محمد: فسقط بقول الحسن أن تحتج بذلك الخبر. وأما الخبر الأول فلا حجة فيه في المنع من الخلع لأنه إنما فيه الوعيد على السائلة الطلاق من غير بأس وهكذا نقول. انتهى.

وثانياً

، لو سلمنا أن الحديث في طلب الخلع، فلابد لهم من القول بحرمته على الزوجة مطلقاً بسبب صيغة التشديد المؤكدة فيه، وذلك مخالف لقوله تعالى (فلا جناح عليهما.(

ولذلك اضطروا الى التنازل كما رأيت إلى القول بالكراهية فقط!

ومعناه أنهم اضطروا أن يبطلوا مرسوم الحديث بحرمان هذه الزوجة من رائحة الجنة ورائحة الشفاعة! ولكنه إبطال له بصيغة الاستدلال به، والاحترام له!!

ولم يتسع لنا الوقت لبحث فتوى اليهود في هذه المسألة، ومن المحتمل أن أصل حديثنا من الإسرائيليات التي تسربت إلى فقهنا!!

* *

الفصل التاسع

محاولة القرشيين حرمان بني هاشم من شفاعة النبي صلى الله عليه وآله

توجد عدة مسائل تتعلق بأسرة النبي صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب وبني هاشم.

المسألة الأَولى، في إيمان آباء النبي وأمهاته صلى الله عليه وآله: ومذهبنا أن كل آباء النبي وأمهاته مؤمنون طاهرون مطهرون، من آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة، صلوات الله عليه وعليهم. وقد روينا في ذلك أحاديث صحيحة ودلت عليه آيات كريمة، ووافقنا على هذا الرأي عدد من علماء إخواننا السنة مثل الفخر الرازي والسيوطي وغيرهما، وألفوا في ذلك رسائل مستقلة.

بينما قال أكثر السنة إن آباء النبي وأمهاته صلى الله عليه وآله كفار مشركون، وأنهم في النار، ورووا في ذلك روايات هي عندهم صحيحة ! منها رواية خشنة رواها مسلم في ج ١ ص ١٣٣: أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار، فلما قفى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار!!

المسألة الثانية، في شفاعة النبي صلى الله عليه وآله لبني هاشم وبني عبد المطلب، وهم ثلاثة أصناف: صنف مات قبل البعثة. وصنف أسلموا وهاجروا وجاهدوا مع النبي صلى الله عليه وآله. وصنف لم يذكر التاريخ أنهم أسلموا ولكنهم ناصروا النبي صلى الله عليه وآله في مواجهة قريش وتحملوا معه حصار الشعب ثلاث سنين، وهم كل من بقي من بني هاشم وبني عبد المطلب ماعدا أبي لهب.

ومذهبنا أن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله تشمل أول ما تشمل بني هاشم وبني عبد المطلب ، من ارتضى الله منهم، وكلهم عندنا مرضي إلا من ثبت فيه عدم الاِرتضاء وأنه من أهل النار مثل أبي لهب. وقد ثبت عندنا إسلام أبي طالب وإيمانه، وأنه كان يكتم إيمانه مثل مؤمن آل فرعون.

ومذهب إخواننا السنة في هذه المسألة متفاوت، ففي رواياتهم ما يوافقنا تقريباً، وفيها روايات تحاول حرمان كل بني هاشم من شفاعة النبي صلى الله عليه وآله!

المسألة الثالثة: في موقع علي عليه السلام وعترة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة من الشفاعة العظمى التي يعطاها صلى الله عليه وآله.. ومذهبنا أن عترة النبي صلى الله عليه وآله الذين نصَّ عليهم بأسمائهم هم أوصياؤه وخلفاؤه الشرعيون وأئمة المسلمين وهداتهم بأمر الله تعالى، وأنهم خيرة البشر بعد النبي صلى الله عليه وعليهم، وهم معه يوم القيامة، وبأيديهم ينفذ الشفاعة المعطاة له من الله تعالى، ويفوضهم في كثير من الاَمور.

وقد ثبت عندنا وروي السنيون أن لواء الحمد الذي هو رئاسة المحشر يجعله النبي صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام كما كان صاحب لوائه في الدنيا.

وأن مقام الصديقة الزهراء عليها السلام في الشفاعة يوم القيامة مقام مميزٌ حتى من بين العترة.

أما السنيون فليس لهم مذهبٌ واحدٌ في مقام عترة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة، بل حتى في مقام صحابته، لاَن رواياتهم في ذلك متناقضة.. فهم يريدون إعطاء

الصحابة المرتبة الأولى بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولكن النصوص الصحيحة عندهم في دخول

بعض الصحابة النار، وفي المقام المميز للعترة الطاهرة، تأبى عليهم ذلك، فيقعون في حيص بيص!

حساسية قريش من أسرة النبي صلى الله عليه وآله

من الواضح للمطلع على السيرة أن الدافع الأَساسي لتكذيب قبائل قريش بنبوة النبي صلى الله عليه وآله ورفضهم لها، كان دافعاً سياسياً، لأَنهم إذا آمنوا بنبوة ابن عبد المطلب بن هاشم، فقد اعترفوا بالقيادة لبني هاشم وصاروا أتباعاً لهم، وانتهى الأَمر!

ولذلك كانوا شديدين في تكذيبهم، متحدين في موقفهم، شرسين في مواجهتهم، صريحين في إظهار تخوفهم..

وكان بعض قريش وغير قريش يفاوضون النبي صلى الله عليه وآله على الإِيمان بنبوته، بشرط أن يكون لهم (الأَمر) من بعده.. ولكن النبي صلى الله عليه وآله كان نبياً مبلغاً عن ربه تعالى، ولم يكن مساوماً على الأَمر من بعده.

لقد ظهرت هذه الحقيقة القرشية العميقة منذ إعلان النبي بعثته الشريفة ثم واجهته طوال نبوته، ولم تنته حتى بعد وفاته!

وهي حقيقةٌ ضخمةٌ لم تعطَ حقها من الدراسة، بسبب أن القرشيين بعد انتصار النبي صلى الله عليه وآله عليهم ودخولهم تحت حكمه كرهاً وطوعاً، جعلوا مواجهتهم معه مننوع الحرب الباردة، ثم ما أن توفي النبي صلى الله عليه وآله حتى أخذوا السلطة وأبعدوا أهل بيته وحاصروهم ! وألقوا بثقلهم لصياغة السنة والسيرة والتاريخ لمصلحة قبائل قريش، وضد العترة الطاهرة!

وغرضنا هنا أن نعرض نماذج من حساسية قريش من أسرة النبي صلى الله عليه وآله، لكي نفهم تأثيرها على رواياتهم في كفر آباء النبي صلى الله عليه وآله ورواياتهم في عدم انتفاع بني هاشم بقرابتهم من النبي صلى الله عليه وآله وشفاعته!

وهو باب خطيرٌ والدراسات فيه ممنوعةٌ، ولكن القليل منه يجعل الباحث يتوقف

ملياً في قبول أي حديثٍ سلبي عن أسرة النبي صلى الله عليه وآله جاءت روايته عن طريق القرشيين من غير أهل بيته!

حادثةٌ خطيرةٌ، نَتَّفَتها الصحاح

. روى البخاري في ج ١ ص ٣٢: تحت عنوان: باب الغضب في الموعظة والتعليم:

عن أبي بردة عن أبي موسى قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب ثم قال للناس سلوني عما شئتم ! قال رجل: من أبي ؟ قال أبوك حذافة ! فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله ؟ فقال أبوك سالم مولى شيبة ! فلما رأى عمر ما في وجهه قال: يا رسول الله إنا نتوب إلى الله عز وجل!

باب من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدث:

عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فقام عبدالله بن حذافة فقال من أبي ؟ فقال أبوك حذافة، ثم أكثر أن يقول سلوني ! فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، فسكت ! انتهى.

عندما تقرأ هذا النص تحس أنه ليس طبيعياً ! فهو يقول: أكثروا عليه السؤال فغضب.. ثم قال: سلوني عما شئتم.. ثم أكثر أن يقول سلوني.. فسألوه هل هم أولاد شرعيون أو أولاد زنا !! فبرَّأ صحابياً وفضح آخر على رؤوس الأشهاد، وشهد بأنه ابن زنا ! ! ثم أصرَّ عليهم: سلوني سلوني سلوني.. ! ! فقام عمر وأعلن التوبة فهدأ الموقف وسكت النبي صلى الله عليه وآله!!

فما هي القصة، وما سبب هذا الغضب والتحدي والفضح النبوي ! والتوبة العمرية ؟! الذي يساعد الباحث هنا أن القصة وإن قطَّعتها الصحاح، لكنها روتها هي وغيرها

بأكثر من عشرين نصاً.. فيمكن للباحث أن يجمع منها خيوطاً كثيرة.

يقول مسلم في صحيحه لم يكن غضب النبي صلى الله عليه وآله لسؤال كما قال البخاري ! بل بلغه عن أصحابه شيء كريه ! فصعد المنبر وخطب وطلب منهم أن يسألوه (عن أنسابهم) وتحداهم فخافوا وبكوا، فقام عمر وتاب! !

. قال مسلم في صحيحه ج ٧ ص ٩٢

عن أنس بن مالك قال: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحابه شيَ فخطب فقال: عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. قال فما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه !! قال غطَّوا رؤسهم ولهم خنين ! قال فقام عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ! قال فقام ذاك الرجل فقال: من أبي ؟ قال أبوك فلان، فنزلت: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ! انتهى.

وروى مسلم جزء منها أيضاً في ج ٣ ص ١٦٧

فالمسألة إذن غضبٌ نبويّ لما بلغه عن (أصحابه) وخطبةٌ نارية.. وتحدٍّ نبوي لهم في أنسابهم.. وأشد يوم مر عليهم مع نبيهم.. وبكاء الصحابة المعنيين خوفاً من إطاعة الرسول وسؤاله عن نسبهم.. والفضيحة.. وإعلان عمر توبته وتوبتهم! ! ..

وهكذا تبدأ خيوط الحادثة بالتجمع.. ويمكنك بعد ذلك أن تجمع من خيوطها من نفس البخاري!

. قال البخارى في ج ١ ص ١٣٦

عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر، فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أموراً عظاماً، ثم قال: من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ما دمت في مقامي هذا ! ! فأكثر الناس في البكاء وأكثر أن يقول سلوني!

فقام عبدالله بن حذافة السهمي فقال: من أبي ؟ قال أبوك حذافة!

ثم أكثر أن يقول سلوني ! ! فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ! فسكت، ثم قال: عرضت علي الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط فلم أر كالخير والشر!

. وقال البخاري في ج ٧ ص ١٥٧

عن أنس رضي الله عنه سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء ينته لكم، فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا كل رجل لافٌّ رأسه في ثوبه يبكي ! فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي ؟ قال: حذافة ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً نعوذ بالله من الفتن. فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط ! إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط. وروى نحوه أيضاً في ج ٨ ص ٩٤

. وقال البخاري في ج ٨ ص ١٤٣

عن الزهري أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أموراً عظاماً ثم قال: من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا ! قال أنس فأكثر الناس البكاء ! وأكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول سلوني!! فقال أنس فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله ؟ قال النار ! ! ! فقام عبدالله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال أبوك حذافة. قال ثم أكثر أن يقول سلوني سلوني !! فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله رباً وبالإِسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً. قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال عمر ذلك ! ثم قال رسول الله: أولى،

والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط وأنا أصلي، فلم أر كاليوم في الخير والشر!

. وقال البخاري في ج ٤ ص ٧٣

عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول:

قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم... ! حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.

. وقال أبو داود ج ١ ص ٥٤٢

عن أبى قتادة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف تصوم ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله، فما رأى ذلك عمر قال: رضينا بالله رباً وبالإِسلام ديناً وبمحمد نبياً نعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، فلم يزل عمر يرددها.. حتى سكن غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى.

. وقال في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦١

عن أبي فراس رجل من أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم: سلوني عما شئتم ؟ فقال رجل: يا رسول الله من أبي ؟ قال: أبوك فلان الذي تدعي إليه،

وسأله رجل: في الجنة أنا ؟ قال: في الجنة. وسأله رجل: في الجنة أنا ؟ قال: في النار ! ! ! فقال عمر: رضينا بالله رباً. رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

. وقال في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٨٨ وص ٣٩٠

وعن أنس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان ! فخطب الناس فقال: لا تسألوني عن شيء اليوم إلا أخبرتكم به، ونحن نرى أن جبريل معه ! قلت

فذكر الحديث إلى أن قال فقال عمر: يا رسول الله إنا كنا حديثي عهد بجاهلية فلا تبد علينا سوآتنا فاعف عفا الله عنك ! رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح.

. وفي مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٠

وأتاه العباس فقال: يا رسول الله إني انتهيت إلى قومٍ يتحدثون فلما رأوني سكتوا وما ذاك إلا لأنهم يبغضونا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو قد فعلوها ؟ ! والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم، أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتي، ولا يرجوها بنو عبد المطلب!

. وفي مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٥٨

وجلس على المنبر ساعة وقال: أيها الناس مالي أوذى في أهلي ؟ ! فوالله إن شفاعتي لتنال حي حا، وحكم، وصدا، وسلهب، يوم القيامة!

. وفي مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢١٤

عقد الهيثمي باباً في عدة صفحات بعنوان: باب في كرامة أصله صلى الله عليه وسلم. وأورد فيه أحاديث عن طهارة آباء النبي وأمهاته صلى الله عليه وعليهم، ونقل حوادث خطيرة أهان فيها القرشيون أسرة النبي صلى الله عليه وآله في حياته، وهم تحت قيادته في المدينة، وهم مسلمون مهاجرون، أو طلقاء منَّ عليهم بالعفو بالأمس في فتح مكة ! فغضب النبي صلى الله عليه وآله وأجابهم بشدة!

الحادثة الأولى:

عن عبد الله بن عمر قال إنا لقعودٌ بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم: هذه ابنة محمد، فقال رجل من القوم: إن مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط النتن ! فانطلقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء

النبي صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب، ثم قام على القوم فقال: ما بال أقوال تبلغني عن أقوام ! إن الله عز وجل خلق السموات سبعاً

فاختار العليا منها فسكنها وأسكن سمواته من شاء من خلقه، وخلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم.

والثانية:

عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب قال: أتى ناس من الاَنصار النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا نسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد نخلة نبتت في الكبا (قال حسين الكبا الكناسة) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب . قال فما سمعناه ينتمي قبلها . ألا أن الله عز وجل خلق خلقه ثم فرقهم فرقتين، فجعلني في خير الفريقين، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً... رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

والثالثة:

عن ابن عباس قال توفي ابنٌ لصفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت عليه وصاحت، فأتاها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: يا عمة ما يبكيك ؟ قالت توفي ابني، قال: يا عمة من توفي له ولدٌ في الإِسلام فصبر، بنى الله له بيتاً في الجنة. فسكتت ثم خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلها عمر بن الخطاب فقال: يا صفية قد سمعت صراخك، إن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغني عنك من الله شيئاً ! فبكت فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكرمها ويحبها، فقال: يا عمة أتبكين وقد قلت لك ماقلت ؟! قالت: ليس ذاك أبكاني يا رسول الله، استقبلني عمر بن الخطاب فقال إن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغني عنك من الله شيئاً ! قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم

وقال: يا بلال هجِّر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة، فصعد المنبر صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع !! كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، فإنها موصولة في الدنيا والآخرة!

فقال عمر: فتزوجت أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، أحببت أن يكون لي منه سببٌ ونسب.

ثم خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على نفر من قريش فإذا هم يتفاخرون ويذكرون أمر الجاهلية فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقالوا: إن الشجرة لتنبت في الكبا (المزبلة) قال فمررت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ! فقال يا بلال هجر بالصلاة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله، قال أنسبوني، قالوا أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال أجل أنا محمد بن عبد الله، وأنا رسول الله، فما بال أقوام يبتذلون أصلي !! فوالله لأَنا أفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً!

قال فلما سمعت الأَنصار بذلك قالت قوموا فخذوا السلاح، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أغضب، قال فأخذوا السلاح ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم لا ترى منهم إلا الحدق، حتى أحاطوا بالناس فجعلوهم في مثل الحرة، حتى تضايقت بهم أبواب المسجد والسكك !! ثم قاموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله لا تأمرنا بأحد إلا أبَّرنا عترته. فلما رأى النفر من قريش ذلك قاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا وتنصلوا !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس دثارٌ والأَنصار شعار، فأثنى عليهم وقال خيراً. انتهى.

. وقال في الدر المنثور ج ٢ ص ٣٣٥

وأخرج الفريابي وابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمار وجهه، حتى جلس على المنبر فقام إليه

رجل فقال: أين آبائي ؟ قال في النار ! فقام آخر فقال من أبي ؟ فقال أبوك حذافة، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، إنا يا رسول الله حديثُ عهدٍ بجاهلية وشرك والله أعلم من آباؤنا !! فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم.

. وقال في الدر المنثور ج ٤ ص ٣٠٩

وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قول الله: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ؟ قال: كان رجال من المهاجرين في أنسابهم شيء فقالوا يوماً والله لوددنا أن الله أنزل قرآناً في نسبنا، فأنزل الله ما قرأت.

ثم قال لي: إن صاحبكم هذا يعني علي بن أبي طالب إن ولي زهد، ولكني أخشى عجب نفسه أن يذهب به. قلت: يا أمير المؤمنين إن صاحبنا من قد علمت، والله ما نقول إنه غيَّر ولا بدل ولا أسخط رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام صحبته ! فقال: يابن عباس من ظن أنه يرد بحوركم فيغوص فيها حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزاً! انتهى.

وراجع أيضاً: سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٤٦، ومسند أحمد ج ٣ ص ١٦٢ وص ١٧٧ وج ٥ ص ٢٩٦ و٣٠٣، وسنن البيهقي ج ٤ ص ٢٨٦، ومصنف عبد الرزاق ج ١١ ص ٣٧٩، وكنز العمال ج ٤ ص ٤٤٣ وج ١٣ ص ٤٥٣

* *

من مجموع هذه النصوص يصل الباحث إلى نتائج قطعية متعددة، نذكر منها:

أولاً .

أن القرشيين لم يتركوا حساسيتهم من بني هاشم حتى بعد فتح مكة وإعلان إسلامهم ! غاية الاَمر أنهم استثنوا منهم شخص النبي صلى الله عليه وآله!

بل من حق الباحث أن يشك في هذا أيضاً، فالطلقاء أسلموا مهزومين تحت

السيف ! ولم يكونوا يستطيعون أن يتفوهوا بحرف على شخص النبي صلى الله عليه وآله، وإلا كفروا وعرضوا أنفسهم لسيوف الاَنصار!

ثانياً .

أن القرشيين كانوا في حياة النبي صلى الله عليه وآله وفي عاصمته، وتحت لواء نبوته، وتحت سيوف الاَنصار.. شرسين على أسرته وعشيرته صلى الله عليه وآله، وكانت ألسنتهم بذيئة على أصل النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته، حتى ضجَّ من ذلك الاَنصار، وجاؤوا يشكون إلى النبي صلى الله عليه وآله بذاءة قريش بحقه، طالبين منه معالجة هذه الاَلسنة المنافقة، أو إصدار أمر بتقتيلهم. وقد قال الهيثمي عن حديث شكوى الاَنصار: رجاله رجال الصحيح!!

ثالثاً .

أن الحوادث التي تكلم فيها القرشيون على أسرة النبي صلى الله عليه وآله متعددة، فقد نقلت كتب الحديث منها أكثر من عشرة حوادث، ولا بد أن ما لم تنقله أكثر وأعظم! !

رابعاً .

أن النبي صلى الله عليه وآله كانت حساسيته من هذا الموضوع عالية جداً، وكان رده دائماً شديداً، فهو يتعامل معه على أنه موضوع ديني وليس موضوعاً شخصياً، لاَن عدم الإيمان بأسرته الطاهرة، يساوق عدم الإِيمان به صلى الله عليه وآله

خامساً .

أن إحدى الحوادث كانت كبيرة بذاتها، أو بالتراكم، فغضب الله تعالى لغضب نبيه صلى الله عليه وآله، وأمره بالرد على القرشيين (المسلمين الصحابة) وإتمام الحجة عليهم، وأنزل عليه جبرئيل ليكون إلى جانبه يوجهه ويجيبه عن أنساب القرشيين، وعن مستقبلهم في الجنة أو في النار.! ! !

سادساً .

أن النبي صلى الله عليه وآله أحضرهم في المسجد وأمر الاَنصار بمحاصرتهم بالسلاح، وخطب خطبةً نبويةً نارية بليغة عاصفة، صبَّ فيها الغضب الإِلَهي والنبوي على القرشيين، وتحداهم في أنسابهم وأعمالهم ونواياهم ! فلفُّوا رؤوسهم ! واستغشوا ثيابهم ! وعلا خنينهم وبكاؤهم ! وكان ذلك أشد يوم عليهم!!!

فتدارك الموقف زعيمهم وتقدم وبرك على قدمي النبي صلى الله عليه وآله ! وقبلها ! وبكى له ! ليعفو عنهم ! ولا يفضح أنسابهم ! وعشائرهم ! ولا يصدر عليهم حكمه بالقتل، أو

بالحرمان من الحقوق المدنية حتى أداء الشهادة ! ! فسكت النبي صلى الله عليه وآله ولم يقل لهم كلمة قبول أو عفو ! وهدأت عاصفة الإِنتقام النبوي في الدنيا! !

سابعاً .

إنها قضيةٌ ضخمةٌ في الحساب العقائدي والفقهي والسياسي، تستحق الدراسة ووضع النقاط على الحروف.. ولكن الخلافة القرشية تعرف كيف تتخلص منها، فتعتم عليها إن استطاعت، أو تحولها إلى مجد لقريش، ولا تسمح لبني هاشم أن يستفيدوا منها!

ومن أجل هذا كانت براعة الخليفة عمر في طريقة روايتها، ثم كانت براعة الرواة ومصنفي الصحاح في تجزئتها وتقطيع أوصالها وتغييب حقيقتها!

وهذه هي مهمة جيل ما بعد الاَنبياء!!

أما عبد الله بن الزبير الزهري، فقد كان عنده عقدةٌ من بني هاشم مع أنهم أخوال أبيه ! وقد اشتهر عنه أنه لم يكن يطيق ذكرهم، وأنه ترك حتى ذكر النبي صلى الله عليه وآله والصلاة عليه في خطبة الجمعة حتى لا تشمخ أنوف بني هاشم بزعمه!

والظاهر أن القرشيين ربَّوه على كره بني هاشم منذ كان غلاماً، وأن له مشاركة في قصة الغضب النبوي!

. فقد روى عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢١٥ افتراء عجيباً على النبي في ذم أهل بيته صلى الله عليه وآله حيث حول كلام قريش الذي غضب منه النبي صلى الله عليه وآله وغضب منه الله تعالى من فوق عرشه كما رأيت.. الى حديث مسند عن النبي صلى الله عليه وآله!!

. قال الهيثمي: وعن عبد الله ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثلي ومثل أهل بيتي كمثل نخلة نبتت في مزبلة. رواه الطبراني وهو منكر، والظاهر أنه من قول الزبير إن صح عنه، فإن فيه ابن لهيعة ومن لم أعرفه.

وعن ابن الزبير أن قريشاً قالت: إن مثل محمد مثل نخلة في كبوة. رواه البزار بإسناد حسن، وهذا الظن به.

براعة البخاري في تضييع القضية

المحدث العادي . فضلاً عن البخاري . يعرف أن هذا الحديث قصةٌ واحدةٌ كما ذكر صاحب فتح الباري، أو اثنتان في الاَكثر.. وهنا تظهر براعة البخاري في اختراع العناوين لجعل قطعة الحديث تحتها، أو عقد باب مناسب لتغطية حقيقة الحديث!

ففي ج ١ ص ٣١

عقد له باباً باسم: باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره. فجعله من نوع غضب المدرس والواعظ!

وفي ص ٣٢

جعله من نوع تأدب التلميذ بين يدي معلمه فسمى الباب: باب من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدث!

وفي ص ١٣٦

وضع جزءً منه تحت عنوان: باب وقت الظهر عند الزوال ! بحجة أن خطبة النبي صلى الله عليه وآله النارية القاصعة كانت عند الزوال!

وفي ج ٤ ص ٧٣

جعل جزءً منه تحت عنوان: ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه.. بحجة أن الراوي قال: قام فينا النبي (ص) مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم!

وفي ج ٧ ص ١٥٧

عقد له باباً باسم: باب التعوذ من الفتن ! وكأن الموضوع كان حديثاً هادئاً عاماً لكل الاَمة عن الفتن الآتية، وأن عمر قال: رضينا بالله رباً وبمحمد رسولاً... نعوذ بالله من الفتن!

وفي ج ٨ ص ١٤٢

عقد له باباً باسم: باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه وقوله تعالى: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم! ..

وكان ينبغي له أن يسمي الباب: باب وجوب امتثال أمر النبي إذا أمر بالسؤال، وأن لا يربط الآية به، ولا يحشرها في هذا الموضوع أصلاً كما فعلت قريش، لاَن موضوع الآية كراهة السؤال، وموضوع الحديث أمر النبي صلى الله عليه وآله المكرر المشدد لقريش أن يسألوه!

اللهم إلا يقصد البخاري بكراهة السؤال: كراهة إلحاح المعلم على تلاميذه بقوله سلوني ! فيكون الخطأ حينئذٍ من النبي صلى الله عليه وآله لاَنه ألحَّ عليهم بالسؤال ! ويكون موقف عمر تصحيحاً لخطأ النبي صلى الله عليه وآله كما هي عادته المشكورة! !

ماذا قال كبار الشراح ؟

لا خبر عند شراح الصحاح بالقضية، فلا رأوا شيئاً ولا سمعوا ولا قرؤوا، ولا شموا رائحة شيء يستوجب التساؤل والبحث!!

. قال ابن حجر في فتح الباري:

قوله سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء.. كان منها السؤال عن الساعة وما أشبه ذلك من المسائل، كما سيأتي في حديث ابن عباس في تفسير المائدة!

. قوله قال رجل: هو عبد الله بن حذافة بضم أوله وبالذال المعجمة والفاء، القرشي السهمي، كما سماه في حديث أنس الآتي.

. قوله فقام آخر: هو سعد بن سالم مولى شيبة بن ربيعة، سماه بن عبد البر في التمهيد في ترجمة سهيل بن أبي صالح، وأغفله في الإستيعاب ولم يظفر به أحد من الشارحين، ولا من صنف في المبهمات ولا في أسماء الصحابة، وهو صحابي بلا مرية، لقوله فقال من أبي يا رسول الله ؟ ووقع في تفسير مقاتل في نحو هذه القصة أن رجلاً من بني عبد الدار قال من أبي ؟ قال سعد: نسبه إلى غير أبيه، بخلاف ابن

حذافة! وسيأتي مزيد لهذا في تفسير سورة المائدة.

. قوله فلما رأى عمر.. هو بن الخطاب.. ما في وجهه، أي من الغضب، قال: يا رسول الله إنا نتوب إلى الله، أي مما يوجب غضبك، وفي حديث أنس الآتي بعد أن عمر برك على ركبتيه، فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، والجمع بينهما ظاهر، بأنه قال جميع ذلك فنقل كل من الصحابيين ما حفظ، ودل على اتحاد المجلس اشتراكهما في نقل قصة عبد الله بن حذافة.

. تنبيه: قصر المصنف الغضب على الموعظة والتعليم دون الحكم لأَن الحاكم مأمورٌ أن لا يقضي وهو غضبان، والفرق أن الواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضبان، لأَن مقامه يقتضي تكلف الإنزعاج لأَنه في صورة المنذر!!

وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه، لأَنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازماً في حق كل أحد، بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين. وأما الحاكم فهو بخلاف ذلك كما يأتي في بابه.

فإن قيل: فقد قضى عليه الصلاة والسلام في حال غضبه حيث قال: أبوك فلان!

فالجواب: أن يقال أولاً، ليس هذا من باب الحكم ! ! وعلى تقديره فيقال هذا من خصوصياته لمحل العصمة، فاستوى غضبه ورضاه، ومجرد غضبه من الشيَ دالٌّ على تحريمه أو كراهته، بخلاف غيره صلى الله عليه وسلم.

. قوله باب من برك: هو بفتح الموحدة والراء المخففة يقال: برك البعير إذا استناخ، واستعمل في الآدمي مجازاً.

قوله خرج، فقام عبد الله بن حذافة: فيه حذف يظهر من الرواية الاَخرى، والتقدير خرج فسئل فأكثروا عليه، فغضب ! ! فقال سلوني، فقام عبد الله.

قوله فقال رضينا بالله رباً.. قال ابن بطال: فهم عمر منه أن تلك الاَسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك، فخشي أن تنزل العقوبة بسبب ذلك ! فقال رضينا بالله

رباً الخ. فرضي النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فسكت!

. قوله وقال سلوني: في حديث أنس المذكور فصعد المنبر فقال: لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم.

وفي رواية سعيد بن بشير عند قتادة عن أبي حاتم: فخرج ذات يوم حتى صعد المنبر، وبين في رواية الزهري المذكورة في هذا الباب وقت وقوع ذلك، وأنه بعد أن صلى الظهر، ولفظه: خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة، ثم قال: من أحب (!) أن يسأل عن شيَ فليسأل عنه، فذكر نحوه.

. قوله فقام رجل فقال يا رسول الله من أبي ؟ بين في حديث أنس من رواية الزهري اسمه، وفي رواية قتادة سبب سؤاله، قال فقام رجل كان إذا لاحى أي خاصم دعي إلى غير أبيه، وذكرت اسم السائل الثاني، وأنه سعد، وأني نقلته من ترجمة سهيل بن أبي صالح من تمهيد بن عبد البر.

وزاد في رواية الزهري الآتية بعد حديثين فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله ؟ قال: النار ! ولم أقف على اسم هذا الرجل في شيء من الطرق كأنهم أبهموه عمداً للستر عليه!

وللطبراني من حديث أبي فراس الاَسلمي نحوه، وزاد: وسأله رجل في الجنة أنا؟ قال: في الجنة، ولم أقف على اسم هذا الآخر.

ونقل بن عبد البر عن رواية مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته: لا يسألني أحد عن شيء إلا أخبرته، ولو سألني عن أبيه، فقام عبد الله بن حذافة، وذكر فيه عتاب أمه له وجوابه، وذكر فيه فقام رجل فسأل عن الحج فذكره، وفيه فقام سعد مولى شيبة فقال من: أنا يا رسول الله ؟ قال أنت سعد بن سالم مولى شيبة. وفيه فقام رجل من بني أسد فقال: أين أنا ؟ قال: في النار !! فذكر قصة عمر، قال فنزلت: يا أيها الذي آمنوا لا تسألوا عن أشياء.. الآية.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قيلٍ وقال، وكثرة السؤال (؟ !) وبهذه الزيادة يتضح أن هذه القصة سبب نزول: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، فإن المساءة في حق هذا جاءت صريحة بخلافها في حق عبد الله بن حذافة، فإنها بطريق الجواز أي لو قدر أنه في نفس الاَمر لم يكن لاَبيه، فبين أباه الحقيقي لافتضحت أمه، كما صرحت بذلك أمه حين عاتبته على هذا السؤال، كما تقدم في كتاب الفتن.

قوله: فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغضب.. بين في حديث أنس أن الصحابة كلهم فهموا ذلك، ففي رواية هشام فإذا كل رجل لافاً رأسه في ثوبه يبكي، وزاد في رواية سعيد بن بشير: وظنوا أن ذلك بين يدي أمر قد حضر ! وفي رواية موسى بن أنس عن أنس الماضية في تفسير المائدة: فغطوا رؤوسهم ولهم حنين.. زاد مسلم من هذا الوجه: فما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان أشد منه!

قوله: فقال إنا نتوب إلى الله عز وجل.. زاد في رواية الزهري: فبرك عمر على ركبته فقال رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً.وفي رواية قتادة من الزيادة نعوذ بالله من شر الفتن. وفي مرسل السدي عند الطبري في نحو هذه القصة: فقام إليه عمر فقبل رجله وقال رضينا بالله رباً فذكر مثله، وزاد: وبالقرآن إماماً فاعف عفى الله عنك فلم يزل به... حتى رضي.

وفي هذا الحديث غير ما يتعلق بالترجمة مراقبة الصحابة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وشدة إشفاقهم إذا غضب خشية أن يكون لاَمر يعم فيعمهم، وإدلال عمر عليه وجواز تقبيل رجل الرجل، وجواز الغضب في الموعظة، وبروك الطالب بين يدي من يستفيد منه، وكذا التابع بين يدي المتبوع إذا سأله في حاجة، ومشروعية التعوذ من الفتن عند وجود شيَ قد يظهر منه قرينة وقوعها، واستعمال المزاوجة في الدعاء في قوله اعف عفى الله عنك، وإلا فالنبي صلى الله عليه وسلم

معفوٌ عنه قبل ذلك.

قال ابن عبد البر: سئل مالك عن معنى النهي عن كثرة السؤال، فقال: ما أدري أنهى عن الذي أنتم فيه من السؤال عن النوازل، أو عن مسألة الناس المال.

قال بن عبد البر: الظاهر الأَول، وأما الثاني فلا معنى للتفرقة بين كثرته وقلته، لا حيث يجوز ولا حيث لا يجوز.

قال: وقيل كانوا يسألون عن الشيء ويلحون فيه إلى أن يحرم. قال: وأكثر العلماء على أن المراد كثرة السؤال عن النوازل والأَغلوطيات والتوليدات، كذا.

. وقال النووي في شرح مسلم ج ٨ ص ٢٩١ في سبب غضب النبي صلى الله عليه وآله كما تصوره أو صوره:

قوله: رجل أتى النبي فقال كيف تصوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قال العلماء: سبب غضبه أنه كره مسألته، لأَنه يحتاج إلى أن يجيبه ويخشى من جوابه مفسدة، وهي أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقله أو اقتصر عليه، وكان يقتضي حاله أكثر منه!!

. وقال في ج ١٥ . ١٦ ص ١١١

قوله: غطوا رؤوسهم ولهم خنين، هو بالخاء المعجمة هكذا هو في معظم النسخ ولمعظم الرواة ولبعضهم بالحاء المهملة. وممن ذكر الوجهين القاضي وصاحب التحرير وآخرون، قالوا: ومعناه بالمعجمة صوت البكاء وهو نوع من البكاء دون الإِنتحاب. قالوا وأصل الخنين خروج الصوت من الأَنف كالحنين بالمهملة من الفم. وقال الخليل: هو صوت فيه غنة، وقال الأَصمعي: إذا تردد بكاؤه فصار في كونه غنة فهو خنين. وقال أبو زيد: الخنين مثل الخنين وهو شديد البكاء.

قوله: فلما أكثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: سلوني برك عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإِسلام ديناً وبمحمد رسولاً. فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال عمر ذلك. قال العلماء: هذا القول منه صلى الله عليه وآله وسلم محمولٌ على أنه أوحي إليه وإلا فلا يعلم كل ما سئل

عنه من المغيبات إلا بإعلام الله تعالى.

قال القاضي: وظاهر الحديث أن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: سلوني إنما كان غضباً كما قال في الرواية الأَخرى سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: سلوني. وكان اختياره صلى الله عليه وسلم ترك تلك المسائل، لكن وافقهم في جوابها، لأَنه لا يمكن رد السؤال، ولما رآه من حرصهم عليها ! ! والله أعلم.

وأما بروك عمر رضي الله عنه وقوله: فإنما فعله أدباً وإكراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشفقةً على المسلمين لئلا يؤذوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهلكوا!!

ومعنى كلامه: رضينا بما عندنا من كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم واكتفينا به عن السؤال. ففيه أبلغ كفاية. انتهى.

وأنت ترى أن ابن حجر والنووي غائبان عن كلام النبي صلى الله عليه وآله، وأن في كلامهما تهافتاً ونقاط ضعف كثيرة لا نطيل فيها.. وليس كلام غيرهما من الشراح أفضل، وإن كان فيه مادة مهمة لمن أراد أن يتتبع ملف القضية!

الحادثة في بعض روايات أهل البيت عليهم السلام

. قال النيشابوري في الفضائل ص ١٣٤

عن سليم بن قيس يرفعه إلى أبي ذر والمقداد وسلمان قالوا: قال لنا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب: إني مررت بفلان يوماً فقال لي: ما مثل محمد في أهل بيته إلا كمثل نخلة نبتت في كناسة ! قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرت ذلك له، فغضب غضباً شديداً، فقام فخرج مغضباً وصعد المنبر ففزعت الأَنصار ولبسوا السلاح، لما رأوا من غضبه، ثم قال: ما بال أقوام يعيرون أهل بيتي ؟!! وقد سمعوني أقول في فضلهم ما أقول، وخصصتهم بما خصهم الله تعالى به، وفضل علياً عليهم بالكرامة وسبقه إلى الإِسلام وبلائه، وأنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي!

ثم إنهم يزعمون أن مثلي في أهل بيتي كمثل نخلة نبتت في كناسة ! ألا إن الله

سبحانه وتعالى خلق خلقه وفرقهم فرقتين، وجلعني في خيرها شعباً وخيرها قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، حتى حصلت في أهل بيتي وعشيرتي وبني أبي، أنا وأخي علي بن أبي طالب....

أنا خير النبيين والمرسلين، وعلي خير الوصيين، وأهل بيتي خير بيوت أهل النبيين، وفاطمة ابنتي سيدة نساء أهل الجنة أجمعين.

أيها الناس: أترجون شفاعتي لكم، وأعجز عن أهل بيتي ؟!

أيها الناس: ما من أحد غداً يلقى الله تعالى مؤمناً لا يشرك به شيئاً إلا أجره الجنة، ولو أن ذنوبه كتراب الأَرض.

أيها الناس: لو أخذت بحلقة باب الجنة ثم تجلى لي الله عز وجل، فسجدت بين يديه ثم أذن لي في الشفاعة، لم أوثر على أهل بيتي أحداً.

أيها الناس: عظموا أهل بيتي في حياتي وبعد مماتي، وأكرموهم وفضلوهم، لا يحل لاَحد أن يقوم لاَحد غير أهل بيتي، فانسبوني من أنا ؟!

قال فقام الاَنصار وقد أخذوا بأيدهم السلاح، وقالوا: نعوذ الله من غضب الله وغضب رسوله، أخبرنا يا رسول الله من آذاك في أهل بيتك حتى نضرب عنقه ؟!!

قال: أنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، ثم انتهى بالنسب إلى نزار، ثم مضى إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، ثم مضى منه إلى نوح، ثم قال: أنا وأهل بيتي كطينة آدم عليه السلام نكاح غير سفاح!

سلوني، والله لا يسألني رجل إلا أخبرته عن نسبه وعن أبيه!

فقام إليه رجل فقال: من أنا يا رسول الله ؟ فقال: أبوك فلان الذي تدعى إليه ! قال فارتد الرجل عن الإِسلام.

ثم قال صلى الله عليه وآله والغضب ظاهر في وجهه: مايمنع هذا الرجل الذي يعيب على أهل بيتي وأهلي وأخي ووزيري وخليفتي من بعدي وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي، أن يقوم ويسألني عن أبيه، وأين هو في جنة أم في نار ؟!

قال فعند ذلك خشي فلان على نفسه أن يذكره رسول الله صلى الله عليه وآله ويفضحه بين الناس فقام وقال: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنا عفى الله عنك، أقلنا أقالك الله، أسترنا سترك الله، إصفح عنا جعلنا الله فداك. فاستحى النبي صلى الله عليه وآله وسكت، فإنه كان من أهل الحلم وأهل الكرم وأهل العفو ثم نزل صلى الله عليه وآله!!

. وقال فرات الكوفي في تفسيره ص ٣٩٢

حدثنا عبد السلام بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحارث الهاشمي قال: حدثنا الحكم بن سنان الباهلي، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لفاطمة بنت الحسين: أخبريني جعلت فداك بحديث أحدث واحتج به على الناس. قالت: نعم أخبرني أبي أن النبي صلى الله عليه وآله كان نازلاً بالمدينة، وأن من أتاه من المهاجرين مرسوا أن يفرضوا لرسول الله صلى الله عليه وآله فريضة يستعين بها

على من أتاه، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: قد رأينا ما ينوبك من النوائب، وإنا أتيناك لتفرض فريضة تستعين بها على من أتاك.

قال: فأطرق النبي صلى الله عليه وآله طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: إني لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً، إنطلقوا فإني لم أؤمر بشيء، وإن أمرت به أعلمتكم.

قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك قد سمع مقالة قومك، وما عرضوا عليك، وقد أنزل الله عليهم فريضة: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى.

قال فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله إلا أن تذل الاَشياء وتخضع الرقاب ما دامت السماوات والاَرض لبني عبد المطلب!!

قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب أن أصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار، ومن ادعى إلى غير موإليه فليتبوأ مقعده من النار، ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار!!

قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن مالهن من تأويل ؟ فقال: الله ورسوله أعلم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال رسول الله: ويلٌ لقريشٍ من تأويلهن ! ثلاث مرات. ثم قال: يا علي إنطلق فأخبرهم أني أنا الاَجير الذي أثبت الله مودته من السماء، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين، وأنا وأنت أبوا المؤمنين.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا معشر قريش والمهاجرين والاَنصار. فلما اجتمعوا قال: يا أيها الناس، إن علياً أولكم إيماناً بالله وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأعلمكم بالقضية، وأقسمكم بالسوية، وأرحمكم بالرعية، وأفضلكم عند الله مزية. ثم قال: إن الله مثَّل لي أمتي في الطين، وعلمني أسماءهم كما علَّم آدم الاَسماء كلها، ثم عرضهم فمر بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلي وشيعته، وسألت ربي أن تستقيم أمتي على علي من بعدي، فأبى إلا أن يضل من يشاء ويهدي من يشاء. انتهى.

. وقال محمد بن سليمان في المناقب ج ٢ ص ١٢٢

عن عبد المطلب بن أبي ربيعة قال: قال العباس: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوا ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه ننكرها ! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضباً شديداً، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب عبد الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله. هكذا قال خالد قال أبو خليفة، فأما أبي فحدثناه عن يزيد بن

هارون، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبدالله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله.. فذكر نحوه أو مثله.

وقال في هامشه:

وروى أبوبكر ابن أبي شيبة في الحديث الاَول والثالث من فضائل العباس من كتاب الفضائل تحت الرقم: ١٢٢٥٩ والرقم: ١٢٢٦١ من كتاب المصنف: ج ١٢ ص ١٠٨ . ١٠٩ قال: حدثنا ابن فضيل، عن يزيد، عن عبد الله بن الحارث قال: حدثني عبدالمطلب

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أغضبك ؟ قال: يا رسول الله مالنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك ؟! قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه، وحتى استدر عرْق بين عينيه، وكان إذا غضب استدر العرق . فلما سرى عنه قال: والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإِيمان حتى يحبكم لله ولرسوله. ثم قال: أيها الناس من آذى العباس فقد آذاني إنما عم الرجل صنو أبيه.

حدثنا ابن نمير عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى مسلم بن صبيح قال: قال العباس: يا رسول الله إنا لنرى الضغائن في وجوه قوم من وقائع أوقعتها فيهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لن يصيبوا خيراً حتى يحبوكم لله ولقرابتي، ترجو سلهب شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب ؟!

أقول: والحديث الاَول رواه الحاكم في فضائل العباس من كتاب المستدرك ج ٣ ص ٣٣٢ قال: أخبرنا الشيخ أبوبكر بن إسحاق أخبرنا إسماعيل بن قتيبة حدثنا يحيى بن يحيى وإسحاق بن إبراهيم وأبوبكر بن أبي شيبة قالوا...:

وأيضاً الاَولان رواهما أحمد بن حنبل في مسند عبد المطلب بن ربيعة من كتاب المسند، ورواه عنه ابن كثير في تفسير آية المودة من سورة الشورى من تفسيره.

وقد روى الحافظ ابن عساكر معنى الحديث بوجوه وأسانيد في ترجمة العباس من تاريخ دمشق، كما أورده أيضاً البدران في تهذيبه: ج ٧ ص ٢٣٩ فراجعهما.

وروى عمر بن شبه في عنوان: ذكر فضل بني هاشم... من تاريخ المدينة المنورة: ج ٢ ص ٦٣٩ قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله إن

قريشاً إذا لقي بعضها بعضاً لقوا ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ! فغضب النبي غضباً شديداً فقال: والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب عبد الإِيمان حتى يحبكم لله ولرسوله

حدثنا خلف بن الوليد قال: حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث عن المطلب بن ربيعه بنحوه.

حدثنا عمرو بن عون قال: أنبأنا بن عبدالله عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة قال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه العباس وهو مغضب فقال: يا نبي الله ما بال قريش إذا تلاقوا بينها فتلاقوا بوجوه مبشره وإذا لقونا لقونا بغير ذلك ! قال: فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى احمرَّ وجهه وقال: لا يدخل قلب رجال الإِيمان حتى يحبكم لله ولرسوله.

وحدثنا عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده قال: قال العباس: يا رسول الله إن قريشاً تتلاقى بينهما بوجوه لا تلقانا بها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إن الإِيمان لا يدخل أجوافهم حتى يحبوكم لي.

حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى: عن ابن عباس قال: جاء العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن يبلغوا الخير . أو قال الإِيمان . حتى يحبوكم لله لقرابتي، أيرجو سؤلهم شفاعتي من مراد ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتي. انتهى.

* *